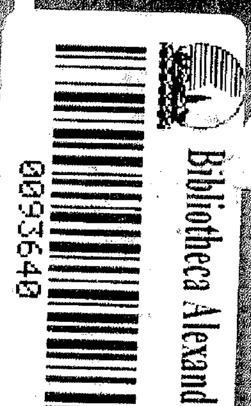
مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

نقد الطالب لزغل المناصب

لشمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي
٨٨٠ - ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ - ١٥٤٦ م

حققه
محمد أحمد دهمان
خالد محمد دهمان

راجعه
نزار أباظة



دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

نقد الطالب لزغل المناصب



مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي

نقد الطالب لزغل المناصب

لشمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي

٨٨٠ - ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ - ١٥٤٦ م

حققه

محمد أحمد دهمان		خالد محمد دهمان

راجعه

نزار أباظة

دار الفكر المعاصر

بيروت - لبنان

قسم التحقيق والنشر
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
ص.ب (٥٥١٥٦) - دبي

الكتاب ٩٣٨
الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

لبنان - بيروت - ساقية الجنزير، خلف الكارلتون، س. ت ٥١٤٩٧
ص. ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جليلة المضمون ، تطاول أعمال الجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلّف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفياء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

ويوالي اليوم بالتعاون مع دار الفكر المعاصر نشر إصداراته فيقدم كتاب (نقد الطالب لزَغَل المناصب) لمؤلفه شمس الدين محمد بن طولون ، تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد دهمان ، مراجعة نزار أباظة .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد؛ فلقد عزم الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله على إخراج هذا الكتاب القيّم في حياته - وهو أحد العلماء المتخصصين بتاريخ العصرين المملوكي والعثماني الضالعين فيه - فلم يساعده زمنه، ولا أسعفته ظروفه. فكان أن نسخ الكتاب، ثم استعد له وعنده المراجع المتوافرة والمصادر المتعددة، وشرع يعمل فيه فلحق بربه والكتاب بين يديه.

وعز على أسرة الشيخ رحمه الله أن يبقى الكتاب طيّ النسيان، فعزمنا على إستئناف العمل فيه براً بالشيخ وإرضاء لروحه، فكان الإتفاق أن نقوم بإستدراك ماينقص الكتاب من التحقيق والمراجعة والتعليق.

والموضوع الذي يعالجه محمد بن طولون الصالحي في مصنّفه الشيق (نقد الطالب لزغل المناصب) مهم جداً، يدخل في باب الأحكام السلطانية والسياسات الشرعية، ويختص بوظائف السلطان وأصحاب الولايات من الأمراء والوزراء والقضاة والقواد فيذكر ماعليهم من واجبات، وتبعات، ويشير إلى مايدخل في أعمالهم من تقصير ومايتلبسهم من أخطاء ينبههم على وجوب تداركها واجتنابها.

إلا أنّ ابن طولون لايقف عند وظائف السلطان وولاته وأتباعه من رجالات الحكم، بل يجاوزها إلى ذكر المهن التي شاعت في عصره فيتناولها بالنقد، فلا يكاد يترك مهنة شريفة أو وضيعة إلا ويذكرها، منها المهن العملية والأخرى العلمية أو الديوانية أو الأميرية. . والغريب أنّه يسمّي هذه المهن كلها مناصب، مع أنّ المنصب مادلّ على الرفعة والسمو، وليست الوظائف التي يذكرها ولا الأعمال التي يقوم بها الناس شريفة كلها ولاسامية. . جاء في المصباح المنير: "يقال لفلان منصب، أي علو ورفعة، وفلان له منصب يراد به المنبت والمحتد" ولعله حمل الكل على

البعض مجازاً. أمّا الزغل فهو الغشّ والفساد وهو مجمل مايدور موضوع الكتاب حوله، إذ يشير إلى مايدخل على كل منصب من انحرافات، ومايطلب من العاملين فيه من سلوكيات.

وتأتي قيمة الكتاب من عدة أمور؛ منها أنه كتاب عالم مؤرخ، يصوّر جوانب الحياة في عصره، ويطلعك على أشياء جانبية منه، كانت تجري آنذاك، ولم تتعرض لها كتب التاريخ العام. والكتاب سجل للمهن والأعمال في زمنه، يذكرها بالتفصيل. وقد انقرض كثير منها اليوم، فاختفى، أو حلّ محله مهن أخرى مشابهة أو تغيرت أسماؤها، كمهنة المشاعلية، ومهنة رماة البندق، ومنصب المفيد، ومنصب المعيد، ومنصب الموقت والناسخ والمكاري والبابا والجمدار والأستادار والجوكندار والطشتدار ومايشابهها.

وهو كذلك يبرز الناحية الاجتماعية لعصره، فيتحدث بشكل غير مباشر عن ناس بلاده، كيف يحيون، والطريقة التي يتصرف بها أهل كل طبقة من طبقات المجتمع، والعادات التي يعتادونها، فنعرف مثلاً أنّ للسلطان والأمراء غلماناً من المماليك خصصوهم ليقوموا على إلباسهم الثياب، وآخرين وضعوهم مشرفين على ترتيب النعال والعناية بها، وأنّ لهم خدماً فرغوهم للصيد، يحملون لهم أدواته. ونطّلع على سخافات النحويين واللغويين في تصرفاتهم المضحكة، ونرى تفاهات العامة وانحرافاتهم الدنيئة، كيف كان يلجأ ضعاف النفوس من القضاة وغيرهم إلى الرشوة، وماذا يصنع أعوان السلطان.. وهكذا.

وتبرز للكتاب مع التأمل غاية سامية، فهو دعوة صادقة للتمسك بالفضائل والأخلاق وأخذ النفس بالورع والتقوى، فحينما يعرّف المصنف بمهمة كل صاحب عمل، ويبيّن العيوب التي تدخل عليه والأخطاء الملابسة لمهنته ينصح له ويخوّفه الله، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فلا يفرق بين أمير أو مأمور، أجير أو مستأجر، صاحب ذي سطوة وبأس، أو من أصحاب الأعمال الحرّة.

ونتبين في الكتاب ابن طولون العالم من جانب الفقه الحنفي، إنه ينشر أحكام المذهب هنا وهناك عند أدنى ملابسة أو أقل مناسبة، فيعرض فتاوى الحنفية كلما دعا الكلام إلى ذلك. كما يظهر ابن طولون المحدّث المتمكن في علوم الحديث العارف بأسماء مشاهير العلماء والمحدثين مشهوريهم وغير مشهوريهم ويورد سلسلة من المراجع الحديثية وأقوال المحدثين، ويروي قصص طلاب الحديث ومايقعون فيه من أخطاء وتصرفات غير حميدة.

وفي الكتاب سلسلة من الكلمات غير العربية كانت مستعملة في عصره، نستطيع أن ندرك

منها طبيعة اللغة السائدة على الألسنة وقتذاك، فنرى سيطرة الفارسية والتركية ولاسيما في أسماء المهن الشائعة والوافدة إلى العرب من جيرانهم.

ونقع عند ابن طولون على قائمة ببليوغرافية من الكتب المهمة، يذكرها في أثناء الكتاب ويسمي أصحابها وينقل منها نصوصاً أو أفكاراً وموضوعات، مما يدل على تضلعه بأسفار العلم ومعرفته بالمراجع والمصادر وسعة إطلاعه وليس هذا بمستغرب على مثله، ذلك لأنه تولى الإشراف على عدد من خزائن الكتب في دمشق وصالحيتها، كخزانة كتب المدرسة العمرية المعروفة، وناهيك بها. وخزانة كتب مشهد عروة بالجامع الأموي، وغيرها. فهو يغرف من معين هذه الخزائن وينقل من كتبها ماشاء من نصوص تدلل على شغفه بالكتب، وطول باعه في العلوم. وهذا أسلوبه في تآليفه كلها.

ولقد اقتفى ابن طولون في كتابه هذا أثر تاج الدين عبد الوهاب السبكي في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) الذي ذكر فيه جميع المهن والوظائف والأعمال المعروفة في زمنه فعددها كلها، وأوضح مايدخل عليها من انحرافات، ورسم مايجب على أصحابها من سلوكيات.

والتاج السبكي قاض معروف وعالم كبير نشأ في بيت علم وتقوى ورئاسة، فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي الأنصاري شيخ الإسلام في عصره، أحد الحفاظ المفسرين والعلماء المناظرين، ولد في سُبْك من أعمال المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة، ثم إلى دمشق فتولى بها القضاء ودرّس في دار الحديث الأشرفية ومازال يفيد حتى اعتلّت صحته فترك القضاء ثم عاد إلى القاهرة فتوفي بها سنة ٧٥٦هـ. تاركاً عدداً من المصنفات في فقه الشافعية والطبقات وغير ذلك. وكفى به فخراً تربيته لولده تاج الدين أحد أعلام دمشق وقضاتها البارزين وعلمائها العاملين.

توجه تاج الدين السبكي إذن بفضل أبيه توجهاً علمياً قام على الجدّ والدرس، فتلقى علمه على أبيه وغيره من علماء مصر، ورحل معه إلى دمشق حين تولى أبوه قضاءها فأخذ عن شيوخها وأجازه ابن النقيب بالفتيا ولما يبلغ العشرين.

تولى التاج السبكي في دمشق وظيفة الكاتب على القصص، ثم ناب في الحكم عن أبيه إضافة إليها، وجمع معهما التدريس في مدارس دمشق. وعندما كبرت سنّ أبيه تولى القضاء مكانه وبقي فيه حتى أصيب بالطاعون سنة ٧٧١هـ فتوفي ودفن بسفح قاسيون.

وامتحن التاج السبكي بكيد الدساسين والحساد مما أثر عليه فأقيل عن القضاء لكنه صبر حتى

أعيد إليه، فصفح عمن أساء إليه ولم ينتقم من أحد رغم أنهم اتهموه بالكفر واستحلال الخمر والزنا وغير ذلك.

بنى السبكي كتابه معيد النعم على مايحفظ على الإنسان النعمة، ويدفع عنه السوء وهو قيامه بما يجب عليه من تأدية حق العمل الذي خصص نفسه به ومراعاته لما رسم الشرع من أمره، ولهذا سماه بهذا الاسم. وانطلاقاً من ذلك ذكر الأعمال في عصره والوظائف الديوانية والأعمال الحرّة وغيرها، وفصّل في كل عمل ووظيفة مشيراً إلى ماقضى به الشرع والدين في كل عمل كي يؤدى على الوجه الصحيح وينتهي إلى غايته المرجوة فينشأ عن ذلك المجتمع الصالح.

ولكون التاج السبكي قاضياً للقضاة، فقد اطلع على أحوال عصره وأحوال الدولة وطبقات الناس وأعمالهم ووظائفهم التي أوصلها إلى ١١٣ مهنة عرضها في كتابه، فأوجز في بعضها وفصّل في بعضها الآخر. ويبدو أنه فكّر طويلاً وتأمل وبحث حتى جمع كل المهن في زمنه فجاء كتابه جامعاً في بابه.

ولقد أعجب ابن طولون بكتاب التاج السبكي كل الإعجاب، لأنه اعتمد عليه كل الإعتماد في كتابه الذي بين أيدينا (نقد الطالب لزغل المناصب) وهو على مايظهر من مقابلة نصوص الكتابين أحد مراجعه الأساسية، ينقل عنه معلوماته ويورد من عباراته بنصها ويسندها إليه في ثنايا الكتاب مصرحاً باسمه، ثم يزيد عليها من عنده مايراه ناقصاً، بل إنّ ابن طولون يفتتح كتابه بقوله: "الحمد لله معيد النعم بمزيد شكره". فكأنه يشير إلينا إلى كتاب السبكي منذ البداية. ولذا فيمكننا أن نعدّ الكتابين متكاملين، أو أن الثاني تتمة للأول لاسيما وأنهما من عصر واحد تقريباً هو عصر المماليك الذي أدرك ابن طولون آخره.

صدر كتاب السبكي في طبعته الأولى بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م محققاً بتحقيق عني بالنص عناية فائقة بمقابلة النسخ المخطوطة للكتاب مع بعض التعليقات.

ابن طولون الصالحي:

هو أبو الفضل شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي، من أعيان العلماء المؤرخين في القرن العاشر الهجري. ولد بصالحية دمشق من سفح قاسيون سنة ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥م في بيت جده الذي كان يضم والده وهو بيت تركي مستعرب يهتم أهله بالعلم كل الاهتمام، ويتكسبون بالتجارة. ولقب جده أحمد

بالخواجا، وكذا أخو جده لأمّه. أما والدته فتركية رومية من أتراك آسيا الصغرى وقيل إنها يونانية من الأناضول ماتت وابنها لم يجاوز العامين من عمره. كما مات والده التاجر الصالح وتركه في ريعان الصبا دون أن يخلف له ثروة يعتمد عليها، وكان هذا الوالد يرشده إلى الإشتغال بالتجارة ويخشى عليه الحاجة إذا انصرف إلى العلم بكليته.

تعلم ابن طولون أول أمره في مكتب (كتّاب) المدرسة الحاجبية مبادئ القراءة والكتابة. ثم في مدرسة الكوافي، المشهورة بمسجد العساكرة.

وحفظ بعد ذلك القرآن الكريم ولما يجاوز السابعة من عمره وصلّى خلفه العلماء عند ختمه احتفاءً به على عادة ذلك الزمن.

وانتقل ابن طولون من بيت الأسرة فسكن الخانقاه اليونسية يتابع بها علومه، وأمّ بها، وقرأ الفقه الحنفي مع أن السائد في العصر المملوكي هو المذهب الشافعي ومع أن الصالحية موطنه كانت مقر الحنابلة وبها ازدهر مذهبهم. وماذلك إلا لتأثره بعمه جمال الدين يوسف الذي شجعه وأعانه بكتبه وعلمه وجاهه وماله. وخطا خطوات هذا العم في تركه للتجارة وتوليه الوظائف الدينية.

قرأ ابن طولون علوم عصره من تفسير وفرائض وحديث وقراءات وأصول وعربية وعروض وبلاغة ومنطق وكلام وتصوف وتاريخ وعقائد. كما قرأ علوم الطب والحساب والميقات والهندسة والهيئة والبنكام والطبيعة. وبلغ مجموع العلوم التي استوعبها ٣٨ علماً أساسياً أحصاها هو بنفسه، وإذا حسبت فروعها زادت على اثنين وسبعين علماً.

وشهد شيوخ ابن طولون بعلمة ومعرفته؛ فقال شيخه ناصر الدين بن زريق: "إنه مع صغر سنه وقرب مأخذه فاق من تقدم عليه باجتهاده وتحريه وانتقاده حتى رجوت له وانشرح الصدر أن يكون هو القائم بأعباء هذا الأمر".

وأجازه علماء كثيرون منهم شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العيني من أعيان المذهب الحنفي (ت ٨٩٣) وعز الدين بن الحمراء من كبار فقهاء الحنفية (ت٨٩٤) وتقي الدين أبو بكر بن عبد الرحمن الزرعي، المعروف بابن قاضي عجلون (ت ٩٢٨) وكان أفقه أهل زمانه وأجلّ معاصريه، وإليه انتهت مشيخة الإسلام ورئاسة الشافعية ببلاد الشام، ومحب الدين بن القصيف قاضي قضاة الحنفية (ت ٩٠٩) والشهاب أحمد بن العسكري الصالحي مفتي الحنابلة (ت٩١٢) والشهاب أحمد بن محمود بن فرفور قاضي الشافعية (ت ٩١١) ونجم الدين عمر بن

إبراهيم بن مفلح قاضي الحنابلة (ت ٩١٩) وتقي الدين بن قاضي زرع أحد خلفاء الحكم بدمشق (ت ٩١٩) ومحمد بن أبي بكر الشهير ابن زريق (ت ٩٠٠) ويوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩) وأبو المفاخر عبد القادر النعيمي (ت٩٢٧).

وأجازه بالتدريس الشمس بن رمضان شيخ المدرسة القجماسية (ت ٩٢٢). وهذه الإجازة أول شهادة له باستحقاقه مرتبة العلماء. وأجازه عمه جمال الدين بتدريس علوم الحديث، وأجازه شيخ المالكية بدمشق الملا عبد النبي بتدريس العقائد، وأجازه برهان الدين بن عون مفتي الحنفية أعظم فقهاء دمشق في وقته مرتين بالإقراء وتدريس الفقه الحنفي. وكان شيخه هذا يعتني به عناية فائقة، كما أجازه بالإفتاء. وأجازه محيي الدين الإربدي المقرئ، وشمس الدين بن البصير بالقراءات العشر.

وبالإضافة إلى مشايخه هؤلاء وغيرهم، فقد حضر ابن طولون على شيخات من أعلام النساء بدمشق منهن أم عبد الرزاق خديجة بنت عبد الكريم الأرموية أخذ عنها بعض الأحاديث، وأم الحسن فاطمة بنت خليل بن علي الحرستاني، والمسندة أم محمد ست القضاة بنت القاضي عماد الدين أبي بكر بن عبد الرحمن.

عاش ابن طولون حياة بسيطة جداً، وإلى جانب انغماسه في طلب العلم والدرس والتدريس، فإنه لم يتزوج طوال حياته، وكان حاله أقرب إلى حال المرابط في سبيل الله. ثم إنه سلك مسلك التصوف، فألبسه الخرقة شيخه الصالح الورع المعتقد أبو الفتح محمد بن محمد بن علي العوفي السكندري المزي أحد علماء الحديث، ولقنه الذكر، وأخذ عليه العهد، وقد التزم ابن طولون بالطريق واستقام عليه. ثم تتلمذ عليه فيه مريدون كما صنف في التصوف كتاباً للساكين، سمّاه (كمال المروّة فيما قيل في الفتوّة).

وانسحب التصوف على حياة ابن طولون العملية، ونستطيع أن نحكم بأنه عالم عامل زاهد مستقيم، من خلال إنتاجه الكثير في التصنيف، واستغراقه في التدريس، الأمر الذي يدل على انصرافه إلى محراب العلم والعزوف عن الدنيا.

وثمة آمر آخر يدل على زهده هو اعتذاره عن قبول الخطابة في الجامع الأموي كما سنرى في الحديث عن وظائفه وهي وظيفة تحمل له الشهرة والمال. واعتذر من قبل مراراً عن وظيفة القضاء وفي هذا دلالة عظيمة.

تولى محمد بن طولون وظائف عديدة ومنذ سن مبكرة، فمن الوظائف التي شغلها:

١ - وظيفة المشارفة (ملاحظة استدامة الخدمة في المدرسة) بالمدرسة المرشدية مشاركة مع ثلاثة آخرين، كان له منها حصة الربع. وكان في الرابعة عشرة.

٢- وظيفة الشهادة (مراقبة الناظر) بالمدرسة العذراوية.

٣- وظيفة كاتب الغيبة (كتابة أسماء الغائبين عن السماع) بالمدرسة الجوهرية.

٤- وظيفة تفرقة الربعات (على القراء) بالمدرسة الجوهرية أيضاً، تولاها مع كتابة الغيبة.

٥- وظيفة النظارة بالزاوية المنبجية والزاوية السيوفية.

٦- وظيفة نظارة وقف الزاوية المنبجية والزاوية السيوفية أيضاً.

٧- وظيفة خدمة الكتب (أمين مكتبة باصطلاح اليوم) بالمدرسة العمرية وبخزانة كتب التربة الخاتونية بالجامع الجديد بالصالحية وبخزانة كتب مشهد عروة بالجامع الأموي.

وتولى إلى جانب ذلك الوظائف التعليمية التالية :

١ - وظيفة الإعادة بالمدرسة المقدمية الجوانية.

٢ - وظيفة التدريس في الماردانية وبتربة زين الدين العيني بالجامع الجديد بالصالحية وبالمدرسة العذراوية وبالجامع الأموي وبمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية.

٣ - وظيفة الإمامة بالخانقاه اليونسية والزاوية اليوسفية. ثم اختاره السلطان سليم إماماً لجامع الشيخ محيي الدين بالصالحية في عام ٩٢٤ هـ وبقي فيه حتى وفاته عام ٩٥٣هـ.

واشتغل ابن طولون بوظيفة توثيق العقود، تولاها إلى إلغائها في العصر التركي عندما أسندت الدولة العثمانية العمل بها إلى أحد القضاة بإذن من القاضي العثماني.

ولكون ابن طولون عالماً صوفياً، فقد شغل وظيفة مشيخة الخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية والزاوية المنبجية.

واعتذر ابن طولون عن وظيفة القضاء حينما عرضت عليه مثلما رفض قضاء الصالحية مراراً، كما اعتذر أيضاً عن الخطابة في الجامع الأموي عام ٩٤٦هـ بعد موت خطيبه الشيخ جلال الدين محمد بن علي البصروي، ورفض وظيفة إفتاء المذهب الحنفي عند وفاة قاضي الحنفية قطب الدين محمد بن سلطان رغم سعاية جماعة من الشيوخ الكبار سنة ٩٥٠هـ ورغم الإغراءات المالية وهذه الوظائف التي شغلها بالمواقع المذكورة قد تولاها بدمشق.

وتخرج على ابن طولون عدد كبير من طلاب حازوا فيما بعد على المراتب العلمية والمناصب فكان يبتهج بهم وترجم لهم في كتابه (ذخائر القصر بتراجم نبلاء العصر) من أشهرهم الشهاب أحمد بن أحمد الطيبي (ت ٩٨١هـ) خطيب الجامع الأموي، وعلاء الدين علي بن إسماعيل بن موسى الشهير بابن عماد الدين، وبابن آلوس (ت ٩٧١هـ) ونجم الدين محمد بن محمد بن رجب البهنسي (ت ٩٨٧) مفتي الحنفية بدمشق، وإسماعيل النابلسي (ت ٩٩٣هـ) وشهاب الدين أحمد بن شرف الدين، وعلاء الدين بن صدقة الشافعي (ت ٩٧٥هـ) الواعظ بالجامع الأموي. وزين الدين بن سلطان مفتي الحنفية، وأحمد بن محمد المعروف بالشويكي الصالحي (ت ١٠٠٧هـ) وعبد الوهاب بن محمد الدمشقي الشهير بابن الإسكاف إمام جامع القلعة، ثم إمام الحنفية بالجامع الأموي، وغير هؤلاء كثير.

وعرف ابن طولون بكثرة التأليف، فلقد بلغت مصنفاته أكثر من ٧٥٠ مؤلفاً منها الرسالة الصغيرة وبعضها المجلدات الكبار. ولعل سبب كثرة تصانيفه يعود إلى اطلاعه الواسع على الكتب واهتمامه بها وقيامه بوظيفة حفظ الكتب كما رأينا، بالإضافة إلى تفرغه للعلم بكليته وانصرافه إليه عن كل مايشغله.

صنف ابن طولون في موضوعات متعددة؛ في الحديث والفقه والنحو والطب والفلك والمساحة والجبر والمقابلة والحساب، وكتب عن النقود وحساب الدراهم والدنانير. وربما لم يترك مجالاً للكتابة إلا وساهم فيه بقدر، غير أن مؤلفاته ضاعت فلم يبق منها إلا القليل. ومن أشهر مصنفاته المطبوعة:

-إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى.

ط دمشق ١٩٦٤ والقاهرة ١٩٧٣م ودمشق ١٩٨٣م.

-اللمعات البرقية في النكت التاريخية.

ط دمشق ١٩٧٣م.

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان.

ط القاهرة ١٩٦٢م، ١٩٦٥م.

- الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنا عشرية الإمامية.

ط بيروت ١٩٥٨م.

- الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام.

ط دمشق ١٩٥٦م.

- العقود الدرية في الأمراء المصرية.

ط بيروت ١٩٦٥م.

- التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران.

ط دمشق.

- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون.

ط دمشق ١٣٤٨هـ.

- بسط مسامع السامر في أخبار مجنون بني عامر.

ط القاهرة.

- غاية التبيان في ترجمة الشيخ أرسلان.

ط دمشق.

- قيد الشريد في أخبار يزيد.

ط دمشق.

- المعزة فيما قيل المزة.

ط دمشق ١٣٤٨هـ.

- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (جزآن).

ط دمشق ١٩٤٩م، ١٩٥٦م، ١٩٨٢م.

- قرة العيون في أخبار باب جيرون.

ط دمشق ١٩٦٤م.

- الشمعة المضيّة في أخبار القلعة الدمشقية.

ط دمشق ١٣٤٨هـ.

- ضرب الحوطة على جميع الغوطة.

ط دمشق ١٩٤٦م.

- فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم.

ط دمشق ١٩٨٣م.

- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين.

ط دمشق ١٣٤٨هـ.

- تبييض الطرس بما ورد في السمر لبالي العرس.

ط دمشق ١٣٤٨هـ.

بقي ابن طولون مثابراً على التأليف والدراسة والتدريس حتى آخر عمره رغم ماكان يعاني من أمراض منها ضعف بصره، ولم ينقطع عن تلاميذه إلا حينما كان يشتد عليه الألم حتى وافاه أجله في ١١ جمادى الأولى من سنة ٩٥٣هـ ودفن بجوار عمه جمال الدين يوسف بن طولون بسفح قاسيون.

وصف مخطوطة كتاب نقد الطالب:

اعتمد الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله على النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب مجمع اللغة العربية بدمشق كما ذكرنا، وهي صورة فوتوغرافية قديمة. والنسخة الأصلية كانت في حوزة آل الجوهري بنابلس فكّ الله أسرها، اشتراها مع مجموعة من المخطوطات العلامة أحمد تيمور باشا صور منها للمجمع صورة قدمها إليه هدية.

ويقع كتاب نقد الطالب لزغل المناصب ضمن مجموع في مجلدين ضخمين يضم رسائل ابن طولون. نطالع في المجلد الأول منهما المصنفات التالية وكلها بخطه:

-كشف الظلام عن معنى السلام.

- نقد الطالب لزغل المناصب.

- رفع الملامة عما قيل في الحجامة.

- أربعون حديثاً من الأبدال العوالي.

- أربعون حديثاً من الموافقات العوالي.

- جواب السؤال عن أحكام الدجّال .
- تكميل الوعاء لكيفية الدعاء .
- التزام مالا يلزم فيما ورد في ماء زمزم .
- فصّ الخواتم فيما قيل في الولائم .
- تأييد الأفكار لإتيان الطيور في الأوكار .

أما المجلد الثاني ففيه من مؤلفاته رسالتان فقط وهما :

١ - ضوء السراج فيما قيل في النساج .

٢ - إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى .

يليهما رسائل لمصنفين غيره وفي آخره رسالة بعنوان :

- ترجمة محمد بن طولون الحنفي الصالحي مؤلف الرسائل المتقدم ذكرها .

يقع كتاب نقد الطالب لزغل المناصب في ٢٨ لوحاً ونصف اللوح ، بدءاً من الورقة ٢٤ من المجلد الأول وحتى الورقة ٥٢ أ ، وهو المصنف الثاني فيه من حيث الترتيب . والنسخة المذكورة رديئة التصوير حروفها بيضاء على أديم أسود تصعب قراءتها ، وزادها صعوبة خط ابن طولون الصغير الحجم المتداخل الحروف مما جعل عملية النسخ مرهقة لايحسنها إلا منْ عانى أمثال خطه .

والنسخة إلى ذلك لاتخلو من أمكنة طمست فيها كلمات استطعنا استدراكها من المصادر التي اعتمد عليها ابن طولون .

عملنا في المراجعة:

أعدنا مقابلة النص الذي كتبه الشيخ دهمان رحمه الله ، واهتممنا فيه بالضبط ، وبوضع علامات الترقيم الضرورية وشكل الكلمات المشكلة ، مع شرح بسيط للمفردات الغريبة ، ولاسيما الكلمات غير العربية الدراجة في عصر المؤلف .

ولما لم يكن بين أيدينا سوى نسخة واحدة من المخطوط ولاسبيل إلى الحصول على غيرها ، فقد اعتمدنا في مقابلة النص على المصادر التي رجع إليها ابن طولون ولاسيما كتاب تاج الدين

السبكي فكان لنا بمثابة النسخ الأخرى خصوصاً وأنه محقق تحقيقاً جيداً، فاستطعنا استدراك الكلمات المطموسة منه ووثقنا كثيراً من عبارات نصّ ابن طولون.

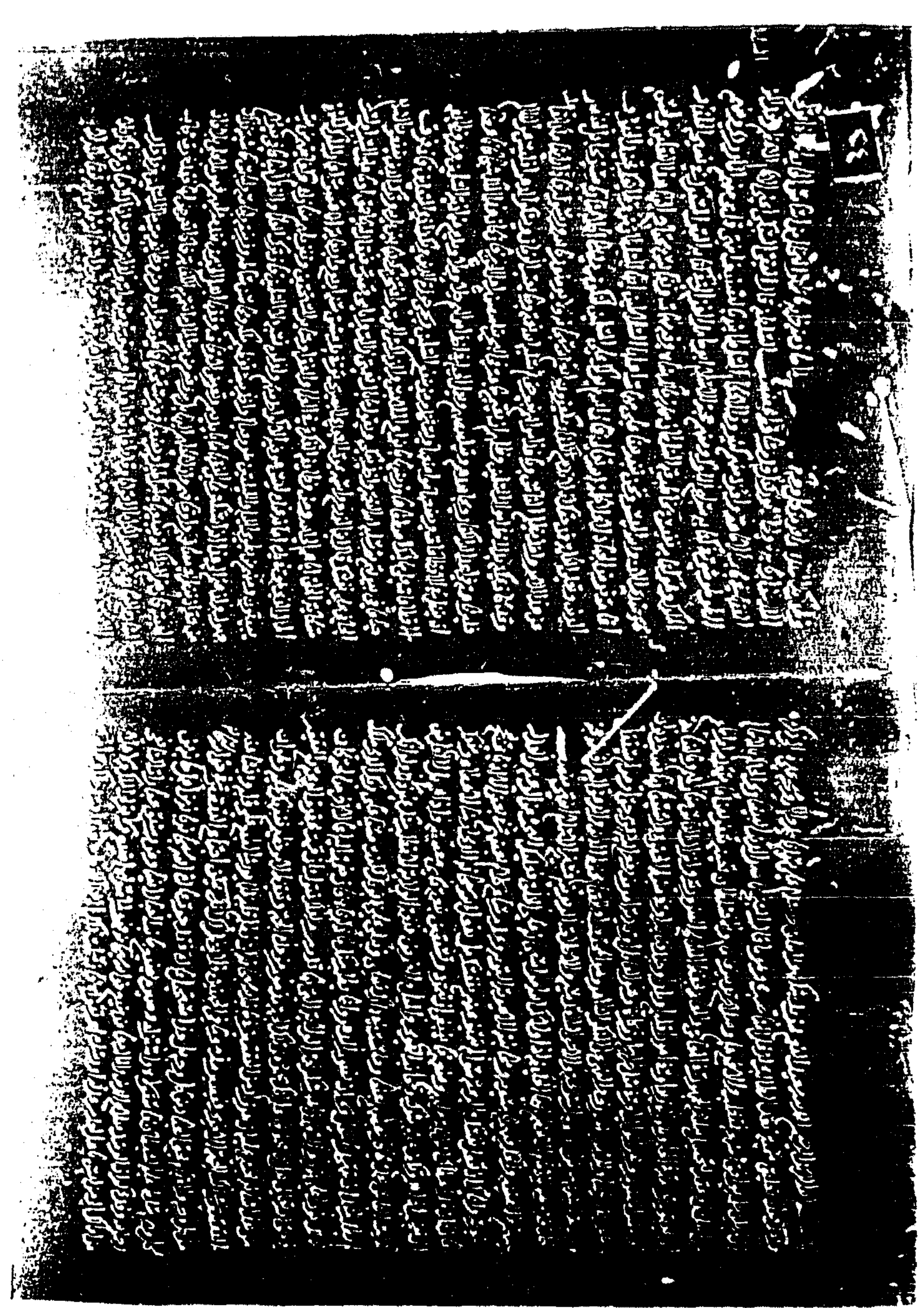
أشرنا إلى مواضع الآيات الكريمة التي استشهد بها، وخرجنا الأحاديث الشريفة تخريجاً إجمالياً. وترجمنا لكثير من الأعلام مع التعريف السريع بالكتب التي ذكر المصنف أسماءها.

أما النصوص التي كان ابن طولون يوردها في أثناء كلامه مستشهداً بها من شعر أو نثر فقد وثّقنا منها ماتمكنا فيه من الرجوع إلى المصادر التي نقل عنها. وقد فاتنا الحصول على كتب أخذ عنها لم نستطع الوصول إليها، إما لندرتها أو لأنها لم تطبع.

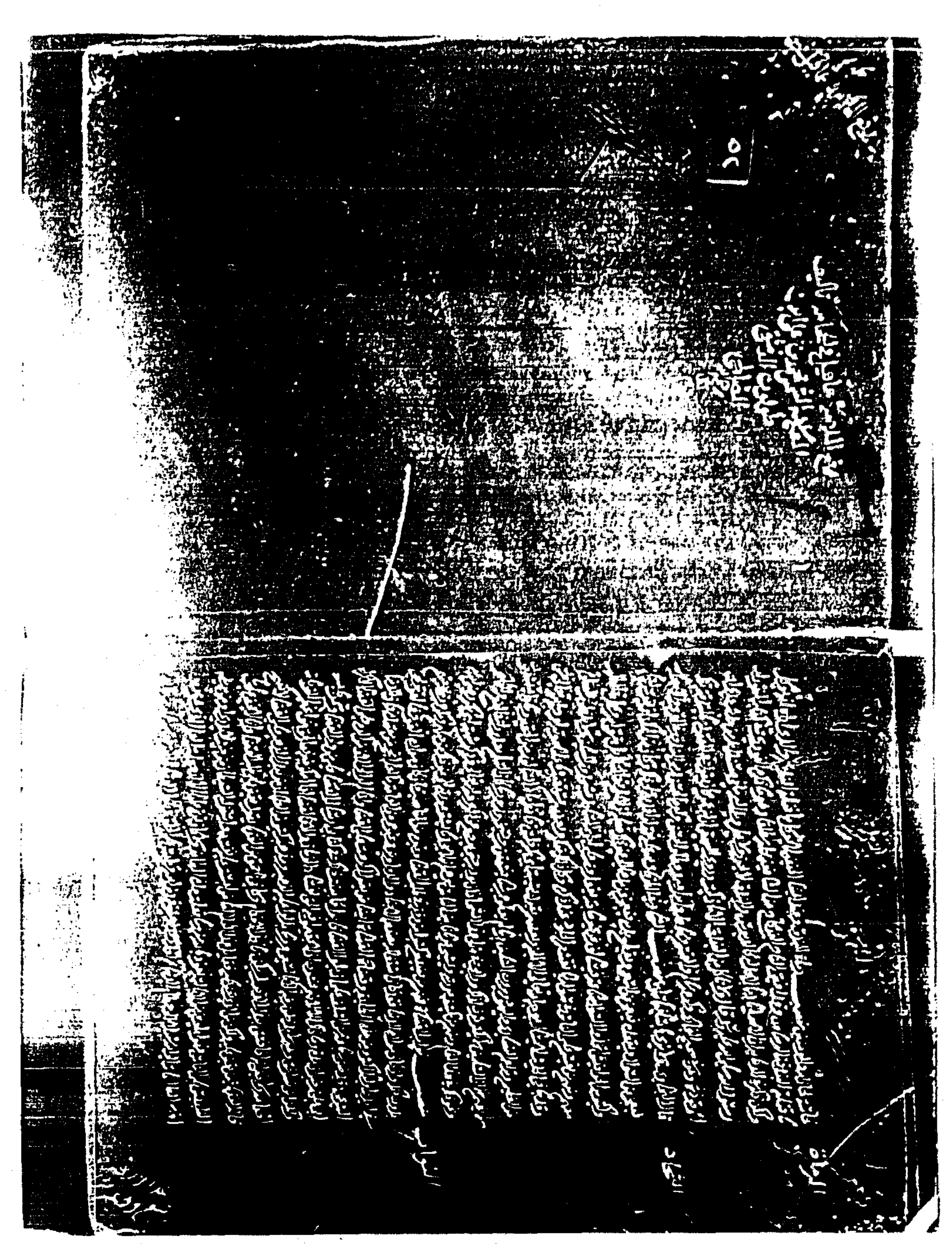
ولئن وفقنا الله وسدّد خطانا فذلك المرجو، وإن كانت الأخرى فنسأل الله التوفيق في أعمالنا الأخرى. إنّه أكرم مسؤول عليه نتوكل وإليه ننيب.

خالد محمد دهمان　　　نزار أباظة

الجمعة ٢٤ رجب الحرام ١٤١١ هـ
٨ شباط (فبراير) ١٩٩١ م



صورة اللوح ٢٤ أ وهي أول المخطوط



صورة اللوح ٥٢ أ وهي آخر المخطوط

نقد الطالب لزغل المناصب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معيد النعم بمزيد شكره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه على توالي ذكره.

وبعد. فهذا تعليق سميته (نقد الطالب لزغل المناصب). وهو ماقال الشيخ ناصر الدين البيضاوي[1]: «الحاكم بالأصالة؛ إن لم يكن حكمه يوافق الشرع فـ (متغلّبٌ)، وإلا فمع علم وصلاح تدبير فـ (إمامٌ)، وإلا فـ (سلطان). تعيينه بتفويض إمام متقدم، أو إجماع من أهل حل وعقد لتحصيل صلاح الجمهور في المعاش والمعاد، بحفظ المصالح الضرورية، وإنزال الناس منازلهم. وبالنيابة؛ إما ليقوم مقامه في الحكم وهو (الوزير)، أو في أمور إقليم أو بلد أو جند فـ (نائب)، أو في ضبط الحقوق واستيفائها فـ(صاحب ديوان)، أو لنصر مظلوم وهو (الوالي)، أو في مثل خراج أو زكاة وهو (العامل)، أو تأدية أمر من رفع إليه دعوى حق، أو من لم يستقل وهو (القاضي)، أو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الظاهر، وهو (المحتسب)، أو للقيام بحفظ الدين والدعوة إليه وإقامة الحجة وإزالة الشبهة ممايزاً للعلوم الشرعية والأحوال القدسية والأخلاق الربوبية فـ (شيخ الإسلام)». انتهى.

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي، قاض مفسّر، علاّمة، ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، وولي قضاء شيراز مدة، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز وتوفي بها سنة ٦٨٥هـ من تصانيفه أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي وله مصنفات في التوحيد والعربية والفنون والفقه الشافعي. الأعلام ٤/ ٢٤٨. وانظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٨٢

[١] منصب الخلافة [١]

وهو الإمام الأعظم.

أيها الخليفة! إذا ولاّك الله سبحانه أمراً على الخلق فعليك البحث عن الرعية، والعدل بينهم في القضية، والحكم فيهم بالسوية، ومجانبة الأهوية[٢] القويّة، وعدم سماع كلام بعضهم في بعض، إلاّ أن يأتي بحجج ضويّة.

وإياك أن تجعل نفسك والرعية سواء، لم تتميّز عنهم بنفسك، بل بفعل الله سبحانه الذي لو شاء لأعطاهم ومنعك. فإن كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما ينبغي أن تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم. بل لا أقل من أن تتجنب أذاهم، وتكف عنهم شرّك، وتجانب الهوى والميل والغرض. فنعمة الولاية لاتطلب منك غير ذلك.

ولو أنّك تركتَ الناس هملاً، يأكل بعضهم بعضاً، وجلست في دارك تصلّي، وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك الذي ملّكك؛ لم يطلب منك أن تتهجد بالليل، ولا أن تصوم الدهر، وإنما يطلب منك ماذكرناه. فإن ضممت إليه أعمالاً أخر صالحة كان ذلك نوراً على نور، وإلا فهذا هو شكر نعمة الولاية التي بها تدوم.

ولعلك تقول: فإن قمتُ بحقوق الرعية مع التقصير في حق الله تعالى، هل أنا محمود! فاعلم أنك محمود من تلك الجهة، مذموم من هذه الجهة.

وتيقظ لأمر عظيم ننبهك عليه، وهو أنّ من هذا شأنُه يُخشى عليه إن هو زاد من التقصير في جانب الله سبحانه أن يُظلم قلبه ظلماً يورث الطّبع[٣] على قلبه،

---

(١) معيد النعم ١٣

(٢) ولعل الأحسن الأهواء. لأنّ الأهوية جمع الهواء (مختار الصحاح) إلا إن قصد الاستعارة.

(٣) الطّبعُ: الختم (مختار الصحاح) أي فلا يدخل على قلبه بعد ذلك نور ولا يشرق فيها إيمان. ذكره في صفوة التفاسير ١/ ٣٣ ط٦ ألمانيا الغربية ١٤٠٥ .

وينشأ عنه التقصير في تلك الجهة الأخرى، فيصير مذموماً في الجهتين. فلا يخطر لك أنّه يمكن اجتماع التقصير في حق الله سبحانه من كل وجه، والقيام بحق العباد من كل وجه. بل هذا مستحيل عادةً. فقد جرت عادة الله سبحانه بأنّه من أهمل جانبه من كل وجه سلّط عليه الشيطان، فاستولاه واستزلّه، وصيّره يُضيع جانب العباد أيضاً.

ومن رشيق عبارات الشافعي رحمه الله وقد ذكر أن الرشد صلاحُ الدين والمال معاً: "من ضيّع حق الله سبحانه فهو لما سواه أضيع".

ولا تولِّ الملك ولا عملاً من أعمالك إلى من ليس بأهل، لعدم عدله، أو رشده، أو تقواه. فإن سلمت ذلك إلى هذا الرجل فقد أفسد ملكه وعمله، وظهر لك الخلل الوافر من كل وجه [من كل جانب][1]:

البيت إذ ما حان منه خرابه ظهر التخلخل من أساس الحائط

وإذا تولى الملك [غير رجاله ولوا] الأمور لكل فَدْم ساقط[2]

(١) مابين معقوفتين ممسوح من الأصل، والتكملة من التبر المسبوك.

(٢) الفَدْمُ: العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم، والغليظ الأحمق الجافي (القاموس: فدم). وانظر التبر المسبوك، ص٦٩ وماورد بين معقوفتين في الأصل: من أربابه.. ولّى والتصحيح من المصدر المذكور.

[٢] - منصب السلطنة

قال التقي السبكي[(١)]: « [السلطان] أعني الإمام الأعظم، وقد أكثر الفقهاء في باب الإمامة، وأفرد منهم كثيرون الأحكام السلطانية بالتصنيف»[(٢)] انتهى.

قلت: منهم الماوردي[(٣)]. ومنهم الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك)[(٤)]. ومنهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه (التبر المسبوك في نصيحة الخلفاء والملوك)[(٥)]. وهو كتاب نفيس يخاطب فيه السلطان محمد بن ملك شاه. وفيه مهمات ونفائس يحتاج إليها هذا التعليق، وليس هو عندي الآن. والله الميسّر.

---

(١) انظر ترجمته في المقدمة. والنصّ المذكور ليس للتقي السبكي وإنما لابنه تاج الدين في معيد النعم. ولعل ذلك سبق قلم من المصنف.

(٢) معيد النعم، ص١٦، ومابين معقوفتين مستدرك منه.

(٣) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، نسبة إلى بيع ماء الورد. ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل أقضى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي. وهو من العلماء الباحثين. كان يميل إلى الاعتزال وحصل على مكانة رفيعة عند الخلفاء. عمل في السفارة بين بغداد وبني بويه فعلت منزلته عند العباسيين وبني بويه على السواء. له مؤلفات عديدة في التفسير والفقه والأدب والسياسة الشرعية. توفي سنة ٤٥٠هـ. الأعلام ٥/ ١٤٦، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤، طبقات السبكي٣/ ٣٠٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٨٥، وكتاب الماوردي الأحكام السلطانية على غاية الشهرة تحدث فيه عن الأسس التي تقوم عليها السلطة كاستحقاق الخلافة وشروطها والولايات التي يحكمها الخليفة ومافي الدولة من نظم الوزارة والقضاء والإمارة ومايتعلق بذلك من وظائف حفظ المال والجهاد والأحكام.

(٤) محمد بن الوليد بن محمد القرشي الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشه بشرق الأندلس. تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦، فحج وزار العراق ومصر وأقام مدة بالشام، وسكن الاسكندرية فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي سنة ٥٢٠هـ. كان زاهداً، وله مؤلفات في التفسير والتصوف والخلافيات. الأعلام ٧/ ٣٥٩ عن وفيات الأعيان ١/ ٤٧٩، نفح الطيب ١/ ٣٦٨، الديباج ٢٧٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٧٧. ألف كتابه سراج الملوك هدية للأمير أبي عبد الله الأموي وتناول فيه وظائف السلطان والولاة والقضاة والعمال وسرد الخصال الواجب وجودها فيهم وتحدث كذلك عن الأمور المساعدة على استقرار الحكم ودوام الملك، وبين كيف تكون سيرة السلطان مع جنده ورعيته وأسلوبه في المال وأحكام الذميين والحروب.

(٥) الإمام الفيلسوف حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أبو حامد، أشهر من أن يعرف ولد في الطابران بخراسان وبها توفي سنة ٥٠٥ ورحل إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ورجع بعدئذ إلى بلدته وهو منسوب إلى بلدة غزالة (بالتخفيف) من قرى طوس، أو إلى صناعة الغزل فيصير عندئذ الغزّالي (بالتشديد). له نحو مئتي مصنف في التفسير والفقه والأصول والتصوف والفلسفة وغير ذلك. الأعلام =

ونحن ننبه هنا على مهمات أهملها السلاطين[1]:

أيها السلطان! من وظائفك تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى؛ فإنّ الله لم يولّك على المسلمين لتكون رئيساً آكلاً شارباً مستريحاً، بل لتنصر الدين وتعلي الكلمة. فمن حقك ألاّ تدع الكفار يكفرون أنعمَ الله سبحانه، ولا يؤمنون بالله ورسوله.

فإذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الأمر وأخذ يظلم الناس، ويأخذ أموالهم بغير حق، ثم سلبه الله نعمته، وجاء يعتب الزمان ويشكو الدهر، أفليس هو الظالم؟! وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون أهل الحرب. فإن كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار، ويجاهدهم، ويتلصصهم، ويُعمل الحيلة في أخذ أموالهم حلاً وبلا[2]، ويدع عنه أذيّة المسلمين.

ومن وظائفه أن ينظر في الإقطاعات ويضعها مواضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين، ويحمي حوزة الدين[3] و يكفّ أذى المعتدين.

فإن فرّق الإقطاعات على مماليكَ اصطفاها، وزيّنها بأنواع الملابس والزراكش المحرّمة، وافتخر بركوبها بين يديه، وترك الذين ينفعون الإسلام جياعاً في بيوتهم، ثم سلبه الله النعمة وأخذ يبكي ويقول: مابال نعمتي زالت، وأيامي قصرت؟!. فيقال له: ياأحمق! أوما علمت السبب! أولست الجاني على نفسك!.

= ٧/ ٢٤٨ عن وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، طبقات الشافعية ٤/ ١٠١، شذرات الذهب ٤/ ١٠، الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٧ وغيرها. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢. ألف الغزالي كتاب التبر المسبوك باللغة الفارسية ووجهه إلى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، ثم نقل إلى العربية فيما بعد. بيّن فيه مهمات السلطان وقواعد الملك التي يقوم عليها والصفات الواجبة في الولاة والوزراء وأصحاب الأقلام وقد غلف كل ذلك بحكايات تنفع في العظة وأخذ العبر.

(١) وغالب وظائف السلطان التي سيذكرها فيما يلي أشار إليها السبكي، ص ١٦ - ٢٠

(٢) يقال: هو حلٌّ بلٌّ، أي طَلْق، وكذلك الأنثى. وقيل البلّ: المباح. قال عبد المطلب [في زمزم]: لا أحلها لمغتسل، وهيَ لشَارب حِل وبِلّ أي حلال، وبِلّ: إتباع. وَسئل سفيان: ماحِلٌّ وبِلٌّ. فقال: حِلٌّ محلَّل. (لسان العرب).

(٣) حوزة الدين: حدوده ونواحيه (المعجم الوسيط: حوز). ومن المجاز: فلان يحمي حوزة الإسلام (أساس البلاغة).

قال ابن المزرع، واسمه يموت العبدي البصري[١]، توفي بدمشق سنة أربع وأربعمئة: «إنما قصرت أعمار الملوك لكثرة شكاية الخلق إياهم إلى الله».

ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين، وتنزيلهم منازلهم، وكفايتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده. ليس هو فيه إلاّ كواحد منهم، ولدلوه نسبة دلاء المسلمين.

فإن ترك العلماء والفقراء جياعاً في بيوتهم يبيتون -ومنهم من يطوي الليلة والليلتين هو وعياله- وأخذ يبث تعظيم ملكه، ومحاسن سماطه وزينته ولباسه ولباس حاشيته، فذاك جهول.

وإن ضمّ إلى هذا أنه استكثر على الفقهاء مابأيديهم، وتعرض لأوقاف وقفها أهل الخير ممن تقدمه عليهم، فهو بلاء، فإنّ من حقه أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم، وألا يكلهم إليها، بل يرزقهم من بيت المال ماتتم به الكفاية. فإذا تعرض لها فقد خرق حجاب الهيبة.

فإن ضمّ إلى ذلك أنه يبيعها بالبراطيل[٢]، ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزاؤه؟.

ومن وظائفه بيت مال المسلمين. وقد قدّر الشارع المصارف فيه، وجعل لكل مال أقواماً وقدراً. فإن تعدّى هذا كله وصرفه في شهواته ولذّاته، وحَسب أنّ المُلك عبارة عن ذلك، فلا يلم إلاّ نفسه. وإذا جاء سهمٌ رباني لايستوحشَ. وإن أخذ يصرف الأموال على خواصه ومن يريد استمالة قلوبهم إليه لبقاء ملكه، لا لإعزاز الدين، وأعجبه مدائح الشعراء لكرمه، فذلك خُرْق[٣]. وقد امتلأت التواريخ بمن كان يهب الألوف للشعراء، والألوف للمماليك، والألوف للمغاني[٤]. وكل ذلك

(١) شاعر أديب من مشايخ الشام وهو ابن أخت الجاحظ، وكان لايعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ويقول: بليت بالاسم الذي سماني به أبي وسمى نفسه محمداً ولكن اسمه الأول غلب عليه وذكره بعض المؤرخين في المحمدين. له رواية للأخبار وحكايات مات بطبرية وقيل بدمشق (الأعلام ٩/ ٢٧٧).

(٢) البرْطيل: الرشوة. (القاموس: برطل).

(٣) الخُرْقَ: ضد الرفق، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور، والحمقُ (القاموس: خرق).

(٤) يريد المغنّين. وأما المغاني فجمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا (القاموس: غني). وفي عاميّة أهل الشام يستعملون هذه الكلمة للمغنّيات.

وبال على صاحبه. فقد كان بيت المال في زمن عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه أضعاف ماهو اليوم بمالايحصى كثرة. وفتح الله عليه من الفتوحات ما أمره مشهور. وجاءه مع ذلك أعرابي يستمنحه فقال:

ياعمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنّهْ ... اكْسُ بُنيَّاتي وأُمّهُنّهْ
وكن لنا من الزمان جُنّهْ ... أقسم بالله لتفْعَلَنّهْ

فلم يرتح لترققه ولاراعه قسمُه عليه. بل قال: «إن لم أفعل يكن ماذا؟». فقال:

إذاً أبا حفصٍ لأذْهَبَنّهْ

فقال: «وإذا ذهبت يكون ماذا؟». فقال:

تكونُ عن حالي لتُسْألَنّهْ ... يومَ تكونُ الأعْطياتُ هنّهْ[1]
وموقف المسؤول بينهنهْ ... إمّا إلى نارٍ وإمّا جَنّهْ

فلما ذكر الموقف بين يدي الله تعالى والجنة والنار بكى، حتى اخضلّت[2] لحيته بدموعه. وقال: "ياغلام! أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره. أما والله لاأملك غيره.

فانظر مع ماحصل عنده من الرقة الدينية لم يُنْعم إلاّ بما هو من خاصة ماله. ولم يجد غير قميصه. وقد كانت خزائن الأرض مملوءة بين يديه ذهباً.

قال العلماء: ولم يعطه من بيت مال المسلمين، وإن كان الأعرابي فقيراً مستحقاً؛ لأنّه لمّا استنزله بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين، فلم يعطه من مالهم. على أنّه لم يثبت عنده أنّ الأعرابي من جملة مصارف مال الصدقات.

فهذه سيرة أهل الحق والدين. ولسنا نطالب أهل زماننا بهذا؛ فإنهم لايصلون

---

(١) هنّه: أي هنا، أبدلت الألف هاء، أو حذفت، وجيء بهاء السكت ويريد بها هناك. والخبر في معيد النعم ١٩
(٢) اخضلّت: تبللت (لسان العرب).

إلى هذا المقام، ولكن نذكرهم لعلهم يرجعون أو يُقصرون عمّا هم فيه، فلابد في الذكرى من نفع.

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات. ولقد رأينا منهم من يعمر الجوامع ظاناً أن ذلك من أعظم القُرَب. فينبغي أن يفهم مثل ذلك الملك أنّ إقامة جمعتين في بلد لايجوز عند أبي يوسف والشافعي وأكثر العلماء. فإن قيل قد جوّزها قوم، قلنا: إذا فعلت ماهو واجب عليك عند الكل، فذاك الوقت افعل الجائز عند البعض. وأما أنك ترتكب مانهى الله عنه وتترك ماأمر به، ثم تريد أن تعمر الجوامع بأعمال الرعايا ليقال: هذا جامع فلان فلا والله لن يتقبله الله أبداً. وإنّ الله سبحانه طيب لايقبل إلاّ طيباً.

ومن وظائفه منع البدع المحرمة، كتقبيل الأرض بين يديه. فإن كان سجوداً بأن لاقى بجبهته الأرض، قال النووي[1]: «فسواءٌ أكان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود أو غفل هو حرام. وفي بعض صوره مايقتضي الكفر أو يقاربه. عافانا الله الكريم» انتهى، وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال هو من عظائم الذنوب ويخشى أن يكون كفراً.

وفي بعض كتب أئمتنا الحنفية أنّ بعضهم قال: يكفر مطلقاً. وبعضهم قال: إن أراد التحية فهو حرام ولكن لايكفر، وإن لم يكن له نية كفر عند أكثرهم. وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى: ﴿ورفعَ أبويه على العرش وخرّوا له سجداً﴾[2]. والآية منسوخة أو متأولة كما هو معروف في كتب التفسير والعلماء.

---

(١) يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي العلامة المشهور بالحديث والفقه ولد في نوى بحوران سنة ٦٣١هـ وبدا عليه سيماء الصلاح منذ طفولته فحفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى دمشق فنزل في دار الحديث وأخذ عن ابن مالك النحوي صاحب الألفية. ودرّس في دار الحديث الأشرفية وألف وصنف الكثير من المؤلفات المشهورة وكان صاحب ورع وتقوى، لم يأكل من فواكه دمشق وخضارها لأن أغلب أراضيها أوقاف فخشي إن أكل منها أن يطعم حراماً فكان يأكل مما تزوده به أمه من منتجات قريته. الأعلام ٩/ ١٨٤، طبقات الشافعية ٥/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، مفتاح السعادة ١/ ٣٩٨. وله مصنفات كثيرة اشتهر منها رياض الصالحين والأربعون النووية وبستان العارفين وشرح صحيح مسلم وغيرها.

(٢) يوسف، الآية ١٠٠.

والحاصل أنّ السلطان ينبغي أن يكون كما قال حجة الإسلام في كتابه التبر المسبوك[1]: « لما قعد أنوشروان في المملكة كتب إليه يزدكن الوزير: اعلم أيها السلطان أن أمور الملك على ثلاثة أشياء: إمّا أن ينصف رعيته ولا ينتصف منهم، وذلك فضل هذه الدرجة، أو ينصفهم وينتصف منهم، فذلك عدلٌ، وهي الدرجة الوسطى، أو ينتصف ولا ينصف، وهي الدرجة السفلى. فانظر أيها الملك إلى هذه الثلاثة، واختر أيها أردت. وأنا أعلم أن الملك يختار الأولى كما قال الشاعر:

من أنصفَ الناسَ ولم ينتصفْ بفضله منهمْ فذاكَ الأميرُ

ومن يرد إنصافَهمْ مثلَ ما أنصفَ أضحى ما لَهُ نظيرُ

ومن يرد إنصافَهمْ وهو لا ينصفُهُمْ فهو الدنيُّ الحقيرُ »

وقيل إنّ السكر جنون، وإن المجنون يخاف من السكران، لأن المجنون سكره باطن، والسكران جنونه ظاهر. والويل لمن يبقى [في سكر الغفلة دائماً][2] قال الشاعر:

من أسكرته الخمر في [عقله][3] فما عليه إنْ صَحَا من خجلْ

ومن [يكن][3] بالمُلك ذا سكرُهُ يَصْحُ إذا ما المُلك عنه انتقلْ

والمقبل جداً من كان سكر سلطنته صاحياً، وكان المقدم على أعماله ثقةأميناً، وكان جليسه نصوحاً معيناً.

وعلامة شكر السلطان أن يسلم وزارته إلى محتاج معون، ثم يستديه ويتمسك به إلى أن تزول حاجته، وتنقضي فاقته، ثم يعزله وينصب غيره. فيكون مثاله مثال من يربي طفلاً صغيراً، إلى أن يصير بالغاً كبيراً يصلح للأعمال ومضي الأشغال ثم يقتله أو يستأصله.

---

(١) ص ٥٨ - ٥٩، وفي الخبر يونان بدل يزدكن.

(٢) مابين معقوفتين مطموس في الأصل، والتكملة من التبر المسبوك ص ٦٨ والخبر فيه.

(٣) مابين معقوفتين تصحيح ونقص استدرك من التبر المسبوك.

(١) إبراهيم بن أحمد ناصر الباعوني الدمشقي برهان الدين شيخ الأدب في بلاد الشام في عصره. ولد في صفد سنة

وقيل أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض، وهي: إبعاد الأدنياء عن ممالكهم، وعمارة المملكة بتقريب العقلاء، وحفظ آراء المشايخ وأولي الحكمة، والزيادة في أمر الملك بالإقلال من الأعمال الذميمة.

ولما تولى عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن البصري: أن أعنّي بأصحابك. فكتب إليه الحسن: «أما طالب الدنيا فلاينصح لك. وأما طالب الآخرة فلايرغب فيك». انتهى.

وما أحسن قول العلاّمة برهان الدين الباعوني[1]:

أحسنوا أيامَ دولتكُمْ ... إنّكمْ منها على خَطَرِ
واعملوا مادام أمركُمُ ... نافذاً في النَّفع والضررِ
إنّما الدنيا وزينتُها ... طِيْبُ مايبقى من الخبرِ

ولبعضهم[2]:

خنازير ناموا عن المكرمات ... فأنبههم قدر لم ينم
فيا متجهم في الذي خُوّلوا ... ويا حسنهم في زوال النعم

---

(١) إبراهيم بن أحمد ناصر الباعوني الدمشقي برهان الدين شيخ الأدب في بلاد الشام في عصره. ولد في صفد سنة ٧٧٧هـ وانتقل إلى دمشق وزار مصر. عرض عليه قضاء دمشق بإلحاح فأبى. توفي بدمشق سنة ٨٧٠هـ. وكان يلقب بقاضي القضاة. له ديوان شعر وديوان خطب ورسائل وكتاب الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن واختصر الصحاح للجوهري (الأعلام ١/ ٢٣) نقلاً عن البدر الطالع ١/ ٨، نظم العقيان ١٣، الضوء اللامع ١/ ٢٦، هدية العارفين ١/ ٢٠.

(٢) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١/ ١٧٧ منسوبان لمحمود الوراق وفي حماسة الظرفاء ٢/ ١٤٥ لمحمد بن محمد بن عروس ووردا في ديوان جرير ٥٦٥. وللخشعمي في ربيع الأبرار ١/ ٥٧٢ ومن دون نسبة في نصيحة الملوك للماوردي ١٠٦ وبهجة المجالس ١/ ٥٢٤، والزهرة ٦٣١، والبخلاء للبغدادي ٩٧، وغرر الخصائص ٢٨٨، وأوردهما ابن طولون على النحو التالي وقد فضلنا الرواية الصحيحة:

عطوا الحكم فناموا عن المكرمات ... وعين الإله عنهم لم تنم
ما أوحشهم عندما حكموا ... ما أخسهم في زوال النعم

[٣] - منصب الوزارة[١]

وهو اليوم[٢] اسم لمن ينظر في المكوس وغيرها من الأموال التي ترفع إلى السلطان وبيت المال، ومن حقه بذل النصيحة للملك، وكف أذاه عن أموال الرعية، وتخفيف الوطأة عنهم ماأمكنه. وقد علم أن المكوس[٣] حرام. فإن ضمّ الوزير إلى أخذها الإجحاف في ذلك، وتشديد الأمر فيه، والعقوبة عليه، فقد ضمّ حراماً إلى حرام. بل إذا لم يقدر على إبطال حرام، فلا يزيد الطين بلّة، بل لاأقلّ من الرفق والتخفيف.

ومما يجب عليه التيقظ له الأموال التي تجتمع عنده، ومنها حلال، ومنها حرام. فعليه ألاّ يخلطها، بل يدع الحلال بمفرده، والحرام بمفرده. وإلا، فمتى خلطها ولم تتميز صار الكل حراماً.

وفي ذهن كثير من العامة أنّ الأموال إذا خلطت ودخلت بيت المال صارت حلالاً. وهذا جهل؛ فما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام الحلال. وبيت المال لايُحلُّ ماحرّم الله. كذا جعل هذا اللفظ وهو: «ماأجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرَام الحلال» أبو نصر السبكي غير حديث[٤]. وجعله القاضي ناصر الدين البيضاوي في منهاجه[٥] حديثاً مرفوعاً. لكن قال الحافظ زين الدين العراقي[٦] في تخريجه لأحاديث المنهاج المذكور: «لم أجد له أصلاً». انتهى.

---

(١) معيد النعم، ص ٢٧.

(٢) كان منصب الوزارة يلي الخليفة أو السلطان.

(٣) المَكْسُ: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية أو درهم كان يأخذه المُصَدِّق [جابي الصدقات] بعد فراغه من الصدقة (القاموس : مكس) والمقصود هنا الضرائب التي تجبى ظلماً.

(٤) معيد النعم، المرجع السابق.

(٥) انظر ترجمة البيضاوي في الصفحة ١٧.

(٦) عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل المعروف بالحافظ العراقي بحاثة من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد ومولده في رازتان التابعة لإربل، رحل صغيراً مع أبيه إلى مصر فتعلم فيها ونبغ ورحل إلى الحجاز وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٨٠٦هـ. له كتب في الأصول والسيرة والتاريخ والمصطلح وغير ذلك الأعلام ٣/ ١١٩ نقلاً عن الضوء اللامع ٤/ ١٧١، غاية النهاية ١/ ٣٨٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٠٤، ذيل طبقات الحفاظ.

لكن قال البدر ابن قاضي شهبة[1] في شرحه على المنهاج إنّه موقوف على ابن عباس. وقال ابن الملقن[2] في الأشباه: «إنه حديث رواه جابر الجُعْفي[3] - وهو ضعيف - عن الشَّعْبي[4]، عن ابن مسعود. وهو منقطع كما قاله البيهقي. وعورض بحديث ابن عمر مرفوعاً: «لايحرم الحرام الحلال». أخرجه ابن ماجه[5] والدارقطني. ولا معارضة، لأنّ المحكوم به في الأول إعطاء الحلال حكم الحرام تغليباً واحتياطاً، لاصيرورته في نفسه حراماً» انتهى.

ثم إذا ميّز الحلال من الحرام صرف الحلال على أهل العلم والدين، ومن يتحرى أكله ويتعين عليه التخفيف في العقوبات، على من يتوجه عليه بغير حق إذا لم يمكنه دفعها. فليت شعري إذا جلس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخبائث التي لايجوز له أخذها، ودفعها إلى من يأخذها ظلماً، ويصرفها فيما لايحلّ، فكيف يكون وجهه عند الله تعالى! وكيف لايتبادر إليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا! ولذلك ترى عواقبهم شر العواقب في الدنيا والآخرة.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أحمد أبو الفضل بدر الدين الأسدي الشافعي المعروف كسلفه بابن قاضي شهبة، عالم بفقه الشافعية، له اشتغال بالتاريخ، من أهل دمشق وولد بها زار القاهرة واجتمع بعلمائها وناب في القضاء بدمشق من عام ٨٣٩هـ إلى وفاته وكان في عهده الأخير فقيه الشام بلا منازع من كتبه الدر الثمين في سيرة نور الدين الشهيد وشرحان على المنهاج في الفقه أحدهما كبير وهو إرشاد للمحتاج إلى توجيه المنهاج والآخر صغير وهو بداية المحتاج، والمواهب السنية في شرح الأشنهية شرح به كتاب الفرائض لعبد العزيز الأشنهي. الأعلام ٦/ ٥٨ وانظر الضوء اللامع ٧/ ١٥٥ وكشف الظنون ١ ٧٣١.

(٢) عمر بن علي بن أحمد الشافعي، سراج الدين، أبو حفص المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش بالأندلس ولد بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٨٠٤هـ. له نحو ٣٠٠ مصنف الأعلام ٥/ ٢١٨ عن الضوء اللامع ٦/ ١٠٠ خطط مبارك ٤/ ١٠٥، ذيل طبقات الحفاظ، ١٩٧، ٣٦٩.

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله، تابعي من فقهاء الشيعة، من أهل الكوفة، أثنى عليه بعض رجال الحديث، واتهمه آخرون بالقول بالرجعة. كان واسع الرواية، غزير العلم بالدين. مات بالكوفة سنة ١٢٨هـ. الأعلام ٢/ ١٠٥ عن تهذيب التهذيب ٢/ ٤٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٧٦، ذيل المذيل ٩٨، فهرس الطويس ٤٥.

(٤) عامر بن شراحيل الشعبي الحيري، أبو عمرو، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ بالكوفة، ومات بها سنة ١٠٣هـ. اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه ورسوله إلى ملك الروم. وهو من رجال الحديث الثقات. استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً شاعراً. الأعلام ٣/ ٢٥١، عن تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٤، حلية الأولياء ٤/ ٣١٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧.

(٥) رواه ابن ماجه في النكاح ٦٣.

[٤] - منصب نوّاب السلطنة[١]

عليهم مثلما على السلطان، ويزدادون أنّ من حقهم مراجعته إذا أمر بما يخالف المصلحة، وازديادهم من تفقد حال الرعية، صغيرهم وكبيرهم، جليلهم وحقيرهم، غنيهم وفقيرهم، والنظر في القرى والغلاّت ونحو ذلك، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها من ذوي المناصب والكفاية والحاجة، وتولية المناصب لأهلها.

فإن اعتذر نائب السلطنة بأنّ الزمان لايمكنه من ذلك قلنا له ولغيره: أنتم مطالبون بكل ما نأمركم به مما تصل إليه قدرتكم فعليكم الجد والاجتهاد والله يعين العباد.

ومن حقهم إقامة فقيه في كل قرية لافقيه فيها، يعلّم أهلها أمر دينهم. ومن العجب أنّ أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً، ويستصحبونه في أسفارهم بمعلوم من بيت المال، ولايتخذون فقيهاً يعلمهم الدين؛ وماذاك إلا لأنّ أمر أبدانهم أهم عندهم من أمر أديانهم. نعوذ بالله من الخذلان.

ومن حقهم إلقاء مقاليد الأحكام إلى الشرع فإنه لا حاكم إلاّ الله. ولن تفعل العقول شيئاً. فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة انقياده للشرع وينسبه إلى اللين والرخاوة فاعلم أنه يخشى عليه أن يكون ممن طُبع[٢] على قلبه وأن عاقبته غير حميدة. بل حقٌّ على كل مسلم الرضا بحكم الله والانقيادُ له. ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[٣] الظالمون، الفاسقون.

ومن حقهم دفع أهل البدع والأهواء، وكف شرهم عن المسلمين، فلا يسعهم في دين الله الصبر على من يسبّ الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقذف أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويفسد عقائد أهل الدين. بل يجب عليهم الغلظة على هؤلاء بحسب ماتقتضيه المذاهب.

---

(١) انظر امعيد النعم ٢١ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٨ .

(٣) المائدة، الآيات ٤٤ - ٤٧ .

وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد في العقائد واحدة، إلا من لحق بها من أهل الاعتزال والتعطيل والتجسيم. وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي[١] التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول، ويدينون الله سبحانه برأي شيخي أهل السنة أبي منصور الماتريدي[٢]، وأبي الحسن الأشعري[٣] اللذين لم يعارضهما إلا مبتدع؛ ويسفكون سفك دم من ينتقص جناب سيدنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، أو يسبه، فإنّ ذلك مرتدّ كافر، ذهب كثير من العلماء إلى أن توبته لاتقبل، وهو اختيار طوائف من المتأخرين. فإن كان الذي وقع منه هذا من تكرر هذا الحال منه، أو عرف بسوء العقيدة وصحبة المشهورين بذلك، أو وقع منه ماوقع على وجه فظيع، تشهد القرائن فيه بخبث الباطن، فإنّ رأيي ألا تقبل توبته، ويسفك دمه، تبعاً لما اختاره الإمام العيني[٤] من أئمتنا المتأخرين. وهو

---

(١) أحمد بن محمد، الطحاوي، ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ورحل إلى الشام. اتصل بأحمد بن طولون حاكم مصر فكان مَن خاصته وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ اشتهرت عقيدته في التوحيد وله آثار منها المختصر في الفقه ومشكل الآثار ٤ أجزاء في الحديث وبيان السنة والمحاضر والسجلات. الأعلام ١/ ١٩٦ نقلاً من ابن خلكان ١/ ١٩، خطط مبارك ١٣/ ٣٠، لسان الميزان ١/ ٢٧٤، البداية والنهاية ١١/ ١٧٤.

(٢) أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود نسبة إلى ماتريد محلة بسمرقند، أحد أئمة علم الكلام مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ وله من الكتب التوحيد وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة ومآخذ الشرائع في أصول الفقه والجدل وغير ذلك. الأعلام ٧/ ٢٤٢ نقلاً عن الفوائد البهية ١٩٥، مفتاح السعادة ٢/ ٢١، الجواهر المضيّة ٢/ ١٣٠

(٣) أبو الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينسب لسيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وهو مؤسس مذهب الأشاعرة، من أئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ وقيل بلغت مصنفاته ٣٠٠ كتاب. الأعلام ٥/ ٦٩ نقلاً عن طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥، ابن خلكان ١/ ٣٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٧، الجواهر المضية ١/ ٣٥٣.

(٤) محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار المحدثين، أصله من حلب وولد في عينتاب وإليها نسبته، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عدّ من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه وكان يكرمه ويقدمه، ثم انصرف عن وظائفه وعكف على التدريس والتصنيف حتى وفاته في القاهرة سنة ٨٥٥هـ وترك آثاراً كثيرة في الحديث والتاريخ والمصطلح والأدب وغير ذلك. الضوء اللامع ١٠/ ١٣١، شذرات الذهب ٧/ ٢٨٦، خطط مبارك ٦/ ١٠، الأعلام ٧/ ١٦٣

رأي الشيخ تاج الدين السبكي، تبعاً لوالده الإمام أبي الحسن[١] ورأي الشيخ تقي الدين بن تيمية[٢]، وخلق.

ومن حقهم النظر في أمر المفسدين من قطاع الطريق وأهل الفتن كالعشران[٣] وغيرهم، والغلظة والتشديد عليهم. وإن رأى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم[٤]، والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم، وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة، لا التشهّي وحظّ النفس ومحبة شياع[٥] الاسم بالانتقام، فإنّ ذلك فنّ من الجنون. فقد كان ملك الصحابة [رضي الله عنهم] أوسع، وأمرهم أنفذ، ولم يحبوا أن يشيع اسمهم إلا بالعدل والرفق، لا بالعَسْف[٦] والظلم.

و[منها] الاهتمام بالنظر في أمر دواداريتهم. فأكثر ماينشأ فساد بابهم عنهم وهم غافلون. فإذا عرف نائب السلطنة أن ميزان بابه الدوادار، فحق عليه الاحتياط في أمره وعدم الإصغاء إليه فيما يقوله. بل يستوضح الحال، ويستكشفه من بطانة الخير عنده؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مامن ملك أو أمير إلا وله

---

(١) انظر ترجمة تاج الدين السبكي ووالده تقي الدين في المقدمة.

(٢) أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي المعروف بابن تيمية الحنبلي، شيخ الإسلام، وأحد الأئمة المعروفين، ولد بحرّان وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطُلب إلى مصر للفتوى فأفتى بها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية ثم أُطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق ثم أعيد ومات بقلعة دمشق سنة٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية إصلاح في الدين آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، برع في التفسير والعلوم وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، قيل إنه صنف نحواً من ٣٠٠ مجلد. الأعلام ١/ ١٤٤ نقلاً عن فوات الوفيات ١/ ٣٥-٤٥، الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٣) ولعل الأصح: عشائر وعشيرات (كما جاء في المصباح المنير) وربما استعمل هذه الكلمة كما يستعملها عامة دمشق ويريدون بها البدو.

(٤) التعزير: عقوبة غير مقدرة حقاً لله تعالى أو العبد وسببه ماليس فيه حد من المعاصي الفعلية أو القولية، فهو تأديب دون الحد. جامع العلوم ١/ ٣٢٦

(٥) ولعل الأوفق أن يقال: شيوع. وفي مختار الصحاح: شاع الخبر يشيع شيوعة: ذاع. وفي المصباح المنير: ظهر.

(٦) العَسْف بفتح العين وسكون السين الأخذ على غير الطريق وبابه ضرب وكذا التعسُّف والاعتساف والعَسُوف: الظَّلوم. (مختار الصحاح) وعَسَفه: أخذه بقوّة. وعسفتُ الطريق إذا سلكته على غير قصد (المصباح المنير).

بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه»[1]. وقد صار في زمننا هذا أكثر ماينشأ فساد أبوابهم من الاستدارية. فحق عليهم تطلّب أحوالهم في كل وقت، ليصرف ماهم عليه، فإن كانوا على شر قابلهم.

[٥] - منصب الدواوين [2]

وظيفة مُشدِّهم[3] استخلاص مايتقرر في الديوان على من تعسر استخلاصه منه. والكلام فيه كالكلام في الوزير. وهو أشد حالاً؛ لأنّ الوزير يدّعي أنه يعرف الحساب، ولايؤاخذ إلا بما تقرر في الديوان. وهذا يقلد الوزير، فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة. بل حق له لو رفع إليه من توجه عليه حق تعيّن أن يرفق به.

حكي أن المنصور رحمه الله بلغه عن جماعة من كتّاب الدواوين خيانة، فأمر بعقوبتهم، فقال صبي منهم وهو يضرب[4]:

أطالَ اللهُ [عـمـركَ] في صَلاحٍ ... وَعزٍّ ياأمـيـرَ المؤمنينَا

بعفوكَ أستجيرُ فإنْ تُجازي ... فإنَّك عصمةٌ للعالمينَا

ونحنُ الكاتبونَ وقدْ أسأنَا ... فهبْنَا للكرامِ الكاتبينَا

---

(١) أخرجه النسائي عن أبي هريرة بلفظ «مامن وال إلا وله بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لاتألوه خبالاً، فمن وقي شرها فقد وقي وهو من التي تغلب عليه منهما». ٧/ ١٥٨ في البيعة باب بطانة الإمام وأخرج البخاري ١٣/ ١٦٤ في الأحكام باب بطانة الإمام وأهل مشورته من حديث أبي سعيد والنسائي في البيعة باب بطانة الإمام ٧/ ١٥٨ قوله صلى الله عليه وسلم: «مابعث الله من نبي ولااستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه وبطانة تأمره بالشّر وتحضّه عليه، والمعصوم من عصم الله».

(٢) معيد النعم، ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) مُشدّ، أوشادّ هو المفتش أو الناظر والمدير والوظيفة تسمى الشاديّة (معجم الألفاظ التاريخية ص ٩٥) ولعلها من شدّ الهمة.

(٤) الأبيات في الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦٨ ط القاهرة ١٣٢٧/ ١٩٠٩. والوزراء والكتاب للجهشياري ص ١٣٦ وقد ورد في الأصل مابين المعقوفتين (عزك).

وأمر الدواوين في سائر الجهات إلى الوزراء مرجعهم إن كانوا دواوين السلطان. وإن كانوا دواوين الأمراء فأمر كل ديوان إلى مخدومه.

وعلى الكل أداء الأمانة وتجنب الخيانة. ويختص ديوان الأمير بالرفق في الفلاّحين.

ويعمّ الكل تجنب حرمات الله تعالى على ماوصفناه. فقد كثر [منهم اتخاذ](١) دُوِيّ(٢) الذهب، أو المحلاة بالذهب والفضّة. وأما السكاكين، فقال في الغنية للغَزميني (٣) من أئمتنا: «ولابأس باستعمال سكين قبيعته ورأس نصابه فضة، إذا كان اعتماده على غير موضع الفضة» انتهى(٤). والأصح عند الشافعية تحريم ذلك كله. إلا أن يكون قد تموّه بقدر لايحصل منه شيء بالعرض على النار.

سمع بعضهم وقد قرأ منقوشاً على بعض دوي الكتّاب:

دواتُنا سعيدةٌ ليسَ لها منْ مَتْرَبَهْ(٥)
عروسُ حُسن جُلِيَتْ منقوشةٌ مُكَتَّبَهْ(٦)
قد انطلتْ حِيلَتُها على الكرامِ الكَتَبَهْ

لم تنطل إلا على اللصوص، الكتبة في المكوس(٦).

---

(١) مابين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم.

(٢) الدواة: ج دَوِيّ ودُوِيّ بالضم والكسر (القاموس: دوي).

(٣) هو مختار بنَ محمود بن محمد، أبو الرجا نجم الدين الزاهدي الغزميني، فقيه من أكابر الحنفية من أهل غزين بخوارزم، رحل إلى بغداد والروم، له مؤلفات في الفقه وغيره. الأعلام ٨/ ٧٢ عن الفوائد البهية ٢١٢، الجواهر المضيّة ٢/ ١٦٦. وأما الغنية فاسمه (قنية المنية لتتميم الغنية) في الفقه الحنفي. قال في كشف الظنون ٢/ ١٢١: «مع أن القنية من الكتب غير المعتبرة وقد نقل عنها بعض العلماء في كتبهم لكنها مشهورة عند العلماء بضعف الرواية وصاحبها معتزلي، ذكر في أولها أنه استصفاها من منية الفقهاء لأستاذه بديع بن أبي منصور العراقي. طبع هذا الكتاب في مجلد كبير بمدينة كلكته سنة ١٢٤٥هـ.

(٤) قنية المنية ص ١٦١. والقبيعة ما على طرف مقبض السكين من الفضة، وربما اتخذت على رأس السكين. تاج العروس: قبع.

(٥) متربة: مسكنة وفاقة (مختار الصحاح).

(٦) أورد هذه الجملة بعد البيت الأخير خوفاً من أن يُتوهم بأن المراد الملائكة الكرام الكاتبون.

فـإذا رأيت ديواناً [من وزير أو غـيـره][1] يخرج من بيته بعد أن امتـلأ بطنه بالحرام، وهو لابس الحرام، وجلس على الحرام، وفتح الدواة الحرام، وأخذ يمدّ الأقلام في الحرام، ثم عاقب للحرام. أفليس حقاً إذا رأيته بعد زمن يسير مضروباً بالمقارع، يطاف به في الأسواق، ويجنى عليه. وخصوصاً إن كان من السمرة[2] أو النصارى. فلقد كثر استعمالهم دواوين في هذه الأيام، وهو من أقوى المصائب العظام.

(١) مابين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم. ويبدو أن المقصود بالديوان هنا الكاتب بالديوان.

(٢) السمرة: هم اليهود السامريون نسبة إلى جبال السامرة في فلسطين، وقد استعمل ابن طولون هذه اللفظة في مؤلفاته للدلالة على اليهود. انظر إعلام الورى ص ٢٨٧ طبعة دار الفكر بدمشق لعام ١٩٨٣م.

[٦] - منصب الولاة[١]

وكان هذا الاسم وهو الوالي قديماً يسمى به نائب السلطان، وهو الآن اسم لمن إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والخمارين وغيرهم.

ومن حقه الفحص عن المنكرات، من الخمر والحشيش وبنات الخطا[٢]، وغير ذلك، وسدّ الذريعة فيه، والستر على من ستره الله تعالى من أرباب المعاصي، وإقالة ذوي الهيئات عثراتهم.

وليس له أن يتجسس على الناس، ويبحث عما هم فيه من المنكر، ولا كبس بيوتهم بمجرد القيل والقال. قال الله تعالى: ﴿ولاتجسسوا﴾[٣]. وثبت في صحيح مسلم[٤] أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولاتجسسوا». قال العلماء: أراد بالظنّ سوء الظنّ. وقيل لابن مسعود: «هذا فلان تقطر لحيته خمراً». فقال: «إنّا نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به» أخرجه أبو داود[٥] وعن معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّك إن اتّبعت عورات المسلمين أفسدتهم» أخرجه أبو داود

---

(١) معيد النعم، ص ٤٣

(٢) استعمل العامة في الشام من قبل هذه الكلمة للبغايا.

(٣) الحجرات، الآية ١٢، وتمامها: ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾.

(٤) برقم ٢٥٦٣ في البر والصلة، باب تحريم الظنّ والتجسس والتنافس وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه وبقية الحديث: «ولاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره، التقوى هاهنا التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. ورواه البخاري ٩/ ١٧١ في النكاح، باب لايخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، وفي باب ماينهى عن التحاسد والتدابر، وباب الفرائض، وباب تعليم الفرائض.

(٥) برقم ٤٨٩٠ في الأدب، باب النهي عن التجسس وإسناده حسن، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٧٧ وصححه، وأقره الذهبي، وهو في أبي داود عن زيد بن وهب الجهني قال: أتي ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته.. الحديث».

أيضاً[1]. فقل لجاهل يخطر له أنه يصلح الناس بتتبع عوراتهم: رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البشر، وقد قال: « إنك إن اتبعتها أفسدتهم أو كدت ». بل حق على الوالي إذا تيقن أن يبعث سراً رجلاً مأموناً ينهى عن المنكر بقدر مانهى الله تعالى، ولايزيد على ذلك.

ومايفعله الولاة من إخراج القوم من بيوتهم، وإرعابهم، وإزعاجهم، وهتكهم، كل ذلك من تعدي حدود الله والإثم القبيح. وليس للوالي غير أن يجلدهم فقط بسوط معتدل، بين القضيب والعصا، لارطب ولايابس. ويفرق السياط على الأعضاء، ويتقي الوجه والمقاتل.

وعند أبي حنيفة يتقي الرأس، وهو مذهب علي [رضي الله عنه][2]. ولايتقيه على الصحيح من مذهب الشافعي، وهو مذهب أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][2]، وإليه ذهب أبو يوسف. ولايجرد عن ثيابه، بل عن مقدار مايدفع وصول الألم.

ولايقام حد الخمر في السكر، بل يؤخر حتى يفيق، فإن أقامه في السكر أخطأ ولم يعده إذا أفاق.

فإن ضمّ إلى ذلك أخذ مال منهم تسميه الولاة التأديب والجنايات، فاعلم أنّ صفقته خاسرة. آلله أمره بهذا حتى يعمله مع خلقه! والذي يجب عليه التأديب هذا الوالي الذي يأخذ مال الناس من غير حلّه.

فإن ضمّ إلى ذلك أنه حدّ الخامل الفقير، ولم يحدّ المتجني الغني، فقد ضم ظلماً إلى ظلم. فإن زاد وأخرج القوم من بيوتهم، وهتك حريمهم فقد باء بأقبح إثم. فإنّ الله لم يأمر بذلك، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.

ومن الولاة من يتجاوز في الضرب إلى المقارع ويقوم في إيصال الآلام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظنّ. أفما علم أنّ ضرب بريء أصعب عند الله من تخلية ذي جريمة.

---

(١) برقم ٤٨٨٨ في الأدب، باب النهي عن التجسس وإسناده حسن، ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه. وبقية الحديث -«.. أو كدت تفسدهم. قال أبوالدرداء [رضي الله عنه]: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها.

(٢) مابين معقوفتين زيادة عن الأصل.

وبعض من طبع الله على قلبه من الولاة يأمر بالرجل أن يجرد، فإذا شرع الجلاد في ضربه قام الوالي إلى الصلاة، وأطال، فيستمر المضروب تحت الضرب بالعصي أو المقارع مادام الوالي في الصلاة، فقبحه الله، آلله أمره بهذا! وأيُّ صلاة هذه! .

وبعضهم إذا رفع إليه من أزال بكارة امرأة أمروه بزواجها، وكذلك إذا أحبلها؛ ظناً منهم أن ذلك خير من ضياع الولد بلا نسب وهتيكة الزنا. وهذا خلاف دين الله، فإن ولد الزنا لايلحق بالزاني، ولايكون ابناً له، ولايرثه. فيفعلون حراماً مستمراً أبد الآباد، وهو جعل ولد الزنا ابناً يرث الزاني، ويصلي عليه. إلى غير ذلك من أحكام الأبناء. وحكم الله فيمن أزال بكارة امرأة إن كانت مُكرهَة أنه يجب عليه مهر مثلها بكراً. وعند الشافعي في الأصح، وأرش البكارة أيضاً[1] .

(١) الأرش: دية الجوارح والأعضاء، يقال ذلك لما قلّ منها وكثر. (الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبي منصور الأزهري ٣٦٦ ط الكويت ١٣٩٩) والمقصود هنا خدش البكارة. وفي الحاشية رقم ٤ من معيد النعم ص ٤٥: يريد بأرش البكارة الفرق بين قيمة المجني عليه سليماً، وقيمته معيباً، بفرضه رقيقاً، فهنا يقدر قيمة المزني بهاعلى فرض أنها أمة وهي بكر، وقيمتها وهي ثيب. والأرش مابين القيمتين.

[٧] - منصب العمّال على الزكاة

ويقال لمن يأخذ الصدقات من التجار بنصب الإمام له في ذلك: العاشر. فيأخذ من المسلم ربع العشر، ومن الذمّي ضعفه، ومن الحربي العشر. وعليه أن يحميهم من اللصوص وقطاع الطريق في الأموال الظاهرة والباطنة. وماورد من ذمّ العشّار فمحمول على من يأخذ أموال الناس ظلماً كما يفعله الظلمة اليوم.

ولمن يأخذ زكاة السوائم بنصب الإمام له في ذلك عدّاد الغنم. وعليه أن يحميهم من العربان واللصوص وقطاع الطريق. ولو وجب سن على رب السوائم ولم يوجد عنده، دفع بها أعلى من السنّ التي وجبت وأخذ الفضل من العدّاد أو دونها، وردّ الفضل إلى العدّاد أو دفع القيمة. والخيار في ذلك لرب المال. ويجبر العدّاد على القبول، إلا إذا دفع أعلى منها، وطلب الفضل.

ويصرف إلى العامل بقدر عمله، فيعطيه الإمام مايسعه وأعوانه، وإن استغرقت كفايتهم الزكاة. ولايزاد على النصف عند أئمتنا الحنفية. وعند الشافعي ومالك وأحمد في رواية يُعطى له ثمن الحاصل من الصدقات أو عشرها، حتى إنه لايظلم أحداً.

والآن صار يظلمُ أربابَ الأموال، ويرشي من ولاّه ببعضِ ماظلمه.

[٨] - منصب القضاة[١]

وقَد خصّ جماعة من الأئمة كتاب القضاة بالتصنيف، وأشهرها عند أئمتنا الحنفية كتاب آداب القضاة للخصّاف[٢].

ويحرم على القاضي أن يأخذ القضاء بالرشوة. فلو أخذ بها لايصير قاضياً، فلا تصح عقوده وفسوخه. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي[٣]. وقيل الراشي أيضاً هو الذي يمشي بينهما. وتؤخذ الرشوة على يده. وهذا الوعيد ظاهر في قضاة زماننا. ومنهم من يتولى بالرشوة، فإذا عوتب عليه يدّعي أنما بذله صوناً للمنصب عن وقوعه في أيدي الجهلة والله لايخفى عليه شيء.

وقبول الهدايا من أقبح مايرتكبه القضاة. وعليه أن يردها لأنها شبيهة بالرشوة إلاّ من ذي رحم مَحْرم؛ لأنّ في ردها منهم قطيعة رحم وهي حرام، أو ممن جرت عادته بذلك، لعدم التهمة، حتى لو كانت لها خصومة. أو زاد على العادة يردّها؛ لأنها حينئذ لأجل القضاء فتكون من الرشوة.

قال التاج السبكي: « وقد عُلم أن مذهب الشافعي [رضي الله تعالى عنه][٤]، أنه لايجوز له أن يقبل الهدية ممن لم تكن له عادة أن يهاديه قبل ولايته القضاء، ولاممن كانت له عادة مادامت له حكومة. [والمذاهب في المسألة معروفة][٤]. وأنا

---

(١) معيد النعم، ص ٥٥.

(٢) هو أحمد بن عمر بن مهير الشيباني، أبو بكر الخصّاف، فرضي حاسب فقيه. كان مقدّماً عند الخليفة المهتدي بالله. فلما قتل المهتدي نُهب، فذهب بعض كتبه. كان ورعاً، يأكل من كسب يده. توفي ببغداد سنة ٢٦١هـ قال كاتب جلبي: وكتابه آداب القضاة مرتب على ١٢٠ باباً وهو كتاب جامع غاية مافي الباب ونهاية مآرب الطلاب، ولذلك تلقوه بالقبول وشرحه فحول أئمة الفروع والأصول. كشف الظنون ١/ ٥٨.

(٣) لفظ الحديث: لعن الله الراشي والمرتشي. مشكاة المصابيح برقم ٣٧٥٥ ومسند الإمام أحمد ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، ومستدرك الحاكم ٤/ ١٠٣ ومجمع الزوائد ٤/ ١٩٩. وفي رواية أخرى لعنة الله على الراشي والمرتشي، مسند الإمام أحمد ٢/ ٢١٢، كنز العمال برقم ١٥٠٧٨، وسنن البيهقي برقم ٢٣١٣.

(٤) مابين معقوفتين زيادة عن الأصل. استدركناه من معيد النعم.

أعتقد أنه يحرم على القاضي قبول هدية من يُهدي للقاضي في العرف ليستميل خاطره لقضاء إرْبه، وذلك يشمل كل من دون القاضي، ومن هو مثله ممن قد يحتاج إلى القاضي، وكثيراً ممن هو فوقه. ويخرج بعض من هو فوق القاضي، كالملوك الذين يصل إلى القاضي إنعامهم، ولايقصدون بذلك استمالة خاطره لقضاء حوائجهم عنده؛ فإنّ حوائجهم عنده إن كان ممن يراعيهم لاتحتاج إلى الهدية، لما لهم من الجاه. ،إلاّ فلا تفيد الهدية. فأقول: يحرم قبول هدية القسم الأول، كانت له عادة قبل القضاء أم لم تكن، كانت له حكومة أم لم تكن. ويجوز قبول هدية القسم الثاني بشرطين: أحدهما أن يجد القاضي من نفسه أنّ حاله لم تتغير في التصميم على الحق، وأنه قَبْل الهدية كهو بعدها. وهذا يتأتى مثالاً في هدايا الملوك، ولايتأتى في غيرهم. والثاني أن تجري عادة ذلك الملك بفعل برٍّ مع من هو في منصب هذا القاضي. وإنما خصصت فصل الهدية بباب القضاء وإن كانت تشمل كل ولي أمر؛ لأنها من القاضي أقبح. ومن محاسن الشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالى كتاب فصل المقال في هدايا العمال اشتمل على فوائد نفيسة، فلينظره من شاء»[1].

ومما يتعيّن على القاضي تفهيم الملك الحكم الشرعي فيما ينهي إليه من الوقائع، ومناضلته عنده عنها، وإفهامه أنّ ذلك هو الحق الذي إن حاد عنه هلك، وإن اعتمده نجا.

وأن ينظر في أمر الأوقاف والمستحقين من المشتغلين والمحتاجين وغيرهم، وخصوصاً قاضي البلد الكبير؛ لأنه كبير القضاة، وله النظر العام في الأوقاف وغيرها، فهو بذلك أمسّ.

ومما هوّنت بعض القضاة فيه الأمرَ الحكمُ بالصحة، فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك والحيازة، والحال أنه يشترط به كون المبيع منتفعاً به مقدوراً على تسليمه، مملوكاً للعاقد أو لمن يقع له العقد، مرئياً رؤية لاتتقدم على العقد بزمان يمكن التغير فيه معلوماً، وكل واحد من البائع والمشتري عاقلاً رشيداً، غير محجور

(١) معيد النعم، ص ٥٥ - ٥٦ .

عليه في تلك السلعة المبيعة، وكون الثمن المعيّن مستجمعاً شروط المبيع. وأما الذي في الذّمة فالعلم بقدره ووصفه، وكون العقد بإيجاب وقبول، لايطول الفصل بينهما، ولايقترن به شرط مفسد، وأن ينقضي الخيار والحال على ذلك، والدعوى والإنكار وقيام البيّنة بما ليس بظاهر وجوده من هذه الأشياء، وسؤال الحاكم، وحضور المحكوم عليه، أو وكيله، أو المنصوب عنه. والإعذار[1] مختلف فيه.

ووصيتي لكل قاض ألا يحكم إلاّ به، ولايحكم بعلمه، بل بالبينة. فإيّاك ثم إيّاك أن تقدم على الحكم بغير علم فتدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: «قاض قضى بالحق وهو لايعلم، فهو في النّار»[2]. فإذا كان هذا الذي قضى بالحق وهو لايعلم في النار، فالذي قضى بغير الحق، كيف يكون حاله!.

واستحضر بقلبك غداً يوم القيامة، إذا انتصب الجبار جلّ جلاله لفصل القضاء، وجيء بالنبيين والشهداء، وجيء بك يامسكين، وأنت كالقمحة. بل كالذرة بين أرجل الناس، بل أقل من ذلك، وفي ذلك الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أنت نائبه، وقد بلغك شريعته، وجبريل الذي نزل بها عليه، ورسل الله وأنبيائه وملائكته، والصديقون والشهداء عليهم الصلاة والسلام كالسرج المضيئة في ذلك المشهد بين يدي الله تعالى، وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه: لم حكمت في هذا الأمر؟ ومن بلّغك هذا عني؟. ونظرت يميناً وشمالاً، فلم تجد هنالك سلطاناً ولاأميراً ولا كبيراً ممن سوّل لك ذلك الحكم، ورأيت نفسك وحيداً ذليلاً حقيراً، ونظرت إلى النبي صلى الله عليه وسلّم وهو المقدّم في ذلك المشهد العظيم الذي ترجو شفاعته، وقد حكمت بغير شريعته، كيف يبقى وجهك معه! أم كيف يبقى حالك عنده! وسائرُ الأنبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف ينظرون إليك، والله سبحانه ينظرك. هل ينفعك أحد في ذلك

---

(١) الإعذار: أن يرسل القاضي من ينادي على باب المدعي عليه الغائب ثلاث مرات: يافلان احضر مجلس الحكم، وإلا نصّب عنك من يكون وكيلاً وقبلت البينة عليك. (معيد النعم، الحاشية رقم ٤، ص ٥٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ٤/ ٩٠، وأورده في كنز العمال برقم ١٤٩٨٢، ١٥٠٠٤. وفي كشف الخفا ٢/ ١٤٤ وبروايات مختلفة.

الوقت، أو مال، أو جاه، أو غير ذلك! كلا والله، لاينفعك! فانظر يامسكين هذا الموقف. فما علمت أنه ينجيك فيه لاتستحي بسببه فيه، فافعله. وما سوى ذلك كن منه على حذر، ولو طلبه منك أكبر ملوك الأرض بملئها ذهباً. وإن قيل لك قد يكون توقفك تركاً للحكم الواجب، فقل إنما يكون واجباً إذا ظهر، وعند الشكّ لا. وإذا دار الأمر بين الترك مع الشكّ، والإقدام مع الشكّ، كان الترك أسهل، لأنه أخف وأقل جرأة. وينبغي أن تقصد بالحكم وجه الله تعالى، فلا يكون حكمك به لمخلوق، ولا لغرض من أغراض الدنيا، فبذلك تكمل العبادة فيه؛ فإنّ القضاء من أشرف العبادات وأقوى الفرائض، وتنال الأجر من خالقك. وإن حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم، ولكن لايكون لك فيه أجر.

واعلم أنه لايشترط وجود القُربة عند الحكم، بل يكتفى به في أهل ولاية القضاء، لأنه قد يشق استحضاره في كل حال، فيكتفى به عند الدخول في أوله، كما أكتفي بنية الجهاد في أول خروج المجاهد.

ومن حقه أن يتحرى في تولية النواب له، وأن يكون ذلك النائب موثوقاً به في أمانته وعقله ودينه وفهمه، عالماً بالفقه والسنة. انتهى ملخصاً.

[٩] - منصب الحسبة[(١)]

وعليه النظر في القوت، وكشف غمّة المسلمين فيما تدعو حاجتهم إليه من ذلك، والاحتراز في المشروب؛ فطالما أوهم الخمّارُ أنه فُقّاعي، أو أقسماوي[(٢)]، والمأكول؛ فطالما أوهم الطباخُ أن لحم الكلاب لحم ضأن. فليتق الله ربه، ولايكن سبباً في إدخال جوف المسلمين ماكرهه الله سبحانه لهم من الخبائث.

ويحرم عليه التسعير، إلاّ أن يتعدى أرباب الطعام تعدياً فاحشاً في القيمة. ولابأس في ذلك بمشورة أهل الخبرة. وإذا سعّر انقاد الرعية لحكمه، ومن خالفه استحق التعزير.

ومن مهماته أمران ارتبطا به: أحدهما، النقود من الذهب والفضة المضروبين، ولايخفى أن في زغلهما هلاك أموال البشر، فعليه اعتبار العيار بمحكّ النظر، والتثبت في سكّة المسلمين[(٣)]. وفي عصرنا هذا لم يبق هذا الأمر متعلقاً به، بل بوليّ الأمر.

وثانيهما، المياه، فعليه الاحتراز في سياقها.

وقد جرت عادة أناس في الشام[(٤)] أن يشتري بعضهم قدراً معلوماً من ماء نهر ثورا[(٥)] مثلاً، ويتحيّل لصحته بأن يورد العقد على محله بما له فيه من حق الماء،

(١) معيد النعم، ص ٦٥

(٢) الفُقّاع: شراب يتخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزبد (لسان العرب) والأقسماد: شراب مطيبٌ بماء الورد مبّرد ومحلّى. (معجم الألفاظ التاريخية ٢١) والفقاعي والأقسماوي منسوبان إليهما.

(٣) السكّة: حديدة منقوشة تضرب عليها النقود. وتسمى الدراهم والدنانير سكة لأنها تطبع بالحديدة المعلمة لها. تاج العروس.

(٤) أي في دمشق.

(٥) أحد فروع نهر بردى بدمشق.

وهو كذا إصبعاً، ثم يسوقه، ويحمله على مياه الناس برضى طائفة يسيرة منهم. وكان الإمام أبو الحسن السبكي[1] يشدد النكير في هذا. وله فيه مصنف سمّاه: (الكلام على أنهار دمشق).

والحاصل أنّ الخلق في أنهار دمشق سواء، يُقدَّم الأعلى منهم فالأعلى. ولايجوز بيع شيء من الماء ولا مقرّه، ولايفيد رضى قوم ولا كلهم؛ لأنهم لايملكون الانتفاع، بل ولا رضى أهل الشام بجملتهم، لأنّ رضاهم لايكون رضى من يحدث بعدهم من الخلق.

وفي عصرنا هذا لم يبق الأمر متعلقاً به، بل بناظر الأنهر، ومشدّها[2]، وعاملها.

(١) هو تقي الدين السبكي، ومرت ترجمته في المقدمة.
(٢) سبق الإشارة إلى كلمة المشدّ ومعناها في منصب الدوارين.

[١٠] - منصب شيخ الإسلام[١]

وهو يطلق على ما استقرئ من صنيع المعتبرين على المتبع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع المعرفة بقواعد العلم، والتبحر في الاطلاع على أقوال العلماء والتمكن من تخريج الحوادث على النصوص، ومعرفة المعقول والمنقول على الوضع المرضي.

وربما وصف به من بلغ درجة الولاية، وتبرك الناسُ به حياً وميتاً، وكذا من سلك في الإسلام طريقة أهله، وسلم من شرَّة[٢] الشباب وجهله، وكذا من صار هو العمدة، والمَفْزع إليه في الشدّة، كما هو مَراد العامة. وقد يوصف به من شاب في الإسلام، وانفرد عن أقرانه بطول العمر ودخل في عداد من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً.

ولم تكن هذه اللفظة[٣] مشهورة بين القدماء بعد الشيخين؛ الصدّيق والفاروق رضي الله عنهما، الوارد وصفهما بذلك عن علي رضي الله عنه، كما ذكره المحبّ الطبري في (الرياض النضرة)[٤] له بلا إسناد، عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! سمعتك آنفاً

---

(١) لم يذكر السبكي هذا المنصب في معيد النعم، وإنما تحدث عن العلماء ص ٦٧ ومابعد، ومنه أخذ ابن طولون بعض ماذكر في هذا المنصب.

(٢) شرَّة الشباب: حرصه ونشاطه. وكذا مصدر الشر (مختار الصحاح: شرر).

(٣) لفَظة شيخ الإسلام.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس محب الدين، حافظ فقيه شافعي، شيخ الحرم المكي، من أهل مكة ولد فيها، وفيها توفي سنة ٦٩٤ وله غير كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة (جزآن) ط الأولى مصر ١٣٢٧هـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، والقرى في ساكن أم القرى، والأحكام (٦ مجلدات) وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى. الأعلام ١/ ١٥٢ نقلاً عن النجوم الزاهرة ٨/ ٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٥، وطبقات الشافعية ٥/ ٨. ولم أجد النص الذي أورده في الرياض النضرة في مناقب العشرة.

تقول على المنبر: اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين. فمن هم؟ قال: فاغرورقت عيناه وأهملهما، ثم قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدي الى صراط مستقيم، من تمسك بهما فهو في حزب الله. وحزب الله هم المفلحون».

واشتهر بها أبو إسماعيل الهروي واسمه عبد الله بن محمد الأنصاري، صاحب كتاب (منازلُ السائرين)، و(ذمُّ الكلام)[1]، وكان حنبلياً. وأبو علي حسان بن سعيد المنيعي الشافعي[2]. وأبو الحسن علي الهكاري الشافعي[3]. وكذا لقب بها من الحنفية أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل السجزي[4]، المتوفى بعد السبعين وثلاثمئة. وأبو القاسم يونس بن طاهر بن محمد بن يونس. ذكره ابن منده، ومات سنة إحدى عشرة وأربعمئة. والقاضي أبو الحسن علي بن

---

(١) شيخ خراسان في عصره، ينتسب إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري، لغوي بارع، حافظ للحديث، عارف بالتاريخ والأنساب، أظهر السنة ودعا إليها وقد امتحن وأوذي وكان يقول: عرضت على السيف خمس مرات، لايقال لي ارجع عن مذهبك، ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت. وله غير ماذكر كتاب الفاروق (في الصفات) وكتاب الأربعين (في السنة) وكتاب سيرة الإمام أحمد بن حنبل. توفي الهروي سنة ٤٨١ هـ (الأعلام ٤/ ٢٦٧) وكتاب منازل السائرين إلى الحق تعالى صنفه في أحوال السلوك والطريق ورتبه فصولاً وأبواباً وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقالات. كشف الظنون ٢/ ٣٣٣.

(٢) حسان بن سعيد المنيعي، أبو علي المخزومي، ينتسب لسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، كان يشتغل بالتجارة في شبابه ثم عظم أمره حتى كان من المخاطبين في مجالس السلاطين ولم يستغنوا عن رأيه فرغب في الخيرات وبنى المساجد والرباطات وجامع الروذ وكان يكسو في الشتاء نحواً من ألف نفس وسعى في إبطال الأعشار عن بلده ورفع الظلم عن القرى وكان ذا تهجد وصيام واجتهاد ومناقبه كثيرة توفي سنة ٤٦٣ هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٦٥، شذرات الذهب ٣/ ٣١٣، الوافي ١١/ ٣٦٢.

(٣) علي بن أحمد الهكاري نسبة إلى الهكارية بلدة كردية من أعمال الموصل. تفرد بطاعة الله في الجبال وبنى الأربطة للفقراء والمنقطعين. رحل إلى مصر وبغداد والرملة ومكة. قال ابن عساكر ولم يكن موثوقاً في الرواية. مات بالهكارية سنة ٤٨٦ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٧، شذرات الذهب ٣/ ٣٧٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٨، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٥.

(٤) قاض واعظ من الشعراء. قال الزركلي: شيخ أهل الرأي في عصره، وصاحب فنون من العلوم طاف بلاداً كثيرة وسمع الحديث. مات قاضياً بسمرقند سنة ٣٧٨ هـ. وهو معروف بابن جَنْك (الأعلام ٢/ ٣٦٣).

الحسين بن محمد السغدي[1]، المتوفى سنة إحدى وستين وأربعمئة، وربما لقب ركن الإسلام أيضاً. وأبو نصر، أحمد بن محمد بن صاعد الصاعدي. قال فيه الذهبي[2]: «أحد من يقال له شيخ الإسلام، مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمئة»[3] وعلي بن محمد بن إسماعيل بن علي الإسْبيجابي[4]، مات سنة خمس وثلاثين وخمسمئة. وصاحب (الهداية) برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني[5]، مات في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة. ومحمد بن محمد بن محمد الخيمي. والعماد مسعود بن شيبة بن الحسين السندي. وأبو سعيد المطهر بن سليمان الزنجاني. وسديد بن محمد الخياطي.

واشتهر بها الأستاذ أبو عثمان، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني[6] الشافعي. وتاج الدين بن الفركاح الشافعي[7]. وأبو الفرج بن أبي

(1) فقيه حنفي، أصله من السغد بنواحي سمرقند، سكن بخارى، وولي القضاء بها. قال الزركلي: وإليه انتهت رئاسة الحنفية. مات في بخارى، وله من الكتب النتف في الفتاوى وشرح الجامع الكبير. الأعلام ٥/ ٩٠.

(2) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ مؤرخ محقق تركماني الأصل ولد بدمشق وتوفي بها سنة ٧٤٨هـ ورحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان. كف بصره آخر عمره، وله تصانيف كثيرة تقارب المئة. الأعلام ٥/ ٣٢٦ عن الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢، شذرات الذهب ٦/ ١٥٣.

(3) العبر ٣/ ٢٩٩، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/ ٧، والمنتظم ٩/ ٤٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٨٠، والجواهر المضية ١/ ٢٧٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٩.

(4) من أهل سمرقند وبها توفي. قال الزركلي: وينعت بشيخ الإسلام. الأعلام ٥/ ١٤٩.

(5) والمشهور بالمرغيناني أيضاً نسبة إلى مرغينان من نواحي فرغانه بفارس. كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً من المجتهدين. ومن كتبه: بداية المبتدي وشرحه بكتابه المشهور الهداية في شرح البداية. وله منتقى الفروع والفرائض ومناسك الحج وغيرها. (الأعلام ٥/ ٧٣) وكتابه الهداية في فروع الفقه الحنفي شرح على متن له سماه بداية المبتدي وهو كالشرح لمختصر القدوري وللجامع الصغير لمحمد. كشف الظنون ٢/ ٤٢٧.

(6) أبو عثمان الصابوني. مقدم أهل الحديث في خراسان، لقبّه فيها أهل السنة بشيخ الإسلام، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره. كان فصيح اللهجة واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير يجيد الفارسية إجادته للعربية. ولد في نيسابور ومات فيها سنة ٤٤٩هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠، الأعلام ١/ ٣١٤، طبقات الشافعية ٣/ ١١٧.

(7) عبد الرحمن بن إبراهيم، أبو محمد الفركاح تاج الدين مؤرخ من علماء الشافعية، بلغ درجة الاجتهاد، مصري الأصل دمشقي الإقامة والشهرة. توفي بدمشق سنة ٦٩٠ وله مؤلفات الأعلام ٤/ ٦٤ نقلاً عن طبقات السبكي ٥/ ٦٠، فوات الوفيات ١/ ٢٥٠.

عمر الحنبلي، وهو أول من ولي قضاء الحنابلة. وابن دقيق العيد[١]. وابن تيمية[٢]. ولم يكن أبو الحجاج المزي يثبتها في عصره لغير ابن تيمية وابن أبي عمر. والتقي السبكي[٣].

ثم ابتذلت هذه اللفظة، فسمي بها على رأس المئة الثامنة ومابعد ذلك من لايحصى كثرة، حتى صارت لقباً لكل من ولي القضاء الأكبر، ولو كان عارياً عن العلم والسن وغيرهما، بل صار جهلة الموقّعين[٤] وغيرهم يجمعون جلّ الأوصاف التي لاتوجد الآن متفرقة في سائر الناس للشخص الواحد. والعجب ممن يقرهم على ذلك، فإنّا للّه وإنا إليه راجعون.

وقد كان ابن حجر[٥] جديراً بوصفه بهذه اللفظة، لوُجْد أن أكثر المعاني التي سقناها فيه، وعند إطلاقها في زمنه لايراد بها غيره، ولو لم يكن إلاّ أنه انتهت إليه مشيخة الإسلام في الحديث النبوي من غير مدافعة.

وقد وصف الإمامُ المبجلُ أحمدُ بن حنبل - وناهيك بورعه وتحريره- أبا الوليد

---

(١) محمد بن علي، أبو الفتح المعروف كأبيه وجدّه بابن دقيق العيد. وقيل إنّ جده لبس يوم العيد طيلساناً أبيض فقيل كأنه دقيق العيد فلقب به. أصل أبيه من منفلوط بمصر، نشأ بقوص وتعلم بدمشق والاسكندرية ثم بالقاهرة وولي قضاء مصر سنة ٦٩٥ فاستمر به إلى وفاته سنة ٧٠٢ وهو أصولي مجتهد كان غزير العلم ظريفاً وله أشعار وملح وأخبار وترك مؤلفات. الأعلام ٦/ ٢٨٣ نقلاً عن الدرر الكامنة ٤/ ٩١، فوات الوفيات ٢/ ٢٤٤، خطط مبارك ١٤/ ١٣٥.

(٢) مرت ترجمة ابن تيمية في الصفحة ٣٢.

(٣) مرت ترجمة تقي الدين السبكي في المقدمة.

(٤) الموقّع: كاتب ديوان الإنشاء السلطاني. (معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧) وسيمر منصب الموقعين ورقمه الخامس والعشرون في ترتيب المناصب.

(٥) أحمد بن علي الكناني العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ حافظ قاض شاعر أصله من عسقلان بفلسطين ومولوده بالقاهرة. أولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ وعلت شهرته فقصده الناس وأصبح حافظ الإسلام في عصره. قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر وكان فصيح اللسان راوية للشعر عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين صبيح الوجه. ولي قضاء مصر مراراً ثم اعتزل وله كتب كثيرة جداً. توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ الأعلام ١/ ١٧٨ نقلاً عن الضوء اللامع ٢/ ٣٦، البدر الطالع ١/ ٨٧ خطط مبارك ٦/ ٣٧، لسان الميزان ٦.

الطيالسي[١] وأحمد بن يونس[٢] بمشيخة الإسلام. ولم يكن لهما سوى مشيخة الحديث وفنه، ولم تنحصر مشيخة في واحد منهما.

وحق عليه إرشاد المتعلمين، ونصح الطالبين، وإظهار العلم للسائلين. فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار[٣]. وأن لايقصد بالعلم الرياء والمباهاة والسمعة، ولاجعله سبيلاً إلى الدنيا، فإنّ الدنيا أقل من ذلك. قال الفضيل[٤] رحمه الله: «إني لأرحم ثلاثة؛ عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً تلعب الدنيا [به]». وأنشد لبعضهم:

عجبتُ لمُبتاعِ الضَّلالةِ بالهُدَى ... ومن يَشْتَري دُنياهُ بالدينِ أعجبُ

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها وصفاها، وأن يعلم أنهما متضادتان، وأنهما ضَرَّتان، متى أرضيت واحدة أسخطت الأخرى، وكفتا ميزان متى رجحت إحداهما خفت الأخرى، وكالمشرق والمغرب، متى قربت من أحداهما بعدت عن الآخر، وكقدحين أحدهما علو، فبقدر ماتصب منه في الآخر يفرغ من هذا. فمن لايعلم

---

(١) هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم، من كبار حفاظ الحديث، من أهل البصرة روى عنه البخاري ١٠٧ أحاديث. وهو منسوب إلى الطيالسة التي تجعل على العمائم. توفي سنة ٢٢٧هـ سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٤١، الأعلام ٨/ ٨٧ نقلاً عن تهذيب التهذيب ١١/ ٤٥ اللباب ٢/ ٩٦.

(٢) أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي ينسب إلى جدّه تخفيفاً، سمع من جدّه يونس بن عبد الله ومن سفيان الثوري وابن أبي ذئب وخلق حدّث عنه البخاري، ومسلم وهو من كبراء شيوخه، وأبو زرعة الرازي وعبد بن حميد وإبراهيم الحربي وغيرهم. وقد سئل أحمد بن حنبل: عمن أكتب؟. قال: ارحل إلى أحمد بن يونس، فإنه شيخ الإسلام. كان ثقة متقناً، توفي سنة ٢٢٧ سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٧ وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٥، تاريخ خليفة ٤٧٨ تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٠، العبر ١/ ٣٩٨، طبقات الحفاظ ١٧٤، شذرات الذهب ٢/ ٥٩.

(٣) هذا من قوله صلى الله عليه وسلم: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» ذكره العجلوني في كشف الخفا برقم ٢٥٨٦ وقال: «رواه أبو داود والترمزي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي هريرة. وقال الترمزي: حسن صحيح».

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصلحاء كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند ونشأ في أبيورد ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفي بها سنة ١٨٧هـ ومن كلامه: من عرف الناس استراح. سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١، الأعلام ٥/ ١٥٣ نقلاً عن طبقات الصوفية ٦/ ١٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥، الجواهر المضيّة ١/ ٤٠٩، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، ابن خلكان ١/ ٤١٥.

حقارة الدنيا وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل، فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك. فكيف يكون من العلماء من لا عقل له! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة، وصفاء لذاتها من الأكدار فهو كافر لا إيمان له. فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له! ومن علم هذا ثم آثر الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته، وغلبت عليه شقوته. فكيف يعد من العلماء من هذه درجته. ووحق الحق إني لأعجب من عالم [يجعل علمه سبيلاً][1] إلى حطام الدنيا، وهو يرى كثيراً من الجهال وصلوا من الدنيا إلى مالا ينتهي عالم إليه. فإذا كانت الدنيا تنال مع الجهل فما بالنا نشتريها بأنفس الأشياء، وهو العلم!.

فينبغي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى والترقي إلى جوار الملأ الأعلى. ولا يطلب العلو في الدنيا، والتردد على أبواب السلاطين والأمراء وحب الجاه، فيؤدي ذلك إلى أنّ قلبه يظلم بهذه الأكدار، ويزول صفاؤه بهذه الأمور التي تظلم القلوب، وتبعد عن علاّم الغيوب، وإلى أن يشتغل بهم وبها عن الازدياد في العلم. فكم رأينا فقيهاً عالماً يتردد إلى أبواب الملوك، فذهب فقهه وعلمه، ونسي ماكان حصّله، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء؛ فإنهم يستحقرون المتردد إليهم، ولايزالون يعظمون العالم حتى يسألهم في حوائجه، ويؤول ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم السوء، ولايطيعونهم فيما يفتون به، وينتقصون العلم وأهله، وذلك فساد عظيم، وفيه هلاك العالم.

فإن قال لك فقيه: إنّ التردد إلى أبواب السلاطين لإعزاز الحق، ولنصرة الدين، ولغرض من الأغراض الصحيحة، فقل له: إن صح ماتقول وأنت أخبر بنفسك فأنت على خطر عظيم؛ لأنك قد انغمست في الدنيا، وأنت تدعي أنّك تقصد بها الآخرة. وإن ثبت هذا فما نأمن عليك أن تنجرّ مع الدنيا. ولذلك كان سفيان الثوري[2] رحمه الله يقول: «إن دعوك أن تقرأ عليهم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فلا تمض، ولاتقرأها».

---

(١) مابين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم، ص ٦٨.

(٢) سفيان بن سعيد من بني ثور بن عبد مناة من مضر، أمير المؤمنين في الحديث، مجتهد. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة وراوده الخليفة المنصور العباسي أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات بها مستخفياً سنة ١٦١هـ، له مؤلفات وكان آية في الحفظ. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩، الأعلام ٣/ ١٠٤ نقلاً عن دول الإسلام ١/ ٨٤ وابن =

وأنشدتنا أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم الأرموية[1]، مشافهة عن أم محمد عائشة[2] ابنة محمد بن عبد الهادي، عن أم عبد الله زينب ابنة أحمد بن الكمال[3]، عن محمد بن عبد الهادي[4]، عن الحافظ أبي طاهر السلفي[5]، عن العلامة الزمخشري[6]، أنشدنا أحمد بن محمد الخوارزمي، أنشدنا أبو سعيد الحسن بن محمد الخبيمي، أنشدنا أبو الفضل إسماعيل بن محمد الحاكم، أنشدنا

= خلكان ١/ ٢١٠، الجواهر المضيّة ١/ ٢٥٠، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، حلية الأولياء ٦/ ٣٥٦، ٧/ ٣، تهذيب التهذيب ٤/ ١١١.

(١) خديجة بنت عبد الكريم بن محمد بن إسماعيل الأرموي الدمشقي الصالحي، محدّثة سمع عليها الطلبة وقصدوها منهم ابن طولون الذي قرأ عليها الجزء الثالث من كتاب الزهد لوكيع وحدّث عنها، وأجازت للسخاوي. توفيت سنة ٨٩٦هـ أو قبلها. الضوء اللامع ١٢/ ٢٩ وذكرها في أعلام النساء لكحالة ١/ ٢٨٤.

(٢) عائشة بنت محمد، رحلة الدنيا سمعت صحيح البخاري وغيره على الحجّار وصحيح مسلم على عبد الله بن الحسن وأخذت عن علماء كثيرين وهي آخر من حدث بالصحيح عن الحجّار سماعاً وكانت في آخر عمرها أسند أهل الأرض إلا أنه لم ينتفع بها لخلو دمشق من طلبة الحديث. توفيت سنة ٨١٦هـ بدمشق ودفنت بسفح قاسيون تاريخ الصالحية ١/ ٣٩٩.

(٣) زينب بنت أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، شيخة محدّثة روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة وقرأوا عليها الكتب الكبار. وقال الذهبي تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء بالإجازة وهي آخر من روى في الدنيا عن سبط السلفي وجماعة بالاجازة توفيت سنة ٧٤٠هـ، الأعلام ٣/ ٦٥ نقلاً عن فهرس الفهارس ١/ ٣٤٥، الدرر الكامنة ٢/ ١١٧.

(٤) محمد بن عبد الهادي بن يوسف، أبو عبد الله المقدسي الجمّاعلي الحنبلي، فقيه مقرئ معمر مسند، أجاز له أبو طاهر السلفي وشهدة الكاتبة وهو آخر من حدث عنها بالاجازة، وحدث عن الدمياطي. كان خيراً ديناً متعففاً أمّ بقرية الساوية بجبل نابلس واستشهد بها على يد التتار سنة ٦٥٨هـ وقد نيف عن المائة. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٤٢.

(٥) أحمد بن محمد بن سِلَفة أبو طاهر السلفي، حافظ مكثر من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث وكتب التعاليق والأمالي الكثيرة، بنى له الأمير العادل وزير الظافر العبيدي في الإسكندرية مدرسة فأقام بها منذ سنة ٥٤٦هـ إلى أن توفي فيها سنة ٥٧٦هـ وله آثار. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥، الأعلام ١/ ٢١٦ نقلاً عن ابن خلكان ١/ ٣١، مرآة الزمان ٨/ ٣٦١، أزهار الرياض ٣/ ١٦٧.

(٦) محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر من قرى خوارزم سافر إلى مكة المكرمة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم أيضاً فتوفي بها سنة ٥٣٨هـ وله آثار كثيرة من أشهرها الكشاف في تفسير القرآن ومعجم أساس البلاغة والفائق في غريب الحديث وغير ذلك. كان معتزلي المذهب مجاهراً شديد الإنكار على المتصوفة. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، الأعلام ٧/ ١٧٨ نقلاً عن وفيات الأعيان ٢/ ٨١، إرشاد الأريب ٧/ ١٤٧، لسان الميزان ٦/ ٤ مفتاح السعادة ١/ ٤٣١.

القاضي أبو الحسن بن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه :[1]

يقولونَ لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما ... رَأوْا رجُلاً عَنْ مَوْقفِ الذُّلِّ أحْجَمَا

أرى الناسَ من داناهُمُ هانَ عندَهُم ... ومَنْ أكرمتْهُ عزَّةُ النَّفسِ أُكْرِمَا

وما كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِيْ يَسْتَفِزُّني ... ولا كلُّ من لاقيتُ أرضاهُ مُنعِمَا

وإنِّي إذا مافَاتَني الأمْرُ لم أبِتْ ... أُقَلِّبُ كفِّي إثْرَهُ مُتَنَدِّمَا

ولم أقْضِ حَقَّ العلمِ إنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا

إذا قيلَ هَذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أرى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتملُ الظَّمَا

ولم أبْتَذِل في خدْمَة العلمِ مُهجتيْ ... لأخْدُمَ من لاقيتُ، لكنْ لأُخْدَمَا

أأشْقَى بهِ غَرْساً وأجْنيْهِ ذِلَّةً ... إذاً، فاتِّبَاعُ الجهلِ قَدْ كانَ أحْزَمَا

ولَوْ أنَّ أهْلَ العلمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... ولو عَظَّمُوهُ في النُّفُوسِ لعُظِّمَا

ولكنْ أذَلُّوهُ فَهَانَ، ودَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بالأطماعِ حتَّى تَجَهَّمَا

فلقد صدق هذا القائل، لو عظموا العلم لعظمهم. وأنا أقرأ قوله لعظما بفتح العين، فإن العلم إذا عُظِّم يُعظِّم وهو في نفسه عظيم. ولكن أهانوه فهانوا. ولكن الرواية: لعُظما بضمِّ العين. والأحسن ماأشرت إليه.

وقد انتهى ماذكره الشيخ ناصر الدين البيضاوي[2] من المناصب وفاته مناصب أخر، وهاكَ إيّاها.

---

(١) قاض من العلماء بالأدب، كثير الرحلات، له شعر حسن ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الري فقضاء القضاة وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٢هـ على مارجحه الزركلي فحمل تابوته إلى جرجان، من كتبه الوساطة بين المتنبي وخصومه وتفسير القرآن وديوان شعر. الأعلام ٤/ ٣٠٠، نقلاً عن وفيات الأعيان ١/ ٣٢٤، طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٨، إرشاد الأريب ١٤/ ١٧ يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٨، شذرات الذهب ٣/ ٥٦. والقصيدة في الإرشاد وهي المشهورة عنه.

(٢) انظر ترجمة البيضاوي في الصفحة ١٧.

[١١] - منصب الدوادارية(١)

فمن حق الدوادار الاستئذان على ذي الحاجة، وإنهاء ظلامته، وألا يتركه على الأبواب، لايجد سبيلاً في الدخول على الملك. وليعلم أن لصاحب الحاجة حقاً عند أستاذه، لأنّ من وظيفة أستاذه سماع كلامه، وقضاء حاجته إذا أمر بها الشرع، وليس لأستاذه حق عنده. والمنّة من الله سبحانه على أستاذه، إذ جعل حاجة الخلق إليه، وعليه أن جعله في بابه بالمرصاد لهذا الأمر، فإن هو قصّر فيما وصفناه كان هو الظالم لأستاذه، المتسبب في خراب دياره، [الباغي على الرعية](٢).

وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص وتذكير مخدومه بها، فربما اشتغل بال الملك عن ذلك، ولم يجد من يذكره.

روينا عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أرادَ الله بالأمير خيراً جعلَ لهُ وزير صدْق؛ إن نسي ذكَّره، وإن ذكَرَ أعانهُ. وإذا أراد به غير ذلكَ جَعَل له وزير سُوء؛ إنَ نسي لم يذكِّره، وإن ذكر لم يُعنْه». رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم(٣).

وروى الطبراني في الأوسط والصغير، وابن حبان في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان وُصْلَةً لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منهج برٍّ، أو تيسيرِ عسيرٍ أعانَهُ الله على إجازة الصِّراط، يوم تدحض فيه الأقدام»(٤).

وكان الدوادار في الزمن القديم يسمى الحاجب.

---

(١) معيد النعم، ص ٢٥ . وهذا منصب من يقوم بتبليغ رسائل السلطان وعامة أموره، ويقدّم إليه العرائض ويأخذ توقيع السلطان على المناشير. والكلمة فارسية الأصل معناها صاحب الدواة. (معجم الألفاظ التاريخية ٧٧) وكل كلمة فيها دار تعني ممسك.

(٢) مابين معقوفتين ساقط من الأصل، والتكملة من معيد النعم، ص ٢٥.

(٣) برقم ٢٩٣٢ في الخراج والإمارة، باب في اتخاذ الوزير. كما ذكره النسائي ٧/ ١٥٩ في البيعة، باب وزير الإمام، وإسناده صحيح.

(٤) المعجم الصغير ١/ ١٦١، وكنز العمال ١٦٤٦٠، ١٦٤٦١، ١٦٤٦٢، وابن حبان ٢٠٦٩، مجمع الزوائد ٨/ ١٩١، والترغيب والترهيب ٣/ ٣٩٣ . وتدحض الأقدام: تزلق وتزل. تاج العروس: دحض.

[١٢] - منصب الخازندارية[1]

فحق على الخازندار ألا يمطل من أحيل عليه، بل يدفع إليه ماأمر له به، مهيأ ميسَّراً. وهو أمين، فلو ادعى أنه دفع المال إلى مخدومه كان القول قوله بيمينه، وإن كان له على الخازندارية معلوم أو إقطاع، لأنّه كالوكيل يُجعل.

[١٣] - منصب الأستادارية[2]

أستاذ الدار من يتكلم في إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم. وعليه آلا يطعمه حراماً، ولايبيع أستاذه رخيصاً، وأن يرفق بأهل القرى، ويؤدي أمانة الله التي علقها في رقبته، حيث دخل في هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير. كما كان عليه أن يؤدي حق الأمير بل هو الأحوج من الأمير إلى الرفق بهم، واعتماد الحق معهم، فأين يكون الأمير يوم يعضّ الظالم على يديه، ولا آمر إلا الله تعالى.

---

(١) معيد النعم ٢٦. ولعل الأحسن أن يقول الخزنْدار لأنه مركب من الخزانة وهي مايخزن فيه المال، ودار بمعنى ممسك وهي فارسية الأصل. لقب المتولي على خزانة السلطان أو الأمير (معجم الألفاظ التاريخية ٦٩).

(٢) معيد النعم، المرجع السابق، وكلمة الاستدار مركبة من كلمتين: إستَدْ ومعناها الآخذ، ودار ومعناها الممسك، ثم أدغمت الذال في الأولى مع الدال في دار فصارت إستدار ومعناها المتولي للأخذ، وترد في الكتب أحياناً أستاذ الدار. (معجم الألفاظ التاريخية ١٥).

[١٤] - منصب المِهْمِندارية[١]

المهمندار اسم لمن يقوم بأمور قصّاد الملوك ورسلهم.

فمن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويرهب القصّاد، ويوهمهم قوة المسلمين، وشدة بأسهم، وعظيم سطوتهم، واتفاق كلمتهم، وقيامهم في حَوْزة الدين[٢]، وذبهم عن حريم الملّة الإسلامية، لأجل حفظ النظامَ. وأن ينهي أمور القصّاد إلى الملك بمقدار مايكون فيه المصلحة، وربَّ من يتعيّن عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعيّن عليه الكفّ عن إعظامه، بحسب مايقتضيه الحال.

ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قصّاد الملك إظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعي.

(١) معيد النعم ٣١ . والكلمة فارسية مركبة من مِهْمن بمعنى الضيف أو المسافر ودار مخففة من دارنده بمعنى صاحب. معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧ .

(٢) الحوزة: الناحية. وحوزة الرجل: مافي ملكه. وحوزة الإسلام: حدوده ونواحيه (المعجم الوسيط) ومن المجاز: فلان يحمي حوزة الإسلام (أساس البلاغة).

[١٥] - منصب البريدية[1]

البريدي هو الذي يحمل رسائل الملك وكتبه. وكانت أئمة العدل لاتُبرد البُرُد إلا لمهم من مهمات الإسلام، لمثله تساق الخيول، وتزعَجُ النفوس. وآل الأمر إلى أنّ أكثر ماتهلك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية من شراء المماليك وطلب الجواري والأمتعة. وإذا ركب الفقيه فرس البريد أنكر ذلك، وقيل: قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه؛ فإنّ البريد لايساق إلا لمهمات السلطنة، كأنهم يعنون بمهمات السلطنة ماعتادوا به من شراء مملوك مليح، أو استدعاء مغنّ حسن الصوت، أو خراب بيت شخص أنهي عنه مالاصحة له، إلى أمثال ذلك. وخفي عنهم أن أئمة العدل كانوا يستدعون العلماء من البلاد، لأجل نفع المسلمين وإشهار الدين، وأنّ ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في أغراضهم الفاسدة.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يبرد البريد للسلام على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل رأيت في زماننا ملكاً يفعل ذلك!.

ومن حق البريدي كتمان الأسرار وستر العورات وكفّ لسانه عن الفضول، فضلاً عن الكذب، فلقد كثر منهم الكذبُ ونقلُ البهتان لأجل حطام الدنيا.

ومن حقه حمل رسائل الإخوان إليهم، ففي ذلك أجر عظيم. ويشكر لهذه النعمة. وحق على كل بريدي ألا يجهد الفرس، بل يسوقها بقدر طاقتها. وقد كثر

---

(١) معيد النعم ٣٢

منهم سَوْقُ الخيول السَّوْق المزعج، بحيث تهلك تحتهم. أما علموا أنها خلق من خلق الله! فإذا رأيت بريدياً يسوق الخيل في أمر لايجوز حتى يهلكها، ثم يقدم على أهل بلد فيزعجهم، ثم يعود إلى السلطان فيدل على عورات المسلمين، ويغري الظَّلَمة بالمساكين الغافلين والغافلات، ثم يزيل الله سبحانه عنه النعمة، ويذيقه أنواع الذل والإهانة، فلا تعجب. واعلم أنّ ذلك من الله عدل.

ثم بطلت هذه البريدية، وخلفتهم الهجّانة[1]. ثم بطلت الهجّانة، وخلفتهم في أيامنا هذه الأولاقية[2]. وشأنهم أنهم يتعدون على خيل الناس، فيأخذونها عن جنب، فإما أن يبلصوا[3] صاحبها ويردوها إليه، وإما أن يركبوها، إلى أن يجدوا خلافها[4] فيطلقونها ويأخذون الأخرى. وهذا دأبهم ذهاباً وإياباً. والناس في ضرر منهم، فالله يعاملهم بعدله.

[١٦] - منصب السلحدارية

السلحدار هو الذي يحمل السلاح[5].

ومن حقه الاحتفاظ عليه، والأمانة فيه كلما أمكن.

---

(١) الهجّان والهُجُن والهجائن النوق الكريمة (لسان العرب) والهجّانة فيما يظهر راكبو الهجن. وكان في الجيش السوري فرقة الهجّانة من البدو. ولعل المقصود هنا استعمال الجمال في البريد.

(٢) الأولاق: اصطلاح عثماني بمعنى الرسول معجم الألفاظ التاريخية ٢٦

(٣) بلصه من المال: لم يترك له منه شيئاً (المعجم الوسيط) والبلص: أخذ المال بغير حق وهو مايؤخذ خارجاً عن الضرائب (معجم الألفاظ التاريخية ص ٣٨).

(٤) المقصود سواها.

(٥) ويتولى كذلك أمر السلاح خانة (دار السلاح) ومايتبعه ومعناه ممسك السلاح (معجم الألفاظ التاريخية ٩١).

[١٧] - منصب الجُمَقْدارية[١]

الجمقدار هو الذي يحمل الدبوس[٢].

ومن حقه الاحتفاظ عليه، والأمانة فيما إذا كانوا عدّة عنده.

[١٨] - منصب الطبردارية[٣]

الطبردار هو الذي يحمل الطبر[٤] بين يدي الملك، لأجل حفظ نفسه.

ومن حقه الاحتفاظ عليه، وعلى الملك.

[١٩] - منصب الجوكندارية

الجوكندار هو الذي يحمل الجوكان[٥].

ومن حقه الاحتفاظ عليه، والأمانة فيما إذا كانوا عدة. وهؤلاء كلهم من واد واحد.

---

(١) معيد النعم ٣٤. والكلمة تتألف من جُمَق: بمعنى دبوس، ودار أي ممسك ومهمة الجمقدارية حماية السلطان في المركب ومن واجباتهم توجيه نظرهم إليه (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٤).

(٢) الدبوس: عصا لها رأس ضخم مذهب. ومن واجبات الجمقدار كما أشار المؤلف (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٤).

(٣) معيد النعم ٣٥

(٤) الطبر : الفأس بالفارسية. والطبردارية يحملون الفؤوس حول السلطان في الموكب (معجم الألفاظ التاريخية ص ٢١).

(٥) الجوكان: عصا مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع برأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد عن نصف ذراع، تضرب به الكرة من على ظهر الفرس. ودار: بمعنى ممسك أو حامل. وكان نور الدين الشهيد يلعب بهذه اللعبة (معجم الألفاظ التاريخية ص ٥٨).

[٢٠] - منصب الجَمَدارية(١)

وأكثر مايكونون صبياناً مرداً ملاحاً، يتعاناهم الملوك، وكذا الأمراء، يكونون بالنوبة مع المخدوم، يلازمونه حتى وقت نومه.

وقد تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب أكثر أهل الدنيا. وصارت الجمدارية تتنوع في الملابس المهيجة للشهوات البشرية، ويزينون، فيربون في ذلك على النساء ويفتنون الناس بجمالهم.

وحرام على جمدار يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينصب نفسه لهذا الغرض، أو أن يتشبه بالنساء فيما خلقت له. وليس له أن يمكّن مخدومه من أن يتلوط به، ولا أن يقبّله، فليتق الله ربه، وليرحم شبابه، فالدنيا أقل عند الله تعالى من ذلك كله.

ومن آدابه إذا لبس المخدوم ثيابه أن يقدم له الأيمن من الخف، قبل الأيسر، وإذا نزعه أن يعكس.

[٢١] - منصب البَشْمَقدارية(٢)

البشمقدار من أقبح البدع؛ لأنه موضوع لحمل نعل الأمير، وذلك من الرعونة والحمق.

ومن آدابه ألا يضع النعل على البساط وغيره، مما يطأه الناس بأرجلهم حفاة، وربما لاقاه وجه مصلٍّ، وربما كانت نجاسة في النعل. وبتقدير ألا يكون شيء من ذلك، فلا يخفى مافي وضعه على هذا الوجه من الكبر والخيلاء. فإذا كان لابد من بشمقدار فلا أقل من أن يضع نعل الأمير موضع نعال الخلق.

---

(١) معيد النعم ٣٥. الجمدار من يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصل الكلمة جامادار فارسية بمعنى اللباس داخل البيت. معجم الألفاظ التاريخية ٥٤

(٢) معيد النعم ٣٦، وكلمة بشمق تعني بالتركية النعل. ودار: ممسك. معجم الألفاظ التاريخية ٣٤.

[٢٢] - منصب السقاة[١]

الساقي إليه أمر المشروب.

وهو من أقبح البدع والتنطع في الدنيا. وقد كانت الصحابة [رضي الله عنهم][٢] وملكهم أعظم وأوسع من ملك الأتراك[٣]، والأموال التي كانت في أيديهم أضعاف هذه الأموال بما لا يحصيه إلا الله يكرعون في الماء.

ومن حق الساقي شيئان؛ أحدهما: لايحلّ له إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر لمخدومه منكراً يشربه. وعليه إعمال الفكرة والحيلة في سدّ هذا الباب وإبعاده عن الأمير بقدر طاقته وقدرته. وله أن يكذب ويقول: لم أجد، وذهب، وماشاء في هذا الباب بما لايخفى على صاحب التقوى. وإن رأى الأمير جباراً لايرجعه عذيل. فعليه التوسط ودفع المنكر ماأمكنه، وإبعاده عنه، لاسيّما في الأوقات التي يجلس فيها الأمير للحكم بين الرعية. فيا ويح أمير يجلس للحكم وهو سكران.

وثانيهما: حفظ حقوق مخدومه، والخشية عليه من عدو يضع له في المشروب مايهلكه من سمّ ونحوه. ولقد بلغنا عن جماعة من المماليك السقاة قتل مخاديمهم لأغراض الدنيا. فقبحهم الله من طائفة. وجربنا، فلم نجد مملوكاً ساعد على أستاذه إلا وأهلكه الله قريباً، ولم يحصل على شيء مما أمله، بل تنعكس آماله، وتتغير أحواله.

---

(١) معيد النعم ٣٧.

(٢) مابين معقوفتين زيادة عن الأصل.

(٣) أطلق المؤرخون على المماليك اسم الأتراك وهو اللفظ الذي درج ابن طولون على استعماله في حين لقب العثمانيين بالعثامنة والعثمانية والتركمان، ولابن طولون كتاب «إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى» ويقصد بالأتراك المماليك وانظر التعليقات في ص ١٠١ و٣٠٠ بكتاب إعلام الورى طبعة دار الفكر ١٩٨٣م.

[٢٣] - منصب أمير علم(١)

وإليه أمر طبول الطبلخانات(٢).

ومن حقه الاحتياط وقت الحرب في الضرب، وتهييج العسكر على الإقدام والمبارزة والكفّ، حسبما يقتضيه دين الله تعالى، وتدعو إليه الغيرة على بيضة(٣) الإسلام.

[٢٤] - منصب أمير شِكّار(٤)

وإليه أمر الطيور والكلاب المعدّة للصيد.

ومن حقه ألاّ يغفل عنها في مأكلها ومشربها.

---

(١) معيد النعم ٣٧. وهو لقب من يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخانة معجم الألفاظ التاريخية ٢٢.

(٢) هو المكان المخصص بطبول السلطان والأبواق والآلات. ولما عزم السلطان علاء الدين خوارزم شاه علي السير إلى العراق وخالف على الخليفة العباسي الناصر ضرب لنفسه نوبة ذي القرنين تعاظماً وهي وقتي الشروق والغروب بعدما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس، ففوضها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سمّاها لهم على أبواب دور سلطنتهم. وكان نور الدين زنكي يضرب بدمشق النوب الخمس. وأول يوم ضربها خوارزم شاه اختار لضربها سبعة وعشرين ملكاً من أكابر الملوك وأولادهم وكانت آلات النوبة من الذهب. معجم الألفاظ التاريخية ١٠٦.

(٣) قال الزمخشري: ومن المجاز، فلان يحوط بيضة الإسلام وبيضة قومه (أساس البلاغة).

(٤) معيد النعم ٣٧. وكلمة شِكار فارسية تعني الصيّد. معجم الألفاظ التاريخية ٢٠. وكان كذلك الخوندار معجم الألفاظ التاريخية ٧٠.

[٢٥] - منصب الموقعين[١]

وعليهم الرفق بالرعية فيما يكتبونه، والتخفيف من التشديدات التي يؤمرون بكتابتها؛ فإن كان لايقدر على التخفيف فلا أقل من ألاّ يزيد الطين بلّة ويشدّد؛ فلقد بلغني أنّ بعض الملوك قال لموقّع: اكتب إلى فلان بالحضور، فأبرقَ في الكتابة وارعد، وقعقع في العبارة[٢]، فلما وصله الكتاب أرعبه ذلك بحيث وضعت امرأته وكانت حاملاً، ورمى هو مصارينه من الخوف. كذا قاله أبو نصر السبكي. ولذا قال فيهم بعض الشعراء:

قومٌ إذا أخذوا الأقلامَ من غضب ... ثم استمدُّوا بها ماءَ المنيّات
نالوا بها من أعاديْهم وإن بَعُدوا ... مالا يُنال بحدِّ المشرفيَّات[٣]

روينا في مجمع الزوائد عن عطاء، قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل فقال: ياأبا عباس! ماتقول فيّ؟ قال: وماعسى أن أقول فيك! فقال: إني عامل بقلم. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بصاحب القلم يوم القيامةفي تابوت من نار، مقفل عليه بأقفال من نار، فإن كان أجراه في طاعة الله ورضوانه فكّ عنه التابوت. وإن كان أجراه في معصية الله هوى به التابوت سبعين خريفاً. حتى باري القلم ولائق الدّواة». رواه الطبراني في الأوسط والكبير[٤]. وفيه أبو أيوب عن إسماعيل بن عياش. والظاهر أنّ آفة هذا الحديث أبو بكر وهو الجيزي، لأنّ الطبراني قال في الأوسط: تفرد به الجيزي. انتهى.

ومن حق الموقع ألا يستعمل حوشي اللغة [٥] ومالا يفهمه الأكثر من الناس، لاسيّما إذا كتب إلى من بَعُد فهمه لذلك.

---

(١) معيد النعم ٣١ . والموقع كاتب ديوان الإنشاء السلطاني. معجم الألفاظ التاريخية ١٤٧ .

(٢) القعقعة: حكاية صوت السلاح ونحوه (مختار الصحاح) والمقصود هنا هدّد في كلامه .

(٣) السيوف المشرفيّة: المجلوبة من مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. القاموس: شرف.

(٤) انظر المعجم الكبير للطبراني ١١/١٨٨ برقم ١١٤٥٠ .

(٥) حوشي اللغة ووحشيها: غريبها. مختار الصحاح .

[٢٦] - منصب مقدّم المماليك[1]

وهو الذي إليه أمر المردان.

ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم، ولا تمكين بعضهم من مضاجعة البعض في فراش واحد. وقد كثر في هذه الطائفة نوع القيادة لمخدومهم، وكذلك لغيره.

[٢٧] - منصب الأجناد[2]

فمن حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطف بالفلاحين، فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاّح جندياً، والجندي فلاّحاً. فإذا كان يشكر نعمة الله على أن رفعه عن درجة الفلاح، فلا أقل من أن يكفي الفلاح شرّه وظلمه.

وعليهم مصابرة العدو إذا التقى الجمعان، ولا ينهزم الجمع إلا عن أكثر من مثليه، بما له وقع كانهزام مائة عن مئتين وخمسين. وأما انهزامه عن مثليه، كعشرة عن عشرين فلا يجوز، إلا أن ينصرف متحرفاً لقتال، أو متحيزاً إلى فئة يستنجد بها.

وإذا طلب الكافر المبارزة استحب لمن جرّب نفسه الخروج إليه بإذن أمير الجيش.

وعليهم تأدية الأمانة فيما حازوه من الغنائم، وامتثال أمر الأمير فيما لم يخالف الشرع، والتعاون والتناصر، واجتماع الكلمة.

---

(١) انظر معيد النعم ٥٤، وهو منصب من يتولى أمر الخدم الخصيان المعرفين بالطواشية للسلطان أو الأمير، معجم الألفاظ التاريخية ١٤٢.

(٢) انظر معيد النعم ٥٤ .

[٢٨] - منصب الطواشية[١]

اعلم أنّ الممسوح الذي ذهبت أُنثياه وذَكَرُه بالكلّية. ذهب أبو حنيفة إلى تحريم نظره إلى الأجنبيات، وهو مذهب أحمد، واختاره أبو الحسن السبكي من الشافعية. وذهب أكثر أصحابه إلى جواز نظره إليهن.

وأما الخصي الذي ذهب أنثياه دون ذكره، والمجبوب[٢] الذي ذهب ذكره دون أنثييه، فلا يحل لواحد منهما أن ينظر إليهن، ولا إلى الوجه والكفين عند أبي حنيفة، وعنه أنه يجوز النظر إلى القدم. وعن أبي يوسف أنه يباح إلى الذراع. وذهب الشافعية إلى أنّ كلاً منهما لايحلُّ له النظر إليهن على الصحيح.

وقد رخّص بعض أصحاب أبي حنيفة اختلاط المجبوب مع النساء، إذا جفّ ماؤه. والأصح المنع مطلقاً.

هذا كله في نظر الطواشيّ إلى الأجنبية. وأما نظره إلى سيدته فعندنا معشر الحنفية أنه لايحلُّ له أن ينظر منها إلا مايجوز له النظر من الأجنبية.

وذهب أكثر الشافعية إلى أنه حلال، وإن كان سليم الذّكَر أو الأُنثيين. وهو مارجّحه النووي وغيره، أخذاً من جواز نظر العبد إلى سيدته. ولكن الصحيح عند أبي الحسن السبكي - وقال ولده [تاج الدين] وهو الحق - : أنّ نظر سليم الذّكَر والأنثيين إلى سيدته حرام، فكيف يباح نظر المماليك الحسان الذين يفتنون الناس بجمالهم إلى سيدتهم، والنساء ناقصات عقل ودين.

قال التاج بن السبكي[٣] : «أما إذا اجتمع كونه طواشياً ومملوكاً لسيدته فهو أقرب إلى الجواز ممن لم يجتمع فيه الأمران، وكذلك جواز نظر المرأة إلى الطواشي

(١) معيد النعم ٣٩. والطواشية جمع طواشي وهم المماليك الخصيان المعيّنون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. معجم الألفاظ التاريخية ١٠٩ .

(٢) من جبّ جبّاً وجبابا: قطع، وجب الخصية استأصلها.

(٣) انظر معيد النعم ٣٩ .

إذا كان مملوكاً لها أو لزوجها، ومنعه إذا لم يكن كذلك. ومن الطواشية الزّمام[1]. وهو الذي يخصّ النساء. ومن حقه غضّ نظره عما يخصهن، والنصح لصاحب البيت، وإعلامه بما يعجز عن إزالته. ومنع أرباب الفجور من العجائز وغيرهن من الدخول عليهن.

وكثير من طواشية الزمام فيهم القيادة، وذلك لما جبلت عليه [الطواشية][2] من نقصان العقول وتشبههم بالنساء، حتى قيل: مااختلى طواشي بالنساء إلا وحدث نفسه بأنه رجل، ولا بالرجال إلا وحدث نفسه بأنه امرأة. وقيل: الطواشية أشد الناس غيرة وأكثرهم استحساناً [وقيادة][3] على من تحت أيديهم ولو مملوكاً.

وفي كتب الحنفية أنه يكره استخدام الخصيان مطلقاً، لأنه تحريض على الخصاء المنهي عنه» انتهى.

[٢٩] - منصب المقربين عند الحاكم

أيها المقرب، إذا كنت مقبول الكلمة عند ولي الأمر، فالمطلوب منك أن تنصحه وتنهي إليه مايصح ويثبت عندك من حال الرعايا، وتساعد عنده على الحق بماتصل إليه قدرتك، ولايكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمعه لنفسك أو دنيا تضمها إليك فإن ذلك سبب زواله عنك، بل المقتضى لدوام [التقرب][4] عندك منه ماذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك، ومودته التي بها وصلت إلى ماوصلت وليدوم لك منه ما أسداه إليك، وماأحمق[5] من كانت له كلمة نافذة عند ولي أمر فوجد مظلوماً يستغيث فقام يصلي شكراً لله

---

(١) قال القلقشندي: «الزنان دار المعبّر عنه بالزمام دار. وهو لقب على من يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدّام أو الخصيان، مركب من لفظين فارسيين زَنّان ومعناه النساء ودار بمعنى ممسك أي الموكل بحفظ الحريم إلا أن العامة والخاصة قد قلبوا النونين فيه بميمين ظناً أن الدار على معناها العربي والزمام بمعنى القائد أخذاً من زمام البعير الذي يقاد به» صبح الأعشى ٥/ ٤٦٠ .

(٢) ، (٣) مابين معقوفتين ناقص من الأصل والاستكمال من معيد النعم.

(٤) كلمة مطموسة في الأصل ويصح أن تكون التقرب.

(٥) لعل من الأحسن أن يقول وماأعظم حماقة . . على القاعدة المعروفة في التعجب.

على أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر، وترك المظلوم يتخبطه الظلم، ولا يجد منجداً وهو قادر على إنجاده، فذاك الذي صلاته وبال عليه، كما قال الفقهاء فيمن كان يصلي فمر به غريق تتلاطمه أمواج البحر وهو قادر على إنقاذه، فإنه يجب عليه قطع الصلاة وإنقاذه من ذاك، وهذا سيان.

وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا الله عز وجلّ بعبد من عبيده فيقف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله»[1] وقال عبد الله بن يحيى بن خاقان: حضرت الحسن بن سهل[2]، وجاء رجل يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرني ونحن نرى أنّ للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة! ثم أنشأ يقول:

فُرضتْ عليّ زكاةُ ماملكتْ يدي ... وزكاةُ جاهي أنْ أُعين وأشْفَعا

فإذَا مَلَكْتَ فَجُدْ، فإنْ لم تستطع ... فاجْهَدْ بوُسْعِكَ كلِّه أن تنفعا

وقال صلاح الدين الصفدي[3]: كتب لي وأنا بالقاهرة أبو عبد الله بن الصايغ:

صلاحَ الدين يا ربَّ المعالي ... وياقوتَ المعاني والمعالي

تصدقْ لي بصرف زكاة جاه ... ففيها إنْ أردتَ صلاحُ حالي

---

(١) أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٦٨ باب السؤال عن الجاه يوم القيامة. وفي كنز العمال برقم ١٦٠٥٨، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦، وتجريد التمهيد لابن عبد البر ٤٦٤ وتاريخ بغداد للخطيب ٨/ ٩٩، والمجروحين لابن حبان ٣/ ١٣٧.

(٢) الحسن بن سهل وزير المأمون العباسي أحد كبار القادة والولاة في عصره اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات والكرم وهو والد بوران زوجة المأمون وكان المأمون يجلّه ويبالغ في إكرامه أصيب بمرض نفسي فتغير عقله حتى شُدَّ في الحديد، ثم شفي منه وتوفي في سرخس سنة ٢٣٦هـ وهو أخو الفضل بن سهل ذي الرياستين كانا من المجوس فأسلما هما وأبوهما سهل في أيام الرشيد الأعلام ٢/ ١٩٢.

(٣) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب مؤرخ كثير التصانيف ولد في صفد بفلسطين وينسب إليها وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها ثم أولع بالأدب وتراجم الأعيان وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب ثم وكالة بيت المال في دمشق وتوفي بها سنة ٧٦٤هـ وله زهاء مئتي مصنف منها الوافي بالوفيات ولعله أشهرها. الأعلام ٢/ ٣١٥ نقلاً عن الدرر الكامنة ٢/ ٨٧، طبقات الشافعية ٦/ ٩٤، الوافي بالوفيات ١/ ٢٤٩. وغيرها.

فكتبت أنا الجواب مع شيء أهديته:

مـحـب الـديـن، فـي الآدابِ شـيـخٌ ... نـوى لـي أن يـعـرّض بـالـنـوالِ

إذا مـا الجـاهُ لـم أرَ فـيـه وجـهـاً ... فـمـا لـي لا أجـودُ بـفـضـل مـالـي!

[٣٠] - منصب كاتب السرّ(١)

ووظيفته التوقيع عن الملك، والاطلاع على أسراره التي بها يكاتب، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل.

ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهيمه إياها، فإنّ أكثر الملوك يعسر عليهم الفهم، ويؤتون من قبل ذلك، لاسيّما إذا اشتبكت الأمور، وازدحمت الأشغال. فعلى كاتب السر التلطف في ذلك بحيث يصل إلى ذهن الملك، وإلا فمتى ظلم الملك واحداً في واقعة لعدم فهمه، وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها، كان شريكاً له أو مستبداً عنه بالظلم.

ومن حقه أن يكتم ما أسر إليه، كما قال الشاعر:

ويُكـاتمُ الأسـرارَ حـتّى إنَّه ... لـيـصـونُها عـنْ أنْ تمـرّ بخـاطـره

وأن يحترز من الكتابة في قطع رزق، فقلما أفلح كاتبه. وماأحسن مانقشه بعض كتّاب السرّ على دواته:

حـلّفـت مـنْ يـكـتـبُ بـي ... بـالـواحـدِ الـفـردِ الـصّمـد

ألاّ يـمـدَّ مَدَّة ... فـي قـطـع رزقٍ لأحـد

(١) معيد النعم ٣٠.

[٣١] - منصب ناظر الجيش[1]

فمن حقه النظر في حالهم، وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاية والقدرة.

وحرام عليه أن يجهّز عاجزاً، لفقر أو غيره، أو أن يغري به الملك، بل عليه الدفع عنه بما يمكنه، فإنه ناظر عليه كناظر اليتيم.

وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين، فإنّه مطالب بذلك كله فليتق الله ربه.

ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الاقطاعات بالفلاحة، والفلاح حر لا يد لآدمي عليه، وهو أمير نفسه. وقد جرت عادة الشام بأن من خرج من دون ثلاث سنين يُلزم، ويعاد إلى القرية قهراً، ويُلزم بشدّ[2] الفلاحة. والحال في غير الشام أشد منه فيها. بل إنما تخرب البلاد بذلك لأنهم يضيقون على الناس، فيضيق الله عليهم.

ومن قبائحهم أنهم إذا اعتمدوا شيئاً مما جرت به عادتهم الخبيثة يقولون: هذا شرع الديوان. والديوان لا شرع له، بل الشرع لله تعالى وللرسول محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. فهذا الذي ينتهي إلى الكفر، وإن لم تنشرح النفس لتكفير قائله، فلا أقل من ضربه بالسياط، ليكف لسانه عن هذا العظيم، الذي هو في غنية عنه، بأن يقول: عادة الديوان، أو طريقة الديوان، أو نحو ذلك من الألفاظ التي لاتنكر.

---

(١) معيد النعم ٣٣.

(٢) انظر ص ٣٢.

[٣٢] - منصب الحجوبية[١]

هي وظيفة قديمة، كانت تسمى القيادة، وكان الحاجب يسمى قائد الجيش.

ولم يكن في الزمان الماضي يحكم، بل يعرض الجيش، ويعتبر حاله، وينهيه إلى الأمير. والآن اصطلحت الترك[٢] على أن يفصل [في] القضايا. فنقول: عليه رفع الأمور إلى الشرع، وأن يعتقد أنّ السياسية لاتنفع شيئاً، بل تضر البلاد والرعايا، وتوجب الهرْج والمرْج، ومصلحة الخلق فيما شرعه خالقهم الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم. وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم، ولايأتي الفساد إلا من الخروج عنها. ومن لزمها صلحت أيامه واطمأنت، ولم يقض رسول الله صلى الله عليه وسلم نحبه، حتى أكمل الله سبحانه لنا ديننا. وقد اعتبرت - ولاينبئك مثل خبير[٣] - فما وجدت ولا رأيت ولا سمعت بسلطان ولا نائب سلطان ولا أمير ولا حاجب ولا صاحب شرطة يلقي الأمور إلى الشرع إلاّ وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا، وتكون مصيبته أبداً أخف من مصيبة غيره، وأيامه أصلح وأكثر أمناً وطمأنينة، وأقل مفاسد. وأنت إذا شئت فانظر تواريخ الملوك والأمراء العادلين والظالمين، وانظر أيّ الدولتين أكثر طمأنينة وأطول أياماً.

وكذلك اعتبرتُ فلم أر، ولم أجد من يظنّ أنه يُصلح الدنيا بعقله ويدبر البلاد برأيه وسياسته، ويتعدى حدود الله وزواجره إلاّ وكانت عاقبته وخيمة، وأيامه منغصة مكدرة، وعيشه قلقاً، وتنفتح عليه أبواب الشرور، ويتسع الخرق على الراقع، فلا يسدّ ثلمة إلا وتنفتح ثلمات. ولايرقع فتنة إلا وينشأ بعدها فتن كثيرة.

---

(١) معيد النعم ٤٠.

(٢) انظر التعليقة عن الترك ص ٦٠.

(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة فاطر الآية ١٤ : ﴿إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا مااستجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾.

وعلى مثله يصدق قول الشاعر :

نرقّعُ دنيـــانا بتـــمـــزيق ديننَا   فـــلا دينُنَا يبـــقى ولا مـــانرقّعُ

فمن خطر له أنه إن لم يسفك الدماء بغير حق، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح أيامه، فعرّفه أنه باغ جهول أحمقُ حمار، دولته قريبة الزوال، ومصيبته سريعة الوقوع، وهو شقي في الدنيا والآخرة، وإذا أخذه الله لم يفلته. قال الله تعالى: ﴿ فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلّموا تسليما ﴾[1].

أخبر عزّ وجلّ أنا إن لم نُحكّم هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلّم، ثم إذا حُكّم لم نجد في أنفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه، بل نطمئن له ونسلّم وننقاد ونذعن، وإلاّ فنحن غير مؤمنين. فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى.

فإن قال حمار من هؤلاء: أنا، من أين أعرف هذا، وأنا عامّي تركي لاأعرف كتاباً ولاسنّة! قلنا له : هذا لاينفعك عند الله شيئاً.

ألم يجعل الله لك عينين، ولساناً وشفتين، وهداك النجدين![2] إذا كنت لاتعرف فاسأل أهل الذكر[3]، فإنّ هذا شأن من لايعلم، وإلا فأنت تأتي يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرّونك في الحبال، وأنت تسحب على وجهك، لاينفعك هناك شيء من هذه الأقاويل.

فإن عجزت عن الفهم، فما لك وللدخول في هذه الوظيفة. دعها كما قيل:

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْه   وجاوزه إلى ماتستطيعُ

(١) النساء، الآية ٦٥ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين. وهديناه النجدين ﴾ الآيات ٨ - ١٠ ، سورة البلد.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ﴾ الآية ٧، سورة الأنبياء .

[٣٣] - منصب النقباء[١]

على الواحد منهم إذا جُهِّز في طلب أحد السكون في الحركة، والرفق بمن طلبه. وحرام عليه أن يزعجه ويرعبه، فإن هو فعل ذلك فهلك أحد في الدار -وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها- أو ارتجف واحد من الصبيان فهلك، فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص.

وإذا كان إنما فعل ذلك لحطام الدنيا، وأن يقال: النقيب الفلاني شاطر[٢] ناهض، ماراح في شغل إلا وقضاه، فذلك أقبح وأبشع.

بل عليه الرفق ذاهباً وآيباً. وإذا عاد وعلم الحال ترفق في إنهائه بحيث لايزداد الأمر شدة ولا الأمير حدة.

[٣٤] - منصب المعرّف[٣]

وربما قيل المقدّم والبوّاب. وهو رجل [بباب الوالي][٤] يكون بالمرصاد للصوص.

عليه الفحص عن أمرهم، ليكفّ عن الخلق شرّهم. وعليه مجانبة الهوى والميل.

---

(١) وهم يكونون على أبواب الأمراء والولاة. معيد النعم ٤٢ . والنقيب في اللغة شاهد القوم وعريفهم. القاموس.

(٢) شطر فلان على أهله فهو شاطر إذا أعياهم لؤماً وخبثاً (المصباح المنير). ويظهر أن الكلمة اتخذت على العصور عدة معان؛ منها، الماهر أو المجتهد. وكانت تعني في العصر العباسي ومابعده اللص الذي يجرح الثياب ويشطرها ليأخذ المال منها، فهو اللص أو قاطع الطريق. ثم أطلق على ساعي البريد لسرعته في السير ليصل إلى مركز البريد الآخر. معجم الألفاظ التاريخية ٩٦ . ومن معانيها التي تناسب النصّ: الفهم المتصرف والجمع شطار (المعجم الوسيط).

(٣) معيد النعم ٤٦ .

(٤) مابين معقوفتين زيادة من معيد النعم.

ولابأس إذا وقع له متردد، وغلب على ظنّه أنه السارق لما اتهم به أن يعمل الحيلة في تقريره بأخذ المال من غير عقوبة. ولاداعية إلى الإقرار على وجه يوجب القطع، فإن القطع حق الله تعالى، والفحص عنه لاضرورة إليه؛ لبنائه على المسامحة، بخلاف المال.

[٣٥] - منصب الخوليّة[1]

قال ابن ناصر الدين في (توضيح المشتبه)[2]: « الخولي هو الذي يلي حمر الخيل والابل للملوك والخلفاء والأمراء، قاله الدارقطني ».

وعليه أن يتفقدهم بالحسن ولاينساهم في الأكل والشرب.

[٣٦] - منصب أمراء الدولة[3]

عليهم تفقد حال الأجناد، وتعليمهم رمي النشاب، والمسابقة على الخيل، بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب. وللأمير أن يحثهم في المسابقةوالمناضلة على الرهن، إذا كان يبعث عزائمهم.

---

(١) الخولة: القائمون على خدمة الخيل. والخولي كما هو معروف لخدمة الحديقة معجم الألفاظ التاريخية ٥٨.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الدمشقي الشافعي الشهير بابن ناصر الدين أبو عبد الله محدّث حافظ مؤرخ ناظم عارف بالأنساب ولد ونشأ بدمشق وأصله من حماة، حفظ القرآن الكريم وعدة متون، وطلب الحديث. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية وقتل في إحدى قرى دمشق سنة ٨٤٢ هـ له مؤلفات عديدة منها المولد النبوي ومعراج وكتاب اتحاف السالك برواة الموطأعن مالك وغيرها. وكتابه هذا توضيح المشتبه شرح فيه كتاب المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم للحافظ الذهبي وهو في ثلاث مجلدات خطية صدر منه في بيروت جزء واحد سنة ١٤٠٧/ ١٩٨٦ بتحقيق الأستاذ نعيم عرقسوسي، وفي مقدمته ترجمة مستفيضة لابن ناصر. وانظر معجم المؤلفين ٩/ ١١٢، ١٠/ ٢٣٦.

(٣) معيد النعم ٤٦

والرهن في ذلك جائز. ومن شرطَ العقدَ عليه لزمه، إلا أن يكون على صورة القمار فهو حرام لايلزم فيه العوض. وصورة القمار أن يكون كل واحد منهما لايخلو من غُنْم أو غُرْم، وذلك أن يُخرج كل واحدمن الفارسين ديناراً مثلاً، على أنّ من سبق منهما أخذ الدينارين جميعاً، فهذا حرام، إلا أن يكون هناك محلل، وهو ثالث يسبقهما بفرس كفء لفرسيهما، على أنه إن سبقهما أخذ الدينارين، وإن سبقاه لم يغرم شيئاً، وفيما بينهما أيهما سبق أخذ من صاحبه.

وتصح المسابقة عند أبي حنيفة وأصحابه على الخيل والبغال والحمير والإبل وبالرمي. وعند الشافعي على الفيلة والبغال والحمير على الأصح. ولاتجوز على الحمام ولاغيره من الطيور. ولاتجوز على الصراع في الأصح.

ومايعتاده الأمراء في هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال. وينبغي أن يقصدوا به تعليم الخيل الإقبال والإدبار والكرّ والفرّ.

وأما المراهنة[1] في ذلك إن كانت من جانب واحد فهي جائزة. ولكن لا يلزم العوض فيها، بل هي تبرع، إن شاء وفى [به] وإن شاء لم يف. وإن كان الرهن من الجانبين كان قماراً حراماً.

وأما العلاج[2] الذي يتعاناه الشباب، فإن كان لايضرّ بأبدانهم، ولايشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة فهو جائز، وإلا فيحرم لايجوز فيه الرهن.

وعلى الأمير إذا سار بالجيش الرفق بهم والسير على سير أضعفهم، وتفقد خيولهم، وتقوية قلوبهم.

ومن قبائح كثير من الأمراء أنهم لايوقرون أهل العلم، ولايعرفون لهم حقوقهم، وينكرون عليهم ماهم يرتكبون أضعافه. وماأحمق[3] الأمير إذا كان يرتكب معصية، ووجد فقيهاً يقال فيه مثلها أن ينتقصه ويعيبه. وماله لاينظر إلى نفسه مع ماخوّله الله من النعم! أما علم أنّ القبيح عند الله حرام بالنسبة إلى كل

(١) معيد النعم ٤٧ .

(٢) العلاج: رفع الأحجار وكانوا يتسابقون في ذلك. معيد النعم المرجع السابق الحاشية ٦ .

(٣) كذا، ولعل الأصح: ماأشد حمق.. لئلا يتعجب من فعل صفته على أفعل، كما هو معروف عند الصرفيين.

أحد، وربما كان عند الفقيه مايستر قبيحه، وليس عند الأمير وراء ذلك القبيح إلاّ أمثاله من القبائح.

وما يتعيّن على الأمير إذا أُنهي إليه عن أحد من أهل العلم سوءٌ ألا يصدقه، ويحسن الظنّ بهذه الطائفة؛ فإن لحومهم مسمومة. ومارأيت أميراً يغضّ من جانب الفقهاء إلا وكانت عاقبته عاقبة سوء.

فإن تيقن عن أحد منهم سوءاً، واتضح عنده كالشمس -ولن يصير ذلك إن شاء الله تعالى- فعلى الأمير بعد ذلك أن يعتبر نفسه؛ فإن كان هو أيضاً يفعل ذلك الفعل فليَعُدْ على نفسه باللائمة، ويقولَ: أنا أذنبت ذنبين؛ لأني جاهل مرتكب هذا القبيح، فكيف أؤاخذ هذا الذي لم يذنب إلا ذنباً واحداً! وهذا هو القبيح؛ فقد شاركني في ارتكاب الذنب، وفارقني في أنه عالم، وأنا جاهل، فأنا أنحس منه، لأني صاحب ذنبين، وهو صاحب ذنب واحد.

وقيل إنّ فقيهاً رفع إلى بعض الأمراء وهو سكران، فأخذ الأمير يجلده، والأمير أيضاً سكران. فلما قام الفقيه قال: رب اغفر لي، وجاء إلى القاضي، وقال: أقم عليّ الحد، فإنّ الأمير فاسق لاتصح إقامته للحدّ. فأهلك الله ذلك الأمير بعد أيام يسيرة.

ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق -وإن قلّت- على العلماء، واستقلالهم الأرزاق - وإن كثرت - على أنفسهم. وكثير منهم يعيبون على بعض الفقهاء ركوب الخيل ولبس الثياب الفاخرة.

وهذه الطائفة من الأمراء يخشى عليها زوال النعمة عنها عن قريب؛ فإنها تتبختر في أنعم الله مع الجهل والمعصية، وتنقم على خاصة خلقه يسيراً مما هم فيه. أفما يخشون ربهم من فوقهم! ولو اعتبر واحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده. أفما يستحيي هذا الأمير من الله عز وجل! وإذا سلبه الله نعمته فلم يتعجب ويبكي! أوَ ما يدري أنّ واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره! وماأحسن ماوُجد منقوشاً على دواة بعض الأمراء، وهو من نظم التاج بن السبكي، وهو أمر بأن يكتب:

حَلَّفتُ مَن يكتبُ بي بالله ربِّ العالَمِ
ألاّ يمدّ مدّة تؤلم قلب عالِمِ

ومن قبائحهم مايذهّبونه في الأطرزة العريضة والمناطق وغيرها من أنواع الزراكش التي حرمها الله، وزخرفة البيوت، سقوفها وحيطانها بالذهب. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضيق سكَّة[1] المسلمين. وأنت إذا اعتبرت مايذهب من الذهب في الأغراض الفاسدة تجِده قناطير مقنطرة، لايحصيها إلاّ الله؛ فإنه لابد في كل منطقة أو طراز ونحوه من ذهاب شيء - وإن قل جداً - تأكله النار. وهو في الأبنية أكثر. فإذا ضممت ذلك القليل إلى قليل آخر على اختلاف في البقاع والأزمان، لم يحص ماضاع من القناطير المقنطرة من الذهب إلا الله تعالى. ثم القدر الذي يسلم ولايضيع، يصير عندهم محبوساً أطرزة، ومناطق، وسلاسل، وكنابيش[2]، وسروجاً، وغير ذلك من المحرمات المختلفة الأنواع. ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به، ورخصت البضائع، وكثرت الأموال. ولكنهم احتجروا وفعلوا هذه القبائح، ثم يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم ومنا أن ندعو لهم. ولو اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا إلى دعائنا.

وقد طلب الملك المظفّر سيف الدين قطز[3] شيخَ الإسلام وسلطان العلماء

---

(١) الذي وجدناه من الأحاديث أنّه «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكَّة المسلمين الجائزة بينهم إلاّ من بأس» أخرجه أبو داود برقم ٣٤٤٩ في البيوع، باب في كسر الدراهم. وقد سبق في بعض الحواشي عند منصب الحسبة أنّ السكّة حديدة منقوشة تضرب عليها النقود، وأن الدراهم والدنانير تسمى سكة أيضاً لأنها تطبع بالحديدة المعلمة لها.

(٢) الكنبوش: البرذعة، تجعل تحت سرج الفرس، وتوضع فوقها الغاشية وهي غطاء مزركش فوق البرذعة. والكنبوش أيضاً غطاء السيف معجم الألفاظ التاريخية ١٣١.

(٣) قطز بن عبد الله المعزي. كانَ مملوكاً للمعز أيبك التركماني، وترقى إلى أن صار أتابك (أمير الأمراء) العساكر في دولة المنصور بن المعزّ ثم خلع المنصور وتسلطن مكانه سنة ٦٥٧هـ ونهض لقتال التتار الذين وصلوا إلى دمشق وهددوا مصر وخرج إلى لقائهم في عين جالوت بفلسطين وكسرهم وطاردهم إلي بيسان فظفر بهم ودخل دمشق في مركب عظيم وعزل من بقي فيها من بني أيوب وفي طريق عودته إلى مصر قتله أمراء جيشه ودفن بالقصير سنة ٦٥٨هـ. ثم نقل إلى القاهرة. الأعلام ٥/ ٢٠١ نقلاً عن ذيل الروضتين ٢١٠، فوات الوفيات ٢/ ١٣٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٧٢، السلوك للمقريزي ١/ ٤١٧ - ٤٣٥ مورد اللطافة لابن تغردي بردي ٣٥ - ٣٨.

عز الدين عبد السلام[1] بحضرة الملك الظاهر بيبرس[2]، والملك المنصور قلاوون[3] وغيرهما من الأمراء، وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار لما دهموا البلاد ووصلوا إلى عين جالوت[4]. فقال له: اخرج وأنا أضمن لك على الله النصر. فقال: إن المال في خزائني قليل، وأريد الاقتراض من التجار. فقال: إذا أحضرت أنت وجميع العسكر كلّ مافي بيوتكم وعلى نسائكم من الحلي الحرام، وضربته على السكة، وأنفقته في الجيش، وقصّر عن القيام بكلفتهم، أنا أسأل الله لكم في إظهار كنز من كنوز الأرض يكفيكم ويفضل عنكم. وأمّا أنكم تأخذون أموال

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد تولى الخطابة بدمشق والتدريس في زاوية الغزالي ولما سلّم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة صفد للفرنج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام وترك الدعاء له في الخطبة فغضب عليه وحبسه ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض وأرسل إليه الملك الظاهر يقول: إنّ في أولادك من يصلح لوظائفك فقال: لا. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ وله كتب عديدة في الفقه والأصول والتفسير والتصوف وغير ذلك. الأعلام ٤/ ٢١ نقلاً عن فوات الوفيات ١/ ٢٨٧، طبقات السبكي ٥/ ٨٠ - ١٠٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، ذيل الروضتين ٢١٦، مفتاح السعادة ٢/ ٢١٢.

(٢) هو بيبرس العلائي البندقداري صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، ولد بالقبجاق وأسر وبيع في سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار وبقي عنده. فلما قبض الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه أخذ بيبرس فجعله في خاصة خدمته ثم أعتقه ولم يزل في صعود حتى صار رئيس العساكر زمن السلطان قطز، فلما قتل هذا الأخير تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨. كان شجاعاً جباراً يباشر الحروب بنفسه وله وقائع هائلة مع الصليبيين والتتار وفتح بلاد النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وفي أيامه انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٥٩هـ وآثاره وأخباره كثيرة جداً. توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ ودفن في المدرسة المنسوبة إليه. الأعلام ٢/ ٧٩ نقلاً عن فوات الوفيات ١/ ٨٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤.

(٣) قلاوون الألفي العلائي الصالحي النجمي، أبو المعالي، سيف الدين السلطان الملك المنصور أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر، كان من المماليك، قفجاقي الأصل أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس وقام بأمور الدولة في أيام العادل سلامش ابن الظاهر، فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر وضربت السكة باسمهما، ثم خلع العادل وتولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨هـ وجلس على سرير الملك في قلعة الجبل. قاتل التتار حينما أغاروا على بلاده فقاتلهم وظفر بهم وهزم ملك النوبة حينما هاجم هذا الأخير أسوان توفي بالقاهرة سنة ٦٨٩هـ وهو من أجلّ ملوك المماليك قدراً ومن أكثرهم آثاراً، شجاع كثير الفتوحات أبطل المظالم ومن آثاره البيمارستان بين القصرين في القاهرة. كان قليل الكلام حكم أكثر من إحدى عشرة سنة. الأعلام ٥/ ٢٠٣ نقلاً عن خطط المقريزي ٢/ ٢٣٨، السلوك ١/ ٦٦٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩٢، فوات الوفيات ٢/ ١٣٣.

(٤) عين جالوت: بين بَيْسان ونابلس في فلسطين. معجم البلدان ٤/ ١٧٧.

المسلمين، وتخرجون إلى لقاء العدو، وعليكم المحرمات من الأطرزة المزركشة والمناطق المحرمة، وتطلبون من الله النصر، فهذا لاسبيل إليه. فوافقوه وأخرجوا ماعندهم، ففرقه، وكفى. واخرجوا، وانتصروا.

وأنت ففكّر واحسب تقديراً: كم على وجه الأرض من طراز ومنطقة وحلي حرام؟ وكم يكون مبلغه إذا اجتمع وضرب نقداً يتعامل به المسلمون؟ وكم على رؤوس عساكر الأروام[1] من الاسكعات (؟) الذهب!.

قال بعض الأمراء مرة وقد حُكي له كثرة ماكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُقطعه للأجناد، وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة، وخلفاء بني أمية، وماكان عدد عساكرهم الذي تضيق الأرض دونها، فقال: إذا كان عسكرهم هذا القدر العظيم، وإقطاعاتهم هذه الإقطاعات فمن أين كانوا يجدون المال الذي يكفيهم، والبلاد بلاد ماتغيرت! فقيل له: من هذه الأطرزة والحلي المحرم والخيول المسومة. قال: كيف؟ فقيل له: ماكانوا يعملون هذا الحلي، ولايشترون هذه الفرس بمئة ألف، والمملوك بخمسين ألف، ولاينتهون في الخيلاء إلى معشار ماانتهيتم إليه. فقال: صدق.

قال التاج السبكي: ولقد سمعت أنّ واحداً منهم خرج مرة إلى الصيد فافتض هو ومماليكه من[بنات][2] أهل البر مايزيد على سبعين بنتاً بكراً حراماً. فإذا فعل واحد منهم هذا الفعل، وتنوّع في الفسق بالغلمان والخمر والبرطيل ونحو ذلك، ثم سلبه الله تعالى النعمة، وسلط عليه أقلّ الأعداء، في أيسر وقت لايتعجب، بل يذوق بأس الله إذا نزل بساحته.

ومن منكراتهم ركوبهم والجنائب[3] تقاد بين أيديهم مسرجة غير مركوبة، وهم مع ذلك يجدون المحتاج ماشياً ولايركبونه، وإنما يمشون بالجنائب للتزيّن لا للحاجة.

---

(١) اختلف الباحثون في تفسير الأروام بأنهم اليونانيون أو الأتراك، انظر مقدمة إعلام الورى ط دار الفكر دمشق عام ١٩٨٣م رغم أن ابن طولون أكثر من استعمالها في متن الكتاب المذكور بمعنى الأتراك العثمانيين كما في ص١٥٤/ ٢٣٨/ ٢٤٣ وغيرها. وكما هو المقصود بالنص المدون أعلاه.

(٢) في الأصل: سائر، وما أوردناه كما جاء في معيد النعم.

(٣) مفردها جنيب، وهي الخيول الاحتياطية التي ترافق السلطان في سفره. معجم الألفاظ التاريخية ٥٥.

روى أبو داود، من حديث سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن أمه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [1]«تكون إبل للشياطين، وبيوت للشياطين. فأما إبل الشياطين فقد رأيتها، يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها، ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أرها». قال سعيد: لا أراها إلاّ هذه الأقفاص التي يستر الناس بالديباج قال أبو نصر بن السبكي: قلت: الأقفاص المستورة بالديباج كالمحفّة[2] والمحائر[3] وغيرها ممايتعاناه أهل الثروة. وهذا فيمن قاد الجنائب للخيلاء. أما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه في الطريق فهو حسن. وكذلك إذا قادها في الجهاد خشية أنّ فرسه تعجز.

ومن فضائحهم أن الجندي يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً، فلا يعطونه سلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أياه، حيث قال: «من قتل قتيلاً فله سلبه»[4] فيمنعونه ماأعطاه سيّد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ويفتّرون بذلك عزائم الجند؛ فإنّ الجندي إذا عرف أنه يخاطر بنفسه ولا ينصف فترت عزيمته، وحق عليهم أن يعطوه سلب المقتول، وهو ثياب القتيل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه. قال التاج السبكي من الشافعية: وكذا سواره ومنطقته وخاتمه ومامعه من النفقة، ومن جنيب يقاد معه على الصحيح. وإنما يستحق السلب من ركب الخطر بكفاية شر كافر في حال الحرب. فلو رمي من حصن، أو من الصف، أو قتل نائماً، أو أسيراً، أو قتله بعد انهزام الكفار فلا سلب له. ولو لم يقتله، ولكنْ أسره أو قطع يديه أو رجليه استحق سلبه على الجديد. وخالف فيه الشيخُ الإمام يعني والده انتهى.

---

(١) رواه أبو داود برقم ٢٥٦٨ في الجهاد، باب الجنائب، وإسناده حسن.

(٢) المحفّة بكسر الميم: مركب من مراكب النساء كالهودج (المصباح المنير).

(٣) قال في التاج في مادة حَوَر: للمحارة: شبه الهودج، والعامة يشددون. ويجمع بالألف والتاء.

(٤) ورد بلفظ من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه رواه البخاري ٦/ ١٧٧ في الجهاد باب من لم يخمس الأسلاب وفي البيوع، باب بيع السلاح في الفتنة، وفي المغازي باب قول الله تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم، وفي الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم ورواه مسلم برقم ١٥٧١ في الجهاد باب استحقاق القاتل سلب القتيل، وفي الموطأ ٢/ ٤٥٤ في الجهاد باب ماجاء في السلب في النفل، والترمذي برقم ١٥٦ في السير، باب ماجاء فيمن قتل قتيلاً فله سلبه، وأبو داود برقم ٢٧١٧ في الجهاد باب في السلب يعطى القاتل.

[٣٧] - منصب أمراء العرب[١]

وهم الذين ينزلون ويظعنون. وقد أنعم الله عليهم بالأرزاق الوافرة والاقطاعات الهائلة، ليرفعوا أذاهم عن المسلمين.

ومن قبائحهم أنه إذا قطع السلطان إقطاع واحد منهم تسلط على قطع الطرقات، وأذية من لم يؤذه، وأخذ مال من لم يظلمه. ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض. وبذلك يقابلهم الله عز وجلّ. فلو أنهم صبروا واتقوا الله لكان خيراً لهم. ومن أعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها. ربما اعتقد بعضهم حلّ أموال الحجاج، وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم. ولايخفى مافي ذلك من الجرأة على الله تعالى.

وكثير من العرب لايتزوجون المرأة بعقد شرعي، وإنما يأخذونها باليد. وربما كانت في عصمة واحد، فنزل عليها أمير غيره، واستأذن أباها وأخذها من زوجها، فهات قل لي: أي ولد صالح ينتج من هذه؟ لا جرم أنهم لايلدون إلا فاجراً.

ومن قبائحهم أنهم لايورّثون البنات، ولايمنعون الزنا في الجواري، بل جواريهن يتظاهرون بالزنا مع عبيدهم، وكل ذلك من الموبقات العظام.

[٣٨] - منصب كاتب القاضي[٢]

ومن حقه أن يعرف مدلولات اللفظ العرفية واللغوية، وأن يكون حسن الفهم عن اللافظين من عوام الواقفين والمقرّين وغيرهم، وأن ينبّه كل لافظ على مالعله يشك في إرادته له. ولقد ضاع كثير من أوقافنا في مدلولات ألفاظ الواقفين ضياعاً، منشؤه الشروطيون.

---

(١) معيد النعم ٥٤

(٢) انظر معيد النعم ٦٠

وقد كثر من الشروطيين أن يكتبوا في بيع القرية مثلاً خلا مافيها من مسجد لله تعالى، ومقبرة، وملك لأربابه، ووقف يذكرون ذلك بعد تحديد القرية، ولايحددون هذا المستثنى، فيورث ذلك الجهل بالمبيع. قال التاج بن السبكي: «قال الشيخ الإمام -يعني والده-: وإن كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدين صح البيع، وإلاّ فيحتمل أن يفسد، لأنّ جهالتها تقتضي جهالة الباقي في المعقود عليه. ويحتمل أن يقال: الجملة معلومة فلا يضر جهالة القدر المستثنى. قال: ولم أر فيه نقلاً. وأما كتابة الشروطيين الصداق في الحرير فمختلف في جوازه، وأفتى النووي[1] بتحريمه، وعزاه إلى جماعات من أصحابنا، ولكن الأظهر حلّه، لأنّه لمصلحة النساء. وقد كان الشيخ الإمام امتنع من الكتابة على صداق الحرير، ثم رأيته يكتب عليه، وهو آخر الأمرين منه. والتردد بالمسألة شبيهة باختلاف الأصحاب في ألواح الصبيان»[2] انتهى.

[٣٩] - منصب حاجب القاضي[3]

ومن حقه الاستئذان على ذوي الحوائج، ورفع الأمور إلى القاضي حسبما ذكره الفقهاء.

---

(١) مرت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٢) انظر معيد النعم ص ٦١ . وللشافعية في مسّ الكبار للآيات القرآنية المكتوبة على ألواح تلاميذ الكتاتيب مع الحدث قولان؛ بالحرمة على أنها كالمصاحف، وبالجواز على كونها معدّة للصبيان. ومثل هذا عندهم بالنسبة لكتابة وثيقة الصداق على الحرير التي هي لمصلحة النساء ويتولى كتابتها الرجال.

(٣) انظر معيد النعم ٦١

[٤٠] - منصب نقيب القاضي[١]

ومن حقه تنبيه القاضي على الشهود، وتنبيه الشهود على القاضي.

[٤١] - منصب أمناء القاضي[٢]

وعليهم التحفظ في أموال الأيتام والغائبين، ويجوز للقاضي إقراض مال اليتيم عند أبي حنيفة، والصحيح عند الشافعية أنه لايجوز له إقراضه.

وعلى الأمناء إذا أمر القاضي بصرف زكاة اليتيم تأديتها لمن يعيّنها له مهيّأة ميسرة. ومَن أحوج أمَّ اليتيم أن تتردد إلى بابه لأخذ نفقة اليتيم من ماله فقد ظلم ظلماً عظيماً.

[٤٢] - منصب وكلاء دار القاضي[٣]

وقد مدحهم قوم فقالوا: هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق. وذمهم آخرون، فقالوا: هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم والحق عندنا أنّ من أراد منهم وجه الله تعالى محمود، وإن تناول أجرته. ومن أراد الخصام وإبطال الحقوق مذموم.

ومن حقهم التفهم عن الموكِّل، ومعرفة الواقعة والحق في أي الطرفين، فلا يتوكل على المحق معتذراً بأنه وكيل. ولايبدي من الحجة إلا مايعرفه حقاً، أو يقوله له الموكل وهو يجهل الحال فيعتمد عليه، فإن عَلمَه باطلاً وأدلى به فهو في جهنّم.

---

(١) انظر معيد النعم ٦٢ .

(٢) انظر معيد النعم ٦٢ .

(٣) انظر معيد النعم، المرجع السابق. ويفهم من كلامه أنّ منصب هؤلاء يشبه أن يكون كمنصب المحامين اليوم.

[٤٣] - منصب الشهود[١]

وبهم قوام غالب المعاش والمبادلات.

وقد ذكر الفقهاء مالهم وماعليهم فاستوعبوا. وذمّهم قوم فقالوا: إنّ سفيان الثوري[٢] قال: الناس عدول إلا العدول. وإنّ عبد الله بن المبارك[٣] قال: هم السفلة. وأنشدوا:

قومٌ إذا غَضِبُوا كانتْ رماحُهُمُ ... بَثَّ الشَّهادة بينَ النَّاسِ بالزُّورِ

هم السلاطينُ إلاّ أنَّ حكمُهُمُ ... على السِّجلاّتِ والأملاكِ والدُّورِ

وقال آخر:

إيّاكَ أحقادَ الشهود فإنَّما ... أحكامُهُمْ تجريْ على الحُكّامِ

قومٌ إذا خافُوا عَداوةَ قادرٍ ... سَفَكُوا الدِّما بأسنَّة الأقلامِ

وقال آخر:

احذرْ حوانيتَ الشُّهو ... د الأخسرينَ الأرْذَلينا

قومٌ لِنامٌ يَسْرقو ... نَ ويحلفونَ ويكذبونا

وكل هذا غلو وإفراط وتجاوز. ومن سلك منهم ماأمر به، واجتنب مانهي عنه محمود مأجور. غير أنه قد غلب على أكثرهم التسرع إلى التحمّل وذلك مذموم، وإلى أخذ الأجرة على الأداء فهو حرام. وقسمة مايتحصّل لهم في الحانوت،

(١) معيد النعم ٦٣.

(٢) تقدمت ترجمة الثوري في الصفحة ٥

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر صاحب التصانيف والرحلات جمع الفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة وكان من سكان خراسان ومات ببلدة هيت على الفرات منصرفه من غزو الروم له كتاب الجهاد وهو أول من صنف فيه والرقائق. الأعلام ٤/ ١١٥ عن تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣، والرسالة المستطرفة ٣٧، ومفتاح السعادة ٢/ ١١٢ وشذرات الذهب ١/ ٢٩٥.

وذلك منهم شركة أبدان، وهي غير جائزة عند الشافعية. فعليهم النظر في ذلك كله ومراقبة الحق سبحانه.

وأما شهود القسمة[1] فعلى خطر عظيم.

[٤٤] - منصب ناظر الوقف ونحوه من المباشرين[2]

من حقه التنمية والعمارة.

قال التاج بن السبكي: وقول الأصحاب أنّ ولي اليتيم لايجب عليه المبالغة في الاستنماء، وإنما الواجب أن يستنمي قدر مالا تأكل النفقة والمؤن المال الصحيح. ولكنّ الزيادة من شكر النعمة.

ومما تعم به البلوى مدرسة غير محصور عدد فقهائها، فيُنزل القاضي أو الناظر فيها أشخاصاً، ويقرر لهم من المعلوم مايستوعب قدر الارتفاع، فهل يجوز تنزيل زائد؟. قال ابن الرفعة[3]: لايجوز. قال الشيخ الإمام: وهو الذي استقر عليه رأيي، بشرط أن يكون في مدرسة قدّر للفقيه [فيها] مثلاً قدر معيّن. أما لو قرر عشرة فقهاء مثلاً، ولم ينص في معاليمهم على قدر ولا جزء معيّن لأصل الوقف -وهو غالب مايقع في المدارس التي ليست محصورة- فلا يمتنع.

ومنه ناظر وقف يُؤجّر حانوتاً أو نحوه خراباً، بشرط أن يعمره المستأجر بماله، ويكون ماأنفقه محسوباً من أجرته. وهذه الإجارة باطلة؛ لأنه عند الإجارة غير

---

(١) شهادة القسمة تكون عند تقديم مايتنازع فيه الشركاء توصلاً للتقسيم. عن الحاشية رقم (١) من معيد النعم ص٦٤.

(٢) معيد النعم ٦٤.

(٣) أحمد بن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الرفعة فقيه شافعي من فضلاء مصر كان محتسب القاهرة وناب في الحكم له عدد من المؤلفات منها كتاب بذل النصائح الشرعية في ما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية. ندب لمناظرة ابن تيمية، فسئل ابن تيمية عنه فقال: رأيت شيخاً يتقاطر فقه الشافعية من لحيته توفي سنة ٧١٠هـ. الأعلام ١/ ٢٢٢ نقلاً عن البدر الطالع ١/ ١١٥، طبقات الشافعية ٥/ ١٧٧، الدرر الكامنة ١/ ٢٨٤ إيضاح المكنون ١/ ١٥٨، حسن المحاضرة ١/ ١٧٦.

منتفع به. أما إذا كان الحانوت منتفعاً به فآجره بأجرة معلومة، ثم أذن للمستأجر في صرفها إلى العمارة جاز.

ولايجوز إجارة الحمام بشرط أن يكون مدة تعطيله بسبب عمارة أو نحوها محسوبة على المستأجر لا على المؤجر.

[٤٥] - منصب وكيل بيت المال[١]

فمن حقه ألاّ يبيع من أملاك بيت المال ما المصلحة في بقائه. ولا يبيع إلا بغبطة ظاهرة، أو حاجة؛ كما في البيع على اليتامى.

وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع مايفضل عن حاجة المسلمين. وقد أفتى من الشافعية ابن الرفعةوغيره بأن ذلك حرام.

قال التاج بن السبكي[٢]: وفقهاء العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الإمام الأعظم أو موته. وكان الشيخ يرى أنه لاينعزل بذلك. انتهى

[٤٦] - منصب المؤرخين

قال العراقي في الجرح والتعديل [٣]: «وليحذر المتصدي من العرض في جانبي التوثيق والتجريح، فالمقام خطر. ولقد أحسن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[٤] حيث يقول: أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس؛ المؤرخون والحكام. ومع كون الجرح خطراً فلابد منه للنصيحة في الدين.

---

(١) معيد النعم ٦٥

(٢) معيد النعم ٦٥ . وانظر ترجمة التاج السبكي في المقدمة.

(٣) مرت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧

(٤) تقدمت ترجمة ابن دقيق العيد في الصفحة ٤٨

وقيل إنّ أبا تراب النخشبي[1] قال لأحمد بن حنبل: لاتغتب العلماء. فقال له أحمد: «ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة». انتهى. وقد أوجب الله تعالى الكشف والتبيين عن خبر الفاسق بقوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[2].

وقال التاج بن السبكي[3]: «والمؤرخون على شفا جرف هاو، لأنهم يتسلطون على أعراض الناس. وربما نقلوا بمجرد مايبلغهم من كاذب أو صادق. فلابد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ماقد يحمله على التعصب له، ولا من العداوة ماقد يحمله على الغضّ منه؛ فربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة، واعتقاد أنهم على ضلال، فيقع فيهم أو يقصّر في الثناء عليهم لذلك. وكثيراً مايتفق هذا لشيخنا الذهبي[4] في حق الأشاعرة، والذهبي أستاذنا -والحق أحق أن يتبع- لايحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضعة من الأشاعرة. وقد أطلنا في تقرير هذا الفصل في (الطبقات الكبرى)[5]. وحكينا في ترجمة أحمد بن صالح المصري[6] ماذكره الشيخ الإمام في شروط المؤرخ. ومن كلام أبي عمر بن عبد البر مايزداد به الإنسان بصيرة. ومن فقهاء عصر واحد. فلا ينبغي سماع كلام بعضهم في بعض. وقد عقد ابن عبد البر[7] باباً في أن كلام بعضهم في بعض لايقبل، وإن كان كل منهم بمفرده ثقة حجة».

(١) عسكر بن الحصين أو بن محمد بن الحصين النخشبي، واشتهر بكنيته أبو تراب وهو من أهل نخشب بلدة فيما وراء النهر عربت إلى نَسَف. كان شيخ عصره في الزهد والتصوف كتب كثيراً من الحديث وأخذ عنه أحمد بن حنبل وغيره. وقف ٥٥ وقفة بعرفة ومات بالبادية قيل نهشته السباع سنة ٢٤٥هـ. الأعلام ٤/٢٣٣. وانظر سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦ وتمامها ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾.

(٣) معيد النعم ٧٤

(٤) تقدمت ترجمة الذهبي ص ٤٧.

(٥) ج ٢ ص ٢٢ - ٢٥

(٦) في الطبقات ج٢ ص ٦ وما بعد

(٧) هو يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث مؤرخ، أديب قاض يقال له حافظ المغرب وله مصنفات كثيرة في الحديث والأنساب والتاريخ الأعلام ٨/ ٢٤٠، سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣

[٤٧] - منصب المحدثين

المحدث هو العارفُ بشيوخ بلده وغيرها، والضابطُ لمواليدهم ووفياتهم، ومراتبهم في العلوم، ومالهم من المرويات على اختلاف أنواعها، والمميزُ لعالي ذلك من نازله، والمقتدرُ على تلخيص مايقف عليه من الطباق والأسانيد محرراً، واستخراج الخطوط ولو تنوعت، والانتقاء على الشيوخ، والتخريج لهم ولنفسه، مع التنبيه على العدل والموافقة والمصافحة والمساواة ونحو ذلك، وضبط أسماء السامعين ولو كانوا ألفاً، والممارسُ لأسماء الرجال لاسيما المشتبه، وأخذ ضبطها عن أئمة الفن، والضابطُ لغريب ألفاظ الحديث أو جلّها، خشية التصحيف، والعارفُ بطرف من العربية يأمن معه من اللحن غالباً، والماهرُ باصطلاح أهله، بحيث يصلح لتدريسه وإفادته، ويراعي اصطلاحهم في ذلك ونحوه.

وقد يطلق على من لم يجتمع له ذلك محدثاً، لكن أكثر عملهم على هذا.

وله آداب دَوّنها أئمتنا، وأجلّ مصنف في ذلك كتاب (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) للخطيب[1]. قرأته. وللحافظ أبي الفتح بن سيّد الناس[2] كلام

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، حافظ مؤرخ. ولد في غُزية بين مكة والكوفة بمنتصف الطريق ونشأ في بغداد ورحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستتراً إلى الشام فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب سنة ٤٦٢هـ ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث. كان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب يقول الشعر ولوعاً بالمطالعة والتأليف من أشهر كتبه تاريخ بغداد ١٤ مجلداً والكفاية في علم الرواية في المصطلح وتلخيص المتشابه في الرسم، والرحلة في طلب الحديث والفقيه والمتفقه ١٢ جزءاً وغير ذلك توفي ببغداد سنة ٤٦٣هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠، الأعلام ١/ ١٧٢ نقلاً عن معجم الأدباء ١/ ٢٤٨، طبقات الشافعية ٣/ ١٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧. وأما كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع فقد ذكر فيه مايلزم للمحدث وطالب الحديث من آداب وواجبات وأصول تقتضيها صنعة الحديث وأفاض في ذلك. وقد صدرت له طبعة جيدة محققة في جزأين بالرياض ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح، مؤرخ عالم بالأدب من حفاظ الحديث، له شعر رقيق، أصله من إشبيلية مولده بالقاهرة ووفاته فيها عام ٧٣٤ من تصانيفه عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير جزآن ومختصره نور العيون وغير ذلك. الأعلام ٧/ ٣٥ عن فوات الوفيات ٢/ ١٦٩، =

في تعريفه حيث قال: «المحدث في عصرنا هو المشتغل بالحديث رواية وكتابة وجمع رواة. واطلع على كثير من الرواة والروايات في حسن تبصر في ذلك حتى عُرِف خطه واشتهر فيه ضبطه».

وهذا أسهل مما قاله العلامة تاج الدين أبو نصر السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم[1]: «المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وحفظ البعض من الأسانيد، وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته، فإذا سمع ماذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد، كان في أولَ درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ماشاء». انتهى.

والمقتصر على السماع لايسمى محدّثاً. قال الإمام تاج الدين بن يونس في (شرح التعجيز)[2]: «إذا أوصي للمحدث تناول من علم طرق إثبات الحديث وعدالة رجاله؛ لأن من اقتصر على السماع فقط ليس بعالم. ويشهد له قول الرافعي فيما إذا أوصى للعلماء أنه لايدخل فيها الذين يسمعون الحديث، ولا علم لهم بطرقه، ولا بأشياء من الرواة والمتون، فإنّ السماع المجرّد ليس بعلم. وكذا قال الفارقي[3]: «لايصرف لمن عرف طرق الحديث ولم يعرف أحكامه لأنه لايصير من علماء الشرع بهذا القدر». وتابعهُ تلميذه ابن عصرون[4] في (الانتصار). ونحوه

= ذيل تذكرة الحفاظ ١٦، ٣٥٠، الوافي بالوفيات ١/ ٢٨٩، الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٨، النجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٣.

(١) ص ٨٢.

(٢) الإمام تاج الدين هو عبد الرحيم بن محمد أبو القاسم بن يونس قاض من فقهاء الشافعية ولد وتعلّم بالموصل ودخل بغداد بعد استيلاء التتار عليها وولي قضاء الجانب الغربي فيها إلى أن توفي سنة ٦٧١هـ وكتابه التعجيز في مختصر الوجيز في فروع الشافعية ثم شرحه ولم يكمله سماه التطريز في شرح التعجيز. وغير ذلك. كشف الظنون ١/ ٤١٧، والأعلام ٣/ ٣٤٨ نقلاً عن شذرات الذهب ٥/ ٣٣٢ وغيره.

(٣) الفارقي هو الحسن بن إبراهيم بن علي الفارقي، أبو علي، فقيه شافعي منسوب إلى ميافارقين وبها ولد وانتقل إلى بغداد فولي قضاء واسط فتوفي فيها سنة ٥٢٨ هـ له مؤلفات في الفقه. وكان حسن السيرة في القضاء، الأعلام ٢/ ١٧٨ نقلاً عن وفيات الأعيان ١/ ١٣٠، وهدية العارفين ١/ ٢٧٩.

(٤) عبد الله بن محمد التميمي بن أبي عصرون، فقيه شافعي من أعيانهم. ولد بالموصل وانتقل إلى بغداد واستقر بدمشق فتولى بها القضاء سنة ٥٧٣هـ وعمي قبل موته بعشر سنين، وإليه تنسب المدرسة العصرونية بدمشق، من =

قول السبكي: «لايدخل في الحديث من اقتصر على السماع المجرّد»[1]. وكذا قال بعض المتأخرين: «المحدّث عند الفقهاء لايطلق إلا على من حفظ متون الحديث وعلم عدالة رجاله وجرحها فقط. والمقتصر على السماع خارج عن هذين». وتعقبه ابن حجر بقوله: «هذه مكابرة؛ لأن القسمة رباعية، وأرفع الأربعة من له السماع الكثير والعلم بالطرق والعلل». قال السخاوي[2]: «قلت: ولعل الأولين إنما سمياه بذلك حقيقة؛ لأنه مسند ومن عداهم أراد المجاز».

ثم ما المراد بطرق الحديث؟. قال في (الذخائر): «معرفة ماتضمنته الأحاديث من الأحكام مع معرفة رواته. وهذا مخالف لاصطلاحهم؛ فإنهم إنما يريدون بالطرق تعداد الأسانيد والوجوه للحديث الواحد». وقال صاحب الوافي: «المراد بطرقه معرفة الصحيح والضعيف والغريب ومعرفة أسماء الرجال وعدالتهم وجرحهم، ويعرف معانيه؛ فيكون حينئذ عالماً. وألا يكون كقارئ القرآن، وليس ذلك بعلم، بل هو نقل». وإلى آخر كلامه، يرشد له قول الماوردي[3] في الوقف: «إنه لايصرف للقراء وأصحاب الحديث، لأن العلم ماتُصُرِّف في معانيه دون ماكان محفوظ التلاوة. وعليه يُحمل مارويناه عن الحافظ السلفي، قال[4]: «استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن الطبري عُرف بالكيا[5] عن رجل وصّى بثلث ماله للعلماء

= آثاره صفوة المذهب على نهاية المطلب ٧ أجزاء، الذريعة في معرفة الشريعة، المرشد مجلدان، التيسير في الخلاف توفي سنة ٥٨٥هـ. الأعلام ٤/ ١٢٤ نقلاً عن نكت الهميان ١٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٥، طبقات السبكي ٢٣٧. وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٥ أما كتابه هذا فهو الانتصار لما جرّد في المذهب من الأخبار والاختيار فيقع في أربعة أجزاء منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ومنه المجلد الأول في استامبول باسم الانتصار لما جرّد في المذهب من أخبار. وهو انتصار لمذهب الشافعي كشف الظنون ١/ ١٢٠.

(١) معيد النعم ٨٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي، مؤرخ، حجة، عالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا في قرى مصر، ولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢هـ ساح في البلاد طويلاً، وصنف نحو ٢٠٠ كتاب أشهرها الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ١٢ جزءاً. الأعلام ٦/ ١٩٤، عن الضوء اللامع ٨/ ٢، الكواكب السائرة ١/ ٥٣، شذرات الذهب ٨/ ١٥، خطط مبارك ١٢/ ١٥.

(٣) انظر ترجمة الماوردي في الصفحة ٢٠.

(٤) سبقت ترجمة الحافظ السلفي في الصفحة ٥١.

(٥) هو علي بن محمد أبو الحسن الطبري الملقب بعماد الدين ويعرف بالكيا الهرّاسي، فقيه شافعي، مفسّر، سكن بغداد فدرّس بالنظامية، ووعظ، واتهم بمذهب الباطنية، فرجم وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له. من كتبه: أحكام القرآن توفي سنة ٥٠٤ هـ (الأعلام ٥/ ١٤٩).

والفقهاء، هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية؟ فقال: نعم؛ كيف لا! وقد قال النبّي صلى الله عليه وسلم: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها، بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»[1]. قال السخاوي[2]: «قلت: ويروى عن مالك أن المقتصر على السماع لايؤخذ عنه العلم». وعبارته فيما نقله القاضي عبد الوهاب في (الملخص) نقلاً عن عيسى بن أبان[3] عنه: لايؤخذ العلم عن أربعة. فذكرهم، فقال: ولا عمن لايعرف هذا الشأن. وفسّر القاضي مراده بما إذا لم يكن ممن يعرف الرجال من الرواة ولايعرف هل زيد في الحديث شيء أو نقص. لكن العمل على خلاف هذا، والاعتماد في هذه الأعصار غالباً على القارئ؛ ولذلك أقول بامتناع قراءة كثير من الطلبة الذين لاممارسة لهم بالمتون ولا بالأسانيد، بل ولا معرفة لهم بشيء في الجملة أصلاً على من لاتمييز عنده من المُسْندين، ولاأقل من أن يصحح حديثه أولاً. ولله در الحافظ أبي عبد الله الذهبي[4] حيث قال فيما قرأته بخطّه في حق هؤلاء وإن بالغ، لكنه والله معذور: «[أما] المحدثون فغالبهم لايفهمون، ولاهمة لهم في معرفة الحديث، ولا في التدين به، بل الصحيح والموضوع عندهم نسبة، إنما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة، لايتأدبون بآداب الحديث، ولايستفيقون من سكرة السماع. الآن يسمع الجزء، ونفسه تحدثه متى يرويه؟ أبعد خمسين سنة؟ ويحك! ماأطول أملك، وماأسوأ عملك!».

معذور سفيان الثوري[5] إذ يقول فيما رواه أحمد بن يوسف الثعلبي؛ ثنا خالد

---

(١) أورده العجلوني بلفظ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً» وقال: «رواه أبو نعيم بنحوه عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. وأورد له روايات أخرى، ونقل قول الدارقطني أن طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت. وقال النووي في خطبة أربعينه: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه. كشف الخفا رقم ٢٤٦٥.

(٢) تقدمت ترجمة شمس الدين السخاوي في الصفحة ٨٨.

(٣) عيسى بن أبان، فقيه العراق، تلميذ محمد بن الحسن وقاضي البصرة، حدّث عن إسماعيل بن جعفر، وهشيم، ويحيى بن أبي زائدة، وله تصانيف. كان مفرط الذكاء سخياً جواداً توفي سنة ٢٢١هـ وعنه أخذ بكار بن قتيبة. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٤٠، وانظر تاريخ بغداد ١١/ ١٥٧، والجواهر المضية ١/ ٤٠١.

(٤) انظر ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

(٥) انظر ترجمة الثوري في الصفحة ٥٠.

ابن خداش، ثنا حماد بن زيد، قال سفيان الثوري: «لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير» صدق والله. وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه، وأنت لاتفلّيه، ولاتبحث عن ناقليه، ولاتدين الله به.

أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدّثَ الطلبُ والسماعُ. ومقصود الحديث أبداً التدين به، بل فائدة السماع ليروي، فهذا والله لغير الله.

خطابي معك يامحدّث، لا مع من يسمع ولايعقل، ولايحافظ على الصلاة، ولايجتَنب الفواحش، ولا فرّعن الخسائس، ولايحسن أن يصدق. فيا هذا لاتكن مجرماً مثلي، فإنا نحسن أبغض المناحيس.

فطالب الحديث اليوم ينبغي له أولاً أن ينسخ الجمع بين الصحيحين[1]، وأحكام عبد الحق[2] والضياء[3]. ويدمن النظر فيها، ويكثر من تحصيل تواليف البيهقي، فإنها نافعة. ولا أقل من تحصيل مختصر كالإلمام[4] ودرسه، فإيش

---

(١) جمع الصحيحين أكثر من عالم من علماء الحديث كحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦) ومحمد بن عبد الرزاق الجوزقي النيسابوري (ت ٣٨٨) وعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت ٥٨٢) ومحمد إسماعيل بن أحمد السرخسي المعروف بابن الفرات (ت ٤١٤) وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة (ت ٦٤٢) وأحمد بن محمد البرقاني، وإبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي وهؤلاء رتبوا جمعهم على المسانيد دون الأبواب وأما الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي (ت ٤٨٨) فرتبه على حسب فضل الصحابي الراوي. وقد زاد عليه ألفاظاً وتتمات ليست من أحد الصحيحين جاء بهذه الزيادة من كتب اعتنى أصحابها بالصحيح. كشف الظنون ١/ ٥.

(٢) كتاب الأحكام الكبرى في الحديث لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي (ت ٥٨٢هـ) وهو كتاب كبير في ثلاثة مجلدات انتقاه من كتب الأحاديث. كشف الظنون ١/ ٤٥.

(٣) كتاب الأحكام في فقه الحنابلة لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ الحنبلي (ت ٦٤٣) وهو كتاب كبير في ثمانية مجلدات. كشف الظنون ١/ ٤٦.

(٤) لعله الإلمام في أحاديث الأحكام للشيخ تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ وقد مرت ترجمته في الصفحة ٤٨. قال في كشف الظنون (١/ ١١٤): جمع في كتابه هذا متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة عن الأسانيد ثم شرحه وبرع فيه وسماه الإلمام، قيل إنه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه لما فيه من الاستنباطات والفوائد ولكنه لم يكمله. وذكر البقاعي في حاشية الألفية أنه أكمله، ثم لم يوجد بعد موته منه إلا القليل، فيقال إن بعض الحسدة أعدمه؛ لأنه كتاب جليل القدر، لو بقي لأغنى الناس عن تطلب كثير من الشروح. انتهى. وممن شرحه شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢) ولخصه قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي (ت ٧٣٥) وسماه الاهتمام بتلخيص كتاب الإلمام وشمس الدين محمد بن أحمد الشهير بابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٧٤٤) لخصه أيضاً وسماه المحرر، وعلى هذا الملخص =

السماع على جهلة الشيوخ الذين ينامون، والصبيان يلعبون، والشبيبة يمزحون ويتحدثون، وكثير منهم ينعسون ويكابرون، والقارئ يصحّف، والرضّع يتضاغون[1]. بالله خلّونا، فقد بقينا ضحكة لأولي المعقولات، يطنزون[2] بنا، ويقولون: أهؤلاء هم أهل الحديث!.

وقال في موضع آخر، وقد نقل عن سفيان الثوري[3] أنّه قال: «ليس طلب الحديث من عدّة الموت، ولكنه علّة يتشاغل به الرجال مانصه». لقد صدق فيما قال؛ لأنّ طلب الحديث، شيء غَير الحديث.

وطلب الحديث أمر عرفي لأمور زائدة على تحصيل ماهية الحديث. وكثير منها يرقى إلى العلم وأكثرها أمور يُشْغَفُ بها المحدثون من تحصيل النسخ المليحة، وتطلُّب الإسناد العالي، وتكثير الشيوخ، والفرح بالألقاب، وتمني العمر الطويل ليروي، وحب الانفراد إلى أمور عديدة لازمة للأمراض النفسانية، لا للأعمال الربانية. فإذا كان طلبك للحديث محفوفاً بهذه الآفات، فمتى خلاصك منها إلى الإخلاص! وإذا كان علم الآثار مذموماً، فما ظنّك بعلوم الأوائل[4]، التي تَنْكُب[5] الإيمان، وتورث الشكوك التي لم تكن والله في عصر الصحابة والتابعين، بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه» انتهى.

وقال الإمام أبو شامة[6] : «علوم الحديث الآن ثلاثة: أشرفها حفظ متونه،

= شرح القاضي جمال الدين يوسف بن حسن الحموي (ت ٨٠٩) ولخص الإلمام أيضاً علاء الدين علي بن بلبان (ت ٧٣١).

(١) ضغا الذئب والسنّور والثعلب صوّت وصاح، وكذلك الكلب والحية، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضُرب فاستغاث. وقالوا: رأيت صبياناً يتضاغون إذا تباكوا لسان العرب: ضغا.

(٢) طَنَز يطنزُ كلّمه باستهزاء. قال الجوهري أظنه مولداً أو معرباً والطنْز: السخرية. لسان العرب: طنز.

(٣) مرت تَرجمة سفيان الثوري في الصفحة ٥٠.

(٤) المقصود بها الفلسفة وعلم الكلام والفلك.

(٥) نكبه الدهر ينكُبه: بلغ منه وأصابه بنكبة لسان العرب: نكب.

(٦) عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي أبو شامة المقدسي، مؤرخ محدث باحث أصله من القدس ولد بدمشق ونشأ بها وولي فيها مشيخة دار الحديث الأشرفية. دخل عليه اثنان بصورة مستفتيين فضرباه فمرض ومات بدمشق سنة ٦٦٥هـ وقبره معروف بها له آثار عديدة منها الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية وعليه ذيل ومختصر تاريخ ابن عساكر ٥ مجلدات وتاريخان لدمشق أحدهما كبير في ١٥ مجلداً والآخر صغير في ٥ مجلدات وغير ذلك. الأعلام ٣/ ٢٩٩، وانظر أيضاً فوات الوفيات ١/ ٢٥٢، بغية الدعاة ٢٩٧ البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٠، طبقات الشافعية ٥/ ٦١.

ومعرفة غريبها وفقهها. والثاني حفظ أسانيدها، ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها، وهذا كان مهماً، وقد كُفِيَهُ المشتغل بالعلم بما صُنِّف وأُلِّف في ذلك، فلا فائدة تدعو إلى ماهو حاصل. الثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه، وطلب العلوّ فيه، والرحلة بسببه إلى البلدان.

والمشتغل بهذا مشتغل بما هو الأهم من علومه النافعة، فضلاً عن العمل به الذي هو المطلوب الأول. قال الله تعالى: ﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾[1]. إلاّ أن هذا لابأس به للبطّالين، لما فيه من إبقاء سلسلة العنعنة المتصلة بأشرف البشر صلى الله عليه وسلم، فهي من خصائص هذه الأمة. قال: ومما يزهّد في ذلك أنّ فيه يتشارك الصغير والكبير، والمعدم والغانم، والجاهل والعالم. وقد قال الأعمش[2]: «حديث يتداوله الفقهاء خير من حديث يتداوله الشيوخ». ولام إنسان أحمد في حضور مجلس الشافعي وتركه مجلس سفيان بن عيينة[3]، فقال له أحمد: «اسكت، فإن فاتك حديث بعلو، تجده بنزول ولايضرك. وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف ألا تجده». وقد سئل ابن حجر[4] عن رجل اشتغل بعلم الحديث، وقرأ فيه على أهله من أصوله، وبحثَه، وفهمه فهماً ودراسة، ومارس أهله، وحضر مجالسهم، هل يقدم له ذلك مقام علوّ السند، ويبلغ بعلو درجته في الفن درجة المرتفعين بعلوّ السند وكثرة المسموعات والمقروءات، وأيهما أولى بأن يؤخذ عنه ويقرأ عليه؟» فأجاب: «لايكون محدثاً في الاصطلاح إلا من

(١) الذاريات، ٥٦.

(٢) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش، تابعي مشهور، أصله من بلاد الري، نشأ بالكوفة وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحواً من ١٣٠٠ حديث قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح. وقال السخاوي: لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقرمنهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. الأعلام ٣/ ١٣٥ نقلاً عن طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٩/ ٣ وغيرها.

(٣) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم المكي من الموالي ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز وكان أعور حج سبعين سنة. له كتاب في التفسير وكتاب الجامع في الحديث. سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤، الأعلام ٣/ ١٠٥ نقلاً عن تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢، الرسالة المستطرفة ٣١ صفة الصفوة ٢/ ١٣٠ ابن خلكان ١/ ٢١٠ ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠، تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤.

(٤) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

عرف الأمرين ومارس الفنّين. وأمّا من اقتصر على أحدهما كمن اقتصر على المرويّات ومارس القراءة والسّماع ورحل في ذلك للقاء الأشياخ، وحصّل من ذلك مايطلق عليه اسم الاستكثار عُرفاً، وأهمل مع ذلك معرفة الاصطلاح بحيث لايصلح أن يدرسه ويفيده، فهذا يقال له مسند وراو. وقد يطلق عليه اسم محدّث بالنسبة إلى من جمع الأمرين، إنما يقال له ذلك مجّازاً، وإن اقتصر على معرفة الاصطلاح المتعلق بالأنواع حتى فهمه وصلح أن يدرسه ويفيده فهذا يقال له عالم بعلوم الحديث، ولايسمى محدّثاً أصلاً، ولايترجح ماعنده من رواته على رواية الأول إذا كان أعلى سنداً، إلاّ إن حصلت السلامة منه غالباً من الخطأ في الإعراب».

وأما الخطأ في أسماء الرواة فلا يأمن منه غالباً إلا من أكثر القراءة والسماع، ومارس ذلك، وأكثر منه، وإلا فهو شيء لايدخله القياس، فيقابل خطأ هذا في الأسماء بخطأ هذا في الكلمات إن اتفق وقوع ذلك من كل منهما. وبقي للراوي علو الرواية، فيتقدم بها. وأما من جمع الأمرين فهو الكامل.

وأقل مايكفي من يريد قراءة الحديث أن يعرف من العربية ألا يلحن، ويمارس أسماء الرجال بحيث يأمن التصحيف فيها ويكون له مَلَكَةٌ في قراءة الخطوط ولو تنوعت. ومن قصّر في واحد من الثلاثة أثر فيه تأثيراً ظاهراً، ومن زاد بحيث كانت له معرفة بشيء من معاني الحديث كان أرفع درجة. انتهى.

والمنقول عن المتقدمين في سعة الحدّ فيمن يسمى محدثاً كقول أبي بكر بن أبي شيبة[1] الذي ساقه أبو سعد بن السمعاني[2] في (أدب الاملاء والاستملاء)

---

(١) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي مولاهم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث له فيه كتب منها المسند والمصنف في الأحاديث والآثار (٥ أجزاء) وغيرهما توفي سنة ٢٣٥هـ الأعلام ٤/ ١١٨ عن الرسالة المستطرفة ١٣ وتاريخ بغداد ١٠/ ٦٦ وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٨.

(٢) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث مولده بمرو ووفاته فيها سنة ٥٦٢هـ رحل إلى أقاصي البلاد ولقي العلماء والمحدثين وأخذ عنهم وأخذوا عنه نسبته إلى سمعان بطن من تميم ومن كتبه المشهورة الأنساب وتاريخ مرو (أكثر من ٢٠ جزءاً) وتذييل تاريخ بغداد للخطيب والتحبير في المعجم الكبير وفرط الغرام إلى ساكني الشام (٨ أجزاء) وغير ذلك الأعلام ٤/ ٥٥ وانظر طبقات السبكي ٤/ ٢٥٩ ومفتاح السعادة ١/ ٢١١ ووفيات الأعيان١/ ٣٠١ والنجوم الزاهرة ٥/ ٥٦٣ =

بإسناده إلى أبي زرعة الرازي[1]، قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة يقول: «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث»[2]. ونحوه ما في (الكامل) لابن عدي[3] من جهة النُّفَيْلي[4]، قال: سمعت هُشَيْماً[5] يقول: «من لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحاب الحديث، حتى يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجل مكاتب»[6]: هو كما قال الحافظ أبو الفتح بن سيّد الناس[7]: بحسب أزمنتهم. وأبلغ منه مايروى عن جماعة من السلف رحمة الله عليهم أنهم تحرَّوْا فلم يطلقوا اسم المحدّث إلا على من كان يستعمل الحديث.

= وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٠٧. وأما كتابه أدب الإملاء والاستملاء فهو من الكتب اللطيفة تحدث فيه عن تاريخ إملاء الحديث الشريف في زمنه ومجالسه وآداب الشيوخ وآداب الطلاب وأخبار المجالس الحديثية وآداب الكاتب وأدوات الكتابة، وقد طبع الكتاب سنة ١٩٥٢م في ليدن.

(١) أحمد بن الحسين بن علي الرازي الصغير الحافظ، إمام حافظ رحالة صدوق كان واسع الرحلة جيّد المعرفة وله تصانيف. رحل إلى بغداد وهو حدث سنة ٣٢٤ ومات بطريق مكة سنة ٣٧٥. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦ وانظر أيضاً تاريخ بغداد ٤/ ١٠٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩٩، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٧، طبقات الحفاظ ٣٩٦، شذرات الذهب ٣/ ٨٤.

(٢) أدب الإملاء والاستملاء ص ١١ ط ليدن ١٩٥٢م.

(٣) عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني أبو أحمد المعروف بين علماء الحديث بابن عدي علامة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ وكان يعرف في بلده بابن القطان، له كتب في الحديث، وكان ضعيفاً في العربية يلحن أحياناً وهو من الأئمة الثقات في الحديث توفي سنة ٣٦٥هـ الأعلام ٤/ ١٠٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٥٤. وأما كتابه المذكور فأورده، حاجي خليفة باسم: الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة قال إنه ٦٠ جزءاً. وقال عنه: وهو أكمل كتب الجرح والتعديل وعليه اعتماد الأئمة، قال السبكي: طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه بصحته حكم المحكمون وبما قال رضي المتقدمون والمتأخرون وقال حمزة السهمي سألت الدارقطني أن يصنف كتاباًفقال كتابي لايزيد عليه وقال الحافظ ابن عساكر: كتاب ابن عدي ثقة على لحن فيه. قال الذهبي: وأما في العلل والرجال فابن عدي حافظ لايجارى. كشف الظنون ٢/ ١٣٣. وطبع الكتاب في بيروت طبعتين كل منهما في ستة أجزاء سنة ١٤٠٤ وسنة ١٤٠٥ باسم الكامل في ضعفاء الرجال.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي بن نُفيل بن زراع النفيلي روى عن هشيم وغيره، حافظ ثقة توفي سنة ٢٣٤هـ. تهذيب التهذيب ٦/ ١٦.

(٥) هُشيم بن بشير السلمي أبو معاوية الواسطي، محدث ثقة. تاريخ بغداد ١٤/ ٨٥، الفهرست ٣٣٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٦.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ١٠٦ ط٢ بيروت ١٤٠٥.

(٧) مرت ترجمة ابن سيّد الناس في الصفحة ٨٦.

وممن نص على ذلك الإمام أحمد، فذكر ابن السمعاني في كتابه المذكور أنّ أبا القاسم البغوي[1] -وناهيك به، لكن كان ذلك في ابتداء أمره- قال: «سألت الإمام أبا عبد الله أحمد بن حنبل يكتب لي كتاباً إلى سويد بن سعيد الحَدَثاني[2]، فكتب: هذا رجل يكتب الحديث. فقلت: ياأبا عبد الله، لو قلت: من أهل الحديث! فقال: أهل الحديث عندنا من يستعمل الحديث»[3].

وذكر الخليلي[4] في (الإرشاد) بسنده إلى الدُّوري، قال: «كتب لي يحيى بن معين[5] وأحمد بن حنبل، إلى أبي داود الطيالسي[6] كتاباً، فقالا فيه: إنّ هذا مما يكتب الحديث. وماقالا: إنه من أهل الحديث».

وقال الإمام أبو يحيى زكريا الساجي في كتابه[7] (اختلاف الفقهاء): «حدثنا

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، أبو القاسم البغوي، حافظ، أصله من بغشور والنسبة إليها بغوي وتقع بين هراة ومرو الروذ ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٣١٧هـ كان محدّث العراق في عصره. وله كتاب معجم الصحابة وغير ذلك. الأعلام ٤/ ١١٩ وانظر معجم البلدان: بغشور، وميزان الاعتدال ٢/ ٧٢، ولسان الميزان ٣/ ٣٣٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ١١١، والرسالة المستطرفة ٥٨. وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٤٠.

(٢) سويد بن سعيد بن سهل الحَدَثاني أبو محمد الأنباري سكن الحديثة بلدة على الفرات تحت غابة وفوق الأنبار روى عن جماعة منهم مالك وحفص بن ميسرة ومسلم بن ميسرة وثقه جماعة وضعفه آخرون. قال البخاري مات سنة ٢٤٠. تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٩، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١٠.

(٣) أدب الإملاء والاستملاء ص ١١٠ ط ليدن ١٩٥٢.

(٤) خليل بن عبد الله بن أحمد أبو يعلى الخليلي، قاض حافظ سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٦٦، الرسالة المستطرفة ٩٧. وكتابه الإرشاد في علماء البلاد ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه.

(٥) يحيى بن معين بن عون المري بالولاء البغدادي، أبو زكريا ولد بقرية نقيا قرب الأنبار وكان أبوه على خراج الري، خلف له ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث. مؤرخ حافظ، سماه الذهبي سيّد الحفاظ وقال عنه العسقلاني إنه إمام الجرح والتعديل وقال الإمام أحمد بن حنبل: أعلمنا بالرجال. وكتب ألف ألف حديث، له معرفة الرجال والتاريخ والعلل في الرجال عاش ببغداد وتوفي بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣ سير أعلام النبلاء ١١/ ٧١ والأعلام ٨/ ١٧٢ نقلاً عن تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧، طبقات الحنابلة ٢٦٨ وفيات الأعيان ٢/ ٢١٤ وغيرها.

(٦) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش أبو داود الطيالسي من كبار حفاظ الحديث فارسي الأصل سكن البصرة وتوفي فيها سنة ٢٠٤هـ وكان يحدث من حفظه، سُمع يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وله المسند المعروف، جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين. الأعلام ٢/ ١٢٥ عن تاريخ بغداد، معجم المطبوعات ٣١٠، اللباب ٢/ ٩٦. وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٨.

(٧) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الضبي البصري الساجي، أبو يحيى، محدث البصرة في عصره، كان من الحفاظ الثقات، له كتاب علل الحديث، وكتاب اختلاف الفقهاء المذكور، توفي بالبصرة سنة ٣٠٧هـ. الأعلام ٣/ ٤٧ عن الرسالة المستطرفة ١١١ وغيرها. وانظرسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٩٧.

أحمد بن محمد[١]، سمعت يحيى بن مَعين يقول: يحتاج المحدث إلى أربع خلال: الشهرة بطلب العلم، والبراءة من البدع، ويكون صدوقاً، ولايعمل بشيء من الكبائر. فمن كانت هذه صفته فهو محدّث». إذا علم هذا فقد قال النووي -وناهيك به من إمام ديانةً وورعاً وعلماً- في (زوائد الروضة)[٢]، في باب الوقف «والمراد بأصحاب الحديث الفقهاء الشافعية، وبأصحاب الرأي الفقهاء الحنفية» انتهى.

إلاّ أن كثيراً من أصحابه يجهد نفسه في تهجّي الأسماء والمتون وكثرة السماع من غيرهم لما يقرأه، ولاتتعلق فكرته بأكثر من: إنّي حصّلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخاً، [و] جزء الأنصاري عن كذا كذا شيخاً، [و] وجزء البطاقة نسخة أبي مُسْهر[٣]، وأنحاء ذلك. وإنما كان السلف يسمعون فيعون فيقرؤون، ويحفظوَن فيعلمون.

وفي كلام الذهبي[٤] في وصيته لبعض المحدثين من هذه الطائفة: «ماخط واحد من هؤلاء إلا أن يسمع ليروي فقط. فليعاقبنَّ بنقيض قصده، وليشهرنه الله

---

(١) روى عن يحيى بن معين بهذا الاسم اثنان أحدهما؛ أحمد بن محمد بن عبيد الله التمّار، أبو الحسن المقرئ (انظر تاريخ ابن عساكر) والثاني أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز (تهذيب التهذيب).

(٢) مرت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤. وكتابه الروضة في فروع الفقه الشافعي اختصره من شرح الوجيز للرافعي. كشف الظنون ٢/ ٤١٣. ثم زاد فيها تصحيحات واختيارات في أربعة أجزاء. المنهل العذب الروي للسخاوي ط المدنية المنورة ص ٥٧.

(٣) الجزء عند المحدثين: تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم. ومن الأجزاء جزء ابن عرفه وهو أبو علي الحسن بن يزيد العبدي البغدادي المعمر المتوفى سنة ٢٥٧ وقد جاوز المائة وجزء الأنصاري وهو الأنصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي أبو عبد الله وهو شيخ البخاري وكان ثقة توفي سنة ٢١٥ وهو من الأجزاء العالية. وجزء البطاقة من إملاء أبي القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكتاني المصري الحافظ المتوفى سنة ٣٥٧ رواه عنه أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحراني المصري الصواف المتوفى سنة ٤٤١هـ الرسالة المستطرفة ٨٦ - ٩٠ ط٤ بيروت ١٤٠٦/ ١٩٨٦م وأبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، من حفاظ الحديث، كان شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين امتحنه الخليفة المأمون وهو في الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن فامتنع فوضعه في النطع فمد رأسه وجُرد السيف فأبى أن يجيب، وقيل أجاب فلم يرضَ المأمون إجابته، فحمل إلى السجن ببغداد، فمات سنة ٢١٨هـ بعد مائة يوم قضاها فيه. الأعلام ٣/ ٢٦٩، عن تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٦، تهذيب التهذيب ٦/ ٩٨، تاريخ بغداد ١١/ ٧٢.

(٤) سبقت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

بعد أن ستره مرات، وليَبقيَنَّ مُضغة في الألسن، وعبّرة بين المحدثين، ثم ليطبَعنّ الله على قلبه» ثم قال: «فهل يكون طالب من طلاب السُّنَّة يتهاون بالصلوات أو يتعانى تلك القاذورات. وأنحس منه محدّث يكذب في حديثه، ويختلق الفُشار[1]. فإن قويت همته وألقته إلى الكذب والتزوير في الطباق فقد استراح. وإن تعانى سرقة الأجزاء أو كشط الأوقاف فهذا لص بسمت محدّث، فإن كمّل نفسه بتلوّط أو قيادة فقد تمّت له الإفادة. وإن استعمل من المعلوم قسطاً فقد ازداد مهانة وحَبَطاً»[2]. إلى أن قال: فهل مثل هذا الضرب خيراً لا كثر الله منهم».

ولبعضهم:

إنّ الذي يروي ولكنّهُ ... يجهلُ مايَروي وما يكتبُ

كصخرة تنبُع أمواهُها ... تسقي الأراضي وهي لاتشربُ

وقال بعض الظرفاء في الواحد من هذه الطائفة: «إنه قليل المعرفة والمخبرة، يمشي ومعه أوراق ومحبرة، مع أجزاء يدور بها على شيخ عجوز، لايعرف مايجوز مما لايجوز» شعر:

ومحدّث قد صارَ غايةَ علمه ... أجزاءُ يرويها عن الدمياطي[3]

(١) قال الفيروزبادي: الفُشار: الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان، ليس من كلام العرب. القاموس المحيط: فشر.

(٢) حبطت الدابة حَبَطاً بالتحريك: إذا أصابت مرعى طيباً، فأفرطت في الأكل حتى تنتفع فتموت. ذكر ذلك في النهاية في غريب الحديث: حبط في معرض شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن مما ينبت الربيعُ مايقتل حبطاً» وقال ابن منظور: إنّ هذا الحديث مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع وذلك أنّ الربيع ينبت أحرار العشب التي تحلو لها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك، ذلك مثل الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها. لسان العرب: حبط.

(٣) هو عبد المؤمن بن خَلَف الدمياطي أبو محمد شرف الدين، حافظ، من أكابر الشافعية، ولد بدمياط، وتنقل في البلاد، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٥هـ. كان مليح الهيئة، حسن الخلق، بساماً، فصيحاً، لغوياً، مقرئاً، جيد العبارة، كبير النفس، مفيداً في الذاكرة. قال المزي: مارأيت أحفظ منه. له معجم لشيوخه وهم نحو ١٣٠٠ في ٤ مجلدات وله غير ذلك. الأعلام ٤/٣١٨، عن فوات الوفيات ٢/١٧، والرسالة المستطرفة ١٠٣، البداية والنهاية ١٤/٤٠، طبقات الشافعية ٤/١٠، شذرات الذهب ٦/١٢، الدرر الكامنة ٢/٤١٧، وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/٤٨٠.

وفـــلانةٌ تروي حـــديثـــاً عـــاليـــاً وفـــلانُ يروي ذاكَ عن أسْبـــاط[1]
والفــــرق بين عَزيـزهم وعُزيرهم وافـــصِحْ عن الخـــيّاط والحنّاط
وأبو فـلان مـــاسـمـــه؟ ومن الذي بـين الأنـــام مـلـقـــب بـسـنـــاط؟
وعلومُ دينِ الله نادتْ جـــهـــرةً هذا زمـــانٌ فـــيـــه طيٌّ بســـاطي

[٤٨] - منصب الحفّاظ

قد روينا عن الحافظ الثقة الحجة أبي بكر الخطيب البغدادي[2] مانصّه: «إنّ من صفات الذي يجوز إطلاق هذا اللفظ في تسميته أن يكون عارفاً بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بصيراً بطرقها، مميزاً لأسانيدها، يحفظ منها ماأجمع أهل المعرفة على صحته، ومااختلفوا فيه للاجتهاد في حال نقلته، يعرف فرق مابين قولهم: فلان حجة، فلان ثقة، ومقبول، ووسط، ولابأس به، وصدوق، وصالح، وشيخ، وليّن، وضعيف، ومتروك، وذاهبُ الحديث، وتمييز الروايات في تغاير العبارات نحو؛ فلان، وأنّ فلاناً، ويعرف اختلاف الحكم في ذلك، بين أن يكون المسمى صحابياً، أو تابعياً، والحكم في قول الراوي: قال فلان، وعن فلان، وأن ذلك غير مقبول من المدلّسين دون إثبات السّماع على اليقين، ويميز الألفاظ التي أدرجت في المتون، فصارت بعضها، لاتصالها بها، ويكون قد أمعن النظر في حال الرواة بمعاناة علم الحديث دون سواه؛ لأنه علم لا يعلق إلا لمن وقف نفسه عليه، ولم يضم غيره من العلوم إليه».

(١) اشتهر بهذا الاسم اثنان أحدهما أسباط بن نصر الهمداني الكوفي، أبو يوسف، مفسّر من رجال الحديث، خرّج له البخاري في تاريخه ومسلم والأربعة، وتوقف الإمام أحمد في الرواية عنه توفي سنة ١٧٠هـ. الأعلام ١/ ٢٨٢ عن تهذيب التهذيب ١/ ٢١١، شذرات الذهب ١/ ٢٧٩، الجمع بين رجال الصحيحين ٤٦، الكنى والأسماء ٢/ ١٦٠. وهناك أسباط بن محمد بن أبي نصر القرشي الكوفي، أبو محمد، إمام محدّث، وثّقه جماعة، وضعفه آخرون، له ٣ آلاف حديث. توفي سنة ٢٠٠هـ سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٥٥، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٣، شذرات الذهب ١/ ٣٥٨.

(٢) مرت ترجمة الخطيب في الصفحة ٨٦.

ثم ساق أن الشافعي مر بيوسف بن عمرو بن يزيد وهو يذكر شيئاً من الحديث، فقال: يايوسف، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه! هيهات.

قال السخاوي[1]: وأخبرني الشيخ أبو محمد اللخمي شفاهاً بمكة حرسها الله تعالى، عن أبيه، عن أبي الفتح بن سيّد الناس اليعمري[2] الحافظ، قال -وقد سأله الحافظ شهاب الدين أحمد بن أيبك[3] عن حدّ المحدّث والحافظ- مانصّه: المحدث في عصرنا، وساق ماأسلفته عنه. ثم قال: «فإن انبسط في ذلك، وعرف أحوال من تقدمه [من] شيوخه، وشيوخهم، وشيوخ شيوخهم، طبقة طبقة، بحيث تكون السلامة من الوهم في المشهورين غالبة عليه، ويكون مايعلمه من أحوال الرواة في كل طبقة أكثر مما يجهله، فهو حافظ».

وأنبأني الإمام أبو محمد النحوي، عن أبي حفص الدمشقي، أنّه سمع الحافظ أبا الحجاج المزّي[4] وقد سئل عن الحدّ الذي إذا انتهى إليه الرجال جاز أن يطلق عليه الحافظ؟ فأجاب: بأنه يرجع إلى أهل العُرف. فقيل له: وأين أهل العُرف؟ قال: هم قليل، لكن أقل شيء أن تكون الرجال الذين نعرفهم، ونعرف تراجمهم وأحوالهم وبلدانهم، أكثر من الذين لانعرفهم، ليكون الحكم للغالب. فقيل له: إنّ هذا عزيز في الزمان، فهل أدركت أحداً كذلك؟ فقال: مارأينا مثل الشيخ شرف الدين، يعني الدمياطي[5]. ثم قال: وابن دقيق العيد[6] كان له في هذا مشاركة جيدة، ولكن أين الثريا من الثرى! فقيل له: هل كان يصل إلى هذا الحدّ؟ فقال:

---

(١) مرت ترجمة السخاوي في الصفحة ٨٨ .

(٢) مرت ترجمة ابن سيد الناس في الصفحة ٨٦ .

(٣) أحمد بن إيبك بن عبد الله، أبو الحسين، شهاب الدين الحسامي الدمياطي، مؤرخ محدّث. سمع في القاهرة والاسكندرية ودمشق ومات بالطاعون بمصر سنة ٧٤٩هـ. الأعلام ١/ ١٠٢ وانظر الدرر الكامنة ١/ ١٠٨ .

(٤) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي محدث ولغوي، ولد بظاهر حلب ونشأ بالمزة - من ضواحي دمشق- وتوفي بدمشق ٧٤٢هـ، صنف كتباً منها تهذيب الكمال في أسماء الرجال، والمنتقى من الأحاديث. الأعلام ٩/ ٣١٣ عن فهرس الفهارس: ١:١٠٧، والقلائد الجوهرية ٣٢٩، والدرر الكامنة ٤: ٤٥٧ وغيرها.

(٥) مرت ترجمة شرف الدين الدمياطي في الصفحة ٩٨ .

(٦) مرت ترجمة ابن دقيق العيد في الصفحة ٤٨ .

ماهو إلاّ إذا كان يشارك مشاركة جيّدة في هذا، أعني الأسانيد. وكان في المتون أكثر لأجل الفقه والأصول.

وقرأت بخط ابن حجر [1] مانصه: «للأئمة شروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظاً، وهي: الشهرة بالطلب، والأخذ من أفواه الرجال، لا من الصحف، والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم، والمعرفة بالجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون مايستحضره من ذلك أكثر ممالا يستحضره، مع استحضار الكثير من المتون. فهذه الشروط إذا اجتمعت في الراوي سمّوه حافظاً».

ولشيخه حافظ الوقت[2] في ذلك كلام حسن؛ كتب به إليه، وقد سأله عن الحدّ الذي إذا بلغه الطالب في هذا الزمان الآخر استحق أن يسمّى حافظاً، وهل يُتسامح بنقص بعض الأوصاف التي ذكرها الحافظان أبو الحجاج[3] وأبو الفتح[4] في ذلك لنقص الزمان أم لا؟. فأجابه بما نصّه كما قرأته من خطّه: «الاجتهاد في ذلك مختلف باختلاف غلبة النظر، في وقت بلوغ بعضهم الحفظ، وغلبته في وقت آخر، وباختلاف من يكون كثير المخالطة، للذي نصفه لذلك أو قليل المخالطة. ومن ذلك اختلاف المتقدمين أيضاً في التوثيق والتجريح حتى يقع من الشخص الواحد اختلاف في توثيق واحد، أو جرحه، كالإمام أحمد، ويحيى بن معين[5]، وابن حبّان[6]. فذكر جماعة في الضعفاء وذكرهم في الثقات، وقد يتساهل

---

(١) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

(٢) هو الحافظ العراقي عبد الرحيم بن حسين المتوفى سنة ٨٠٦هـ وقد مرت ترجمته في الصفحة ٢٧ وقد سماه بحافظ الوقت الإمام الأسنوي، كما ذكر تلميذه ابن حجر في مرثيته له. إنباه الرواة ٢/ ٢٧٩.

(٣) مرت ترجمة أبي الحجاج المزي في الصفحة ٩٩.

(٤) مرت ترجمة أبي الفتح بن سيد الناس في الصفحة ٨٦.

(٥) مرت ترجمة يحيى بن معين في الصفحة ٩٥.

(٦) محمد بن حبّان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي ويقال له ابن حبان، مؤرخ جغرافي محدث قاض، ولد في بلدة بست من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة وتولى قضاء سمرقند مدة ثم رجع إلى نيسابور ومنها إلى بلده حيث توفي سنة ٣٥٤هـ كان أحد المكثرين في التصنيف وأخرج من علوم الحديث ماعجز عنه غيره وكانت الرحلة إلى خراسان لأجل مصنفاته. جمع مؤلفاته في دار خاصة بها في بست ووقفها على المطالعين وقرئ عليه أكثرها. سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢، الأعلام ٦/ ٧٨ نقلاً عن معجم البلدان ٢/ ١٧١ وشذرات الذهب ٣/ ١٦ وطبقات السبكي ٢/ ١٤١، لسان الميزان ٥/ ١١٢، مرآة الجنان ٢/ ٣٥٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٥.

بعضهم في التوثيق، كالحاكم[1]، وابن حبّان. وقد يشدّد إمّا باعتبار اشتراط أوصاف لم يشترطها بعضهم. وكلام الحافظ أبي الحجاج المزّي[2] في ذلك فيه ضيق؛ بحيث إنه لم يسم ممن رآه بهذا الوصف إلا الدمياطي[3]. وأما كلام أبي الفتح اليعمري[4] فهو أسهل بأن يتبسّط بعد معرفة شيوخه إلى شيوخ شيوخه وما فوق. ولاشكّ أن جماعة من الحفاظ المتقدمين كانوا شيوخهم التابعين أو أتباع التابعين، وشيوخ شيوخهم الصحابة أو التابعين، فكان الأمر في ذلك الزمان أسهل، باعتبار تأخر الزمان.

فإن اكتفي بكون الحافظ يعرف شيوخه وشيوخ شيوخه أو طبقة أخرى، فهو سهل لمن جعل فيه ذلك دون غيره من حفظ المتون والأسانيد، ومعرفة أنواع علوم الحديث كلها، ومعرفة الصحيح من السقيم، والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء، وانبساط الأحكام، فهو أمر ممكن، بخلاف ماذكر من جميع ماذكر، فإنه يحتاج إلى فراغ وطول عمر وانتفاء الموانع.

قلت ويقرب من كلام أبي الفتح بن سيّد الناس في تسهيل الأمر فيمن يطلق عليه الحافظ، قول الحافظ الزكي المنذري[5] قلت للحافظ أبي الحسن

---

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الشافعي النيسابوري الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيّع حافظ، قاض. ولد بنيسابور، وتوفي بها عام ٤٠٥هـ، رحل إلى العراق وخراسان وماراء النهر وأخذ عن نحو ألفي شيخ، وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩هـ ثم قضاء جرجان فامتنع، وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. له مؤلفات كثيرة. الأعلام ٦/ ٢٢٧ عن طبقات السبكي ٣/ ٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، تبيين كذب المفتري ٢٢٧، الرسالة المستطرفة ١٧، تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣ الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢٠.

(٢) مرت ترجمة الحافظ المزي في الصفحة ٩٩.

(٣) مرت ترجمة الدمياطي في الصفحة ٩٧.

(٤) مرت ترجمة أبي الفتح ابن سيد الناس في الصفحة ٨٦.

(٥) عبد العظيم بن عبد القوي، زكي الدين المنذري، ولد بمصر وتوفي بها سنة ٦٥٦، وهو أحد الحفاظ المؤرخين، عالم بالعربية تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة وانقطع بها نحو عشرين سنة عكف فيها على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث وله آثار كثيرة. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٩، الأعلام ٤/ ٣٠ نقلاً عن البداية والنهاية ١٣/ ٢١٢، فوات الوفيات ١/ ٢٩٦، طبقات الشافعية ٥/ ١٠٨.

المقدسي[1] -هو ابن المفضّل- : أقول : حدثنا القاسم بن علي الحافظ ، بالكسر نسبة إلى والده ، فقال : بالضم . فإني اجتمعت به بالمدينة ، فأملى عليّ أحاديث من حفظه ، ثم سير إلى الأصول ، فقابلتها كما أملاها .

وفي بعض هذا يطلق عليه الحفظ ، لكن قال الحافظ الذهبي[2] عقب حكايته : «وليس هذا هو الحفظ العرفي» . ثم قال العراقي[3] : «وقد وقفت في كلام الزهري [على ما] يدل على قلة من يوصف بالحفظ . ذكره ابن أبي حاتم[4] في الجرح والتعديل ، في ترجمة الوليد بن عبد الله فقال : «روى عن الزهري[5] أنه قال : لايولد الحافظ إلا في كل أربعين سنة . روى عمار بن رجاء عن محمد بن بشيربن عطاء بن مروان الكندي عنه[6]» هكذا في نسختي من الجرح والتعديل ، ولعله عن محمد بن بشيربن مروان الكندي ، هكذا ذكره ابن الجوزي[7] في [كتاب] الضعفاء

---

(1) علي بن المفضل بن علي ، أبو الحسن المقدسي ، ثم الاسكندراني ، المالكي ، الإمام المفتي ، الحافظ ، المتقن ، برع في الفقه وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي ولزمه سنوات وأكثر عنه وأخذ عن غيره . جمع وصنف وتصدر للاشتغال وناب في الحكم بالاسكندرية مدة ثم درّس بمدرسته التي هناك ثم تحول إلى القاهرة فدرس بها إلى أن مات سنة ٦١١ له تصانيف كثيرة وكان ذا ورع ودين وعدالة وأخلاق رضية وأخذ عنه الحافظ المنذري وحدث عنه هو والأرموي والبرزالي وغيرهم كثير . سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦ وانظر شذرات الذهب ٥/ ٤٧ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٠ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٢ .

(2) سبقت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧ .

(3) تقدمت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧ .

(4) ابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي ، أبو محمد ، حافظ للحديث من كبارهم ، كان منزله بدرب حنظله بالري وإليهما نسب ، له تصانيف ، من أشهرها الجرح والتعديل ٨ مجلدات ، وله في التفسير والفرق والتاريخ . الأعلام ٣/ ٣٢٤ ، عن تذكرة الحفاظ ٣/ ٤٦ ، فوات الوفيات ١/ ٢٦٠ ، طبقات الحنابلة ٢/ ٥٥ وغيرها .

(5) محمد بن مسلم بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، نسبة لبني زهرة بن كلاب من قريش ، أول من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعي من أهل المدينة كان يحفظ ٢٢٠٠ حديث نصفها مسند . وكان يكتب كل مايسمع . نزل الشام واستقر بها ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله عليكم بابن شهاب فإنكم لاتجدون أحداً أعلم بالسنة منه . مات بشغب على حدود الحجاز مع فلسطين سنة ١٢٤هـ . الأعلام ٧/ ٩٧ عن تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٢ ، وفيات الأعيان ١/ ٤٥١ ، تهذيب التهذيب ٥/ ٤٤٥ ، حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠ ، تاريخ الذهبي ٥/ ١٣٦ ، صفة الصفوة ٢/ ٧٧ . وانظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦ .

(6) انظر الجرح والتعديل مج ٤/ ٢ ص٩ . ترجمة الوليد بن عبد الله .

(7) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي ، أبو الفرج ، علامة عصره في التاريخ والحديث ، ولد ببغداد وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالّها ، له نحو ٣٠٠ مصنف ، الأعلام عن وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩ ، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨ ، مفتاح السعادة ١/ ٢٠٧ ، ذيل الروضتين ٢١ ، مرآة الزمان ٨/ ٤٨١ .

[والمتروكين]، والذهبي في الميزان[1]: «قال فيه يحيى: ليس بثقة. وقال الدارقطني: ليس بالقوي في حديثه»[2] فعلى هذا لم يصح هذا الكلام عنه، وعلى تقدير صحته فيكون المراد رتبة الكمال في الحفظ والإتقان، وإن وجد في زمانه من يوصف بالحفظ، فكم من حافظ وغيره أحفظ منه! انتهى.

وقد ظفرت بما يستأنس به، لما روي عن الزُّهري[3]، من حديث الزهري نفسه، فذكر المرزباني[4]، عن أحمد بن محمد العروضي[5]، أنّ أبا محكم كان يقول: لزمت ابن عيينة، فلم أفارق مجلسه، فقال لي: أراك حسن الملازمة، ولاأراك تخطئ بشيء، لأنك لاتكتب. فقلت: أنا أحفظ. قال: فكل ماحدثتُ به حفظتَه؟ قلت: نعم. فأخذ دفتر إنسان فقال لي: أعد عليّ ماحدثتُ به اليوم، فما خرمت منه حرفاً. فأخذ مجلساً من الماضي، فأمررته عليه. فقال: حدثنا الزهري، عن عكرمة[6]، قال ابن عباس: يقال: إنّه يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء.

قال ابن عيينة[7]: إدراك صاحب السبعين ونحوه قول الخطيب[8]. ولقلّة من يوجد من أهل الحفظ والإتقان قيل: إن أحدهم يولد بعد برهة من الزمان. ثم أسند

---

(١) مرت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

(٢) الضعفاء والمتروكين ٢/ ٤٤، ط بيروت ١٤٠٦/ ١٩٨٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٢ ط القاهرة ١٣٨٢.

(٣) مرت ترجمة الزهري في الصفحة ١٠٢.

(٤) محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني، راوية إخباري كاتب، كان صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات كثير السماع روى عن البغوي وطبقته، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة. قال عن نفسه: كان في داري خمسون مابين لحاف ودواج [نوع من اللحف]معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي، وله كتب كثيرة في الأدب من أشهرها الموشح. توفي سنة ٣٧٨ أو ٣٨٤. ارشاد الأريب ١٨/ ٢٦٨.

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد العروضي، عالم بالعروض علم أولاد الخليفة الراضي بالله وله كتاب في العروض توفي بعد سنة ٣٣٦. إرشاد الأريب ٤/ ٢٣٣، معجم المؤلفين ٢/ ٧٣.

(٦) عكرمة البربري، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس وأصله من البربر، روى عن مولاه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروى عنه إبراهيم النخعي ومات قبله وهو ثقة لملازمته ابن عباس وأجمع عامة أهل الحديث على الاحتجاج بحديثه. تهذيب التهذيب ٧/ ٢٣٤.

(٧) سبقت ترجمة ابن عيينة في الصفحة ٩٢.

(٨) تقدمت ترجمة الخطيب البغدادي في الصفحة ٨٦.

من طريق موسى بن داود[1]، عن أبي معشر، قال: الحافظ يولد في الزمان. وعن هشيم، قال: من يحفظ الحديث قليل. ثم قال: هم أقل من ذلك. انتهى.

ولهذا قال أبو محمد السمرقندي: سمعت أبا بكر الخطيب يقول: لم أر أحداً أُطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين؛ أبو نعيم الأصبهاني[2]، وأبو حازم العبدوي.

ثم إن الوصف بالحافظ - كما قاله الحافظ الخطيب - عند الإطلاق ينصرف إلى أهل الحديث خاصة، وهو سمة لهم، لايتعداهم، ولايوصف بها أحد سواهم؛ لأنّ الراوي يقول: حدثنا فلان الحافظ، فيحسن منه إطلاق ذلك إذ كان مستعملاً عندهم، يوصف به علماء أهل النقل ونُقّادهم. ولايقول القارئ: لقيني فلان الحافظ، ولا النحوي: علمني فلان الحافظ. فهي أعلى صفات المحدثين، وأسمى درجات الناقلين، من وُجدتْ فيه قُبلتْ أقاويله، وسُلّم له تصحيح الحديث وتعليله. غير أنّ المستحقين لها يقلُّ معدودهم، ويعزّ، بل يتعذّر وجودهم، فهم في قلتهم بين المنتسبين إلى مقالتهم، أو من مذهب السنّة بين سائر الآراء والنحل، وأقل من عدد المسلمين في مقابلة جميع الملل. وكذا قال الحافظ أبو سعد بن السمعاني[3]، أنّه لقبٌ لجماعة من أئمة الحديث لحفظهم له ومعرفتهم إياه. ونحوه قول ابن حجر[4]: هو لقب منْ مهر في علم الحديث.

---

(١) موسى بن داود أبو عبد الله الضبي الطرسوسي الكوفي، نزيل بغداد، تولى قضاء طرسوس والثغور، وكان صاحب حديث مأموناً وأكثر من التصنيف وثقه غير واحد واحتج به مسلم سمع شعبة وسفيان وحماد بن سلمة وغيرهم وحدث عنه أحمد بن حنبل، كان زاهداً ثقة. وهو عالم طرسوس مات بها سنة ٢١٧. سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٣٦، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، إمام حافظ ثقة، شيخ الإسلام، كان عالي الإسناد، تفرد في الدنيا بشيء كثير من العوالي، وهاجر إليه الحفاظ. ولما صنف كتابه حلية الأولياء حُمل إلى نيسابور حال حياته فاشتري هناك بأربعمئة دينار. وقيل إنه بقي أربعة عشر عاماً بلا نظير. توفي سنة ٤٣٠هـ في أصبهان. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣، الأعلام ١/ ١٥٧.

(٣) مرت ترجمة السمعاني في الصفحة ٩٣.

(٤) سبقت ترجمة الحافظ ابن حجر في الصفحة ٤٨.

وحكى ابن السمعاني عن شيخه أبي القاسم التيمي[1] صاحب (الترغيب) مامعناه أنه كتبها لأبي زكريا يحيى بن منده[2] فرآه أبو عبد الله الدقاق[3]، فقال: ياأبا الدقاق، فقال: ياأبا القاسم، أما تستحيي! وكيف تستجيز وصف يحيى بذلك! وإيش يحفظ هو في الحديث! فقلت له: إن ظننت ياشيخ أن الحافظ لايكتب إلا لمن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ألا يُكتبَ هذا لأحد، وإن كانَتْ تُكْتَبُ لمن يحفظ البعض دون البعض، فأنا ويحيى وأنت والكل فيه سواء، فسكت ولم يقل شيئاً.

ثم قال ابن السمعاني: وقد لقب بها جماعة من أهل بغداد ممن لايعرف من الحديث شيئاً، لكن لحفظهم الثياب في الحمامات، لقبوا بذلك، إذ عندهم من يحفظ الثياب، يقال له الحافظ.

قلت: وقد أُفرد الحفاظ بالتأليف، وأجمع كتاب وقفت عليه في ذلك مع إعواز كثير، كتاب الحافظ أبي عبد الله الذهبي[4]، رتبه على الطباق، وأفرد

---

(١) أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنّة، سمع بمكة وجاور بها سنة وأملى، وصنف. والدته من ذرية طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة، قال المديني: إمام الأئمة في وقته، حافظ، أستاذ علماء عصره. كان نزه النفس عن المطامع، لايدخل على السلاطين، ولا على من اتصل بهم. أخلى داراً من ملكه لأهل العلم مع قلة ذات يده، أملى ٣٥٠٠ مجلس، وكان يملي على البديهة. قليل الكلام، ليس في وقته مثله. توفي سنة ٥٣٥هـ، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠ . وكتابه الترغيب والترهيب، استوعب زكي الدين المنذري غالب مافيه في كتابه المسمى باسمه. كشف الظنون ١/ ٢١٦ .

(٢) يحيى بن أبي عمرو بن عبد الوهاب بن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن إسحاق، ابن الحافظ محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، أبو زكريا. بكّر به والده فسمّعه الكثير. قال السمعاني: شيخ جليل القدر، وافر الفضل، واسع الرواية، ثقة حافظ، مكثر، صدوق، كثير التصانيف، حسن السيرة، بعيد عن التكلف، أوحد بيته في عصره. توفي سنة ٥١١هـ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٩٥.

(٣) محمد بن عبد الواحد، أبو عبد الله الدقاق الأصبهاني، وقد عرف بين الطلبة بالدقاق نسبة لصديقه أبي علي الدقاق، ولد بمحلة جرواءان بأصبهان، فسمع من أبي القاسم بن منده وغيره، ورحل إلى نيسابور وطوس وسرخس ومرو وهراة وبلخ وجرجان وبخارى وسمرقند وكرمان ولكنه لم يصل إلى العراق. كان مكثراً محدثاً حافظاً أثرياً متبعاً فقيراً متعففاً، حدث عنه السلفي والمديني وغيرهما. توفي سنة ٥١٦هـ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٧٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٥، عيون التواريخ ١٣/ ٤١٥، شذرات الذهب ٤/ ٥٦، طبقات الحفاظ ٤٥٦.

(٤) مرت ترجمته في الصفحة ٤٧. وكتابه تذكرة الحفاظ في أربعة أجزاء وعليه ذيل تذكرة الحفاظ لتلميذ الذهبي وهو أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن المتوفى بدمشق سنة ٧٦٥هـ. وصنع عليه ذيلاً الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي المتوفى بمكة المكرمة سنة ٨٧١ وللسيوطي ذيل ثالث عليه (ت ٩١١). انظر مقدمة ذيل تذكرة الحفاظ.

ابن حجر[1] منه من ليس في تهذيب الكمال في مجلد رأيته، واستدرك بعضاً مما فاته، بل قرأت بخطه أنه رتب الكتاب على حروف المعجم، بيّض منه نصفه الأول، وذيّل عليه غيرُ واحد، واختصره آخرون نظماً ونثراً.

قلت: وأحسن من هذا الكتاب طبقاتهم للحافظ أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي[2]، وهي نظم سمّاها (بديعة البيان عن موت الأعيان) ثم شرحُها، وسمّاه (البيان). ورأيت جزءاً مختصراً جداً في ذلك للحافظ أبي الفرج بن الجوزي[3]، رتبه على الحروف، وافتتحه على الأبواب. أولها: في الحث على حفظ العلم. وثانيها: في صفة من هو أهل للحفظ من حيث الصورة والخلقة. وثالثها: في الأدوية المعينة عليها. ورابعها: في أحكام المحفوظ وثبوته. وخامسها: في ذكر الأوقات التي يكرر فيها محفوظه. وسادسها: فيما ينبغي تقديمه من المحفوظات.

وكذا جمع أبو الوليد الدّباغ[4] الحافظ كتاباً في الحفاظ، بدأ فيه بالزهري[5]، وختم بأبي طاهر السلفي[6]، لكن لم أقف عليه.

واعلم أنه ينبغي ألا يقبل الوصف بذلك إلاّ من موصوف به؛ فربّ من يسند ويسرد كثيراً من الأنساب والمتون ممن هو قاصر في تخريج الحديث، وتمييز صحيحه من سقيمه، ومعرفة علله، وقصور عباراته، وجمود فهمه عند من لا تمييز له، فيصفه بذلك ظناً منه أن ذلك بمجرده كاف، وهذه غفلةٌ. إنما الحفظ المعرفة.

---

(١) سبقت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨ .

(٢) سبقت ترجمة ابن ناصر في الصفحة ٧٢.

(٣) سبقت ترجمة ابن الجوزي في الصفحة ١٠٢ .

(٤) يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي، أبو الوليد بن الدباغ مؤرخ، كان محدث الأندلس في عصره توفي بدانية سنة ٥٤٦هـ ودفن في مرسيه وهو من أهل أنده من قرى بلنسية. الأعلام ٨/ ٢٣٨، عن الصلة لابن بشكوال ٦٢١، وفهرس الفهارس ١/ ٣٠٨. قال الذهبي: في ترجمته نقلاً عن ابن الزبير أنه أحد الأئمة المتقنين وجهابذة النقاد كان سمحاً يؤثر على نفسه مع قلة ذات يده وأنه ولي قضاء دانية. وعن ابن بشكوال أنه كان من أنبل أصحاب الحديث في زمنه وأعرفهم بالحديث وأسماء الرجال وأحوالهم. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٢٠ وقال عنه الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ: له جزء لطيف في أسماء الحفاظ. التذكرة ٤/ ١٣١٠.

(٥) مرت ترجمة الزهري في الصفحة ١٠٢

(٦) مرت ترجمة أبي طاهر السلفي في الصفحة ٥١ .

هذا إن حصل الوثوق به فيما يسرده مما لايعلمه إلاّ النقاد. فأما إذ لم يكن كذلك فتلك الطامّة، قال السخاوي[١]: وقد كان في شيوخ شيوخنا العلاّمة تقي الدين الدجوي، مالقيت أحداً ممن أخذ عنه إلا وذكر عنه أمراً عجباً في الحفظ، ومع ذلك فقد قال فيه ابن حجر[٢] مانصه: كان يستحضر الكثير من هذا الفنّ. إلا أنه ليس له فيه عمل القوم، ولا كانت له عناية بالتخريج، ولا معرفة العالي والنازل من الأسانيد، وقدم الحافظ جمال الدين الشرايحي عليه لتحققه بذلك، وكذا قال شيخي، حيث ذكر في ترجمة العراقي[٣] شيخه أنّ من أخص جماعته به صهره الهيثمي[٤]، «وهو الذي دربّه، وعلمه كيفية التخريج والتصنيف، وهو الذي يعمل له خطب كتبه، ويسميها له، وصار الهيثمي لشدة ممارسته أكثر استحضاراً للمتون من شيخه، حتى يظنّ من لاخبرة له أنه أحفظ منه، وليس كذلك؛ لأنّ الحفظ المعرفة»[٥]. انتهى.

ونحوه صنع السبكي الكبير[٦] في تقديم ابن رافع[٧] على ابن كثير[٨]، وتبعه

---

(١) سبقت ترجمة السخاوي في الصفحة ٨٨.

(٢) مرت ترجمة ابن حجر في الصفحة ٤٨.

(٣) انظر ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧.

(٤) علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين، أبو الحسن الهيثمي، صحب الشيخ زين الدين العراقي وهو صغير، فسمع معه من ابتداء طلبه بنفسه على عدد من شيوخ مصر والشام ورحل معه في جميع رحلاته وحج معه جميع حجاته ولم يكن يفارقه حضراً ولا سفراً. وتزوج ابنته وتخرج به في الحديث وقرأ عليه أكثر تصانيفه وكتب عنه جميع مجالس إملائه وخرّج زوائد الكتب الستة ورتب الحلية على الأبواب وصار كثير الاستحضار للمتون لكثرة الممارسة كان هيناً ليناً ديّناً خيراً لايسأم من خدمة شيخه وكتابة الحديث، وكان سليم الفطرة محتملاً للأذى خصوصاً من جماعة الشيخ. توفي سنة ٨٠١ هـ. انباه الرواة ٢/ ٧٧، ٣٠٩

(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر ٥/ ١٧٢.

(٦) انظر ترجمته في المقدمة.

(٧) محمد بن رافع بن هجرس، أبو المعالي، تقي الدين، مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث حوراني الأصل ولد في مصر وانتقل به أبوه إلى دمشق وأخذ يتردد بين مصر والشام ثم استقر بدمشق فتوفي بها سنة ٧٧٤هـ، وله معجم خرجه لنفسه في ٤ مجلدات يشتمل على أكثر من ألف شيخ وذيل على تاريخ بغداد لابن النجار ٤ أجزاء وغير ذلك الأعلام ٦/ ١٢٤ وانظر شذرات الذهب ٦/ ٢٣٤ وإنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٤٧ والدرر الكامنة ٣/ ٤٣٩.

(٨) إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه ولد في بصرى الشام وانتقل مع أخيه إلى دمشق ورحل في طلب العلم وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ من كتبه البداية والنهاية في التاريخ ١٤ مجلد وتفسير القرآن الكريم وجامع المسانيد والفصول في اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأعلام ١/ ٣٢٠ وانظر الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، وإنباء الغمر بأبناء العمر ١/ ٣٩.

ابن حجر[١]، حيث قال إنّ: «الإنصاف أنّ ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير، لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات دون ابن كثير، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء، لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية، دون ابن رافع، فيجمع منهما حافظ كامل»[٢]. قال: «وقلّ من جمعهما بعد أهل العصر الأول، كابن خزيمة[٣]، والطحاوي[٤]، وابن حبّان[٥]، والبيهقي، وفي المتأخرين بشيخنا العراقي»[٦].

قلت: وشيخنا القائل ملحق الأواخر بالأوائل. ولقد رأى رحمه الله بخطي طبقة وصفت فيها بعض السامعين أو القارئ بذلك، فعمل بخطه الحاءَ فاءً، والفاءَ ضاداً وحوّل الظاء لاماً، تنبيهاً للسالك. هذا، وقد وصف بخطه ذي الجودة والبهاء جماعة من الآخذين عنه بها جرياً على سنن الشيوخ في تنشيط طلبتهم، ونظراً إلى أنهم أبرع بالنسبة لمن في طبقتهم. على أني لست أحب بثّ ماعندي هنا في هذا أجمع، وإن كان حيث وجد الإخلاص يوم القصاص القول أنفع، لكن في التلويح مايغني عن التصريح. ولم يكن ابن حجر بالمتساهل في الوصف بهذه اللفظة، غير أنّ العذر عنه ماقدمته، مع ماكان هو يحكيه لخواصّه في تأويل ذلك، وللناس أعذار لايُطلع عليها.

وإذا تأملتَ قوله في ترجمة الحافظ ناصر الدين بن عبد الرحمن بن زريق الدمشقي[٧] من معجمه مانصّه: « ولم أر في دمشق من يستحق اسم الحافظ

---

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة ٤٨.

(٢) انظر النص في إنباء الغمر بأنباء العمر ١/ ٤٩، ط القاهرة ١٣٨٩/ ١٩٦٩م.

(٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي، إمام نيسابور في عصره فقيه مجتهد، عالم بالحديث. ولد بنيسابور وبها توفي سنة ٣١١هـ، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر ولقبه السبكي بإمام الأئمة. تزيد مصنفاته عن ١٤٠ مؤلفاً منها صحيح ابن خزيمة، ٣ مجلدات، الأعلام ٦/ ٢٩، عن طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٣٠، وطبقات الحفاظ للسيوطي.

(٤) مرت ترجمة الطحاوي في الصفحة ٣٠.

(٥) مرت ترجمة ابن حبّان في الصفحة ١٠٠.

(٦) مرت ترجمة العراقي في الصفحة ٢٧.

(٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد الدمشقي الصالحي الحنبلي المعروف كسلفه بابن زريق ناصر الدين العمري الخطابي القرشي المقدسي. حافظ فقيه، رتب المعجم الأوسط للطبراني على الأبواب وكذا صحيح ابن حبان، =

غيره»[1] مع أنّه كان بها ابن الشرايحي الماضي، والشهاب الحسباني[2] الذي شهد فيه البلقيني أنه أحفظ أهل دمشق، والشهاب بن حجي[3]، وغيرهم، علمتَ أنّه لايثبتها لإبراهيم العجلوني[4] ونحوه، ويترك هؤلاء الفحول، فرجع الأمر إلى باب التأويل، والله الموفق. انتهى كلام السخاوي.

قلت: وكان فيها حينئذ من هو أعظم من هؤلاء، وهو الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين[5]، ولم يثبت له اسم الحفظ، لما في نفس الأقران من احتقار بعضهم بعضاً. وقد كتبه الحافظ شمس الدين المذكور، وهو القطب الخيضري[6]. وقد كان شيخنا المحدّث ناصر الدين بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زريق الصالحي[7]، ابن أخي الحافظ ناصر الدين المتقدم ذكره ينكر على من يكتب اسم الحافظ للبرهان البقاعي[8]، والبرهان الناجي[9]. والذي يظهر أن الأمر فيهما وهو الإنصاف،

= الأعلام ٦/ ١٩٣. كان يقظاً عارفاً بفنون الحديث، ذاكراً للأسماء والعلل، وعرف بالديانة والخير والصيانة مات بدمشق سنة ٨٠٣ هـ أسفاً على ولده أحمد. الضوء اللامع ٧/ ٣٠٠.

(١) الضوء اللامع ٧/ ٣٠١.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن خليفة النابلسي، شهاب الدين الحسباني الدمشقي الشافعي، أبو العباس، عالم مشارك في العلوم، ولي قضاء دمشق، وتوفي بها سنة ٨١٥هـ وله تآليف في التفسير والنحو والحديث والفروع. الضوء اللامع ١/ ٢٣٧. شذرات الذهب ٧/ ١٠٨، معجم المؤلفين ١/ ١٦٤.

(٣) أحمد بن حجي بن موسى السعدي الحسباني، شهاب الدين، ويعرف بابن حجي أبو العباس، مؤرخ فقيه، ولد بظاهر دمشق، درّس وأفتى وناب في الحكم. توفي سنة ٨١٦ وله مؤلفات. الضوء اللامع ١/ ٢٦٩، شذرات الذهب ٧/ ١١٦، القلائد الجوهرية ١١٢. معجم المؤلفين ١/ ١٨٨.

(٤) إبراهيم بن محمد بن عيسى الدمشقي الشافعي، برهان الدين، أبو إسحاق، فقيه، ولد بعجلون وتوفي بدمشق سنة ٨٢٥هـ وله مؤلفات. الضوء اللامع ١/ ١٥٦، معجم المؤلفين ١/ ١٠٣.

(٥) سبقت ترجمة ابن ناصر في الصفحة ٧٢.

(٦) محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر، قطب الدين، أبو الخير بن الخيضري الزبيدي الدمشقي الشافعي قاض من العلماء بالتراجم والأنساب والحديث أصله من عرب البلقاء ولد بي بيت لهيا من قرى دمشق وقرأ بدمشق وبعلبك والقدس ومصر ومكة المكرمة وولي قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق توفي بالقاهرة سنة ٨٩٤هـ وله كتب الأعلام ٧/ ٥١ عن الدارس ١/ ٧، والرسالة المستطرفة ٩٤ ونظم العقيان ١٦٢ والبدر الطالع ٢/ ٢٤٥، الضوء اللامع ٩/ ١١٧.

(٧) مرت ترجمة ابن زريق الصالحي في الصفحة ١٠٨.

(٨) إبراهيم بن عمر بن حسن، أبو الحسن، برهان الدين البقاعي نسبة لأن أصله من البقاع في سورية مؤرخ أديب، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ وله عدد من المؤلفات من أهمها عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ٤ مجلدات وأسواق الأشواق اختصار مصارع العشاق. الأعلام ١/ ٥٦ عن الضوء اللامع ١/ ١٠١، شذرات الذهب ٧/ ٣٣٩ البدر الطالع ١/ ١٩.

(٩) برهان الدين المعروف بالناجي هو إبراهيم بن محمد بن محمود الدمشقي القبيباتي [نسبة إلى محلة القبيبات بالميدان] الشافعي، أبو إسحاق، من محدثي دمشق، مات سنة ٩٠٠هـ، وله مؤلفات منها رسالة في الشفاعة =

كالأمر في ابن رافع وابن كثير ؛ يجتمع فيهما حافظ كامل ، فإن البقاعي أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من الناجي ، لعنايته بالوفيات والتخريج . والناجي أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بمتون الأحاديث وتحريرها ، وتفسيرها .

وقد رأيت جماعة من الأروام[1] قصاراها النظر في (مشارق الأنوار) للصّاغاني[2] ، فإن ترفعت ارتفعت إلى (مصابيح البغوي)[3] . ظنّ بعضهم أنّه وصل بهذا القدر إلى درجة المحدثين ، والبعض الآخر إلى درجة الحفّاظ ؛ وماذاك إلا لجهلها بالحديث ، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب ، وضمّ إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثاً ، فضلاً عن حافظ ، ولا يصير بذلك مُحدّثاً حتى يلج الجمل في سمّ الخِياط[4] . فإن رامت بلوغ الغاية في الحديث على زعمها

= ورسالة تحذير الإخوان فيما يورث الفقر والنسيان وغير ذلك . معجم المؤلفين ١/ ١٠٦ .

(١) انظر التعليقة (١) في الصفحة ٧٧ .

(٢) مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للصاغاني ، جمع فيه من الأحاديث الصحاح عدداً على تعداد الشارح الكازروني وهو ٢٢٤٦ حديثاً وبيّن في أول كل باب أو نوع عدد أحاديثه . وقال : هذا كتاب ارتضيه واستضيء لضيائه والعمل بمقتضاه ألفته لخزانة المستنصر بن الظاهر بن الناصر به المستضيء العباسي . وجعله اثني عشرة باباً . وللكتاب شروح كثيرة . كشف الظنون ٢/ ٢٦٨ . والصاغاني هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي ، رضي الدين أعلم أهل عصره في اللغة وكان فقيهاً محدثاً ولد في لاهور من مقاطعة البنجاب بباكستان ونشأ بغزنة من بلاد السند ودخل بغداد ورحل إلى اليمن وتوفي ببغداد سنة ٦٥٠ ودفن بهاوكان أوصى أن يدفن بمكة فنقل إليها ودفن بها له تصانيف كثيرة من أشهرها العباب معجم في اللغة ألفه لابن العلقمي وزير المستعصم والتكملة في ٦ مجلدات كمل به صحاح الجوهري وشرح صحيح البخاري وغير ذلك الأعلام ٢/ ٢١٤ عن النجوم الزاهرة ٧/ ٢٦ وأبجد العلوم ٨٩٠ والجواهر المضية ١/ ٢٠١ وغيرها .

(٣) مصابيح السنّة للبغوي قال جلبي زاده : قيل عدد أحاديثه ٤٧١٩ حديثاً ، منها المختص بالبخاري ٣٢٥ حديثاً وبمسلم ٨٧٥ والمتفق عليه ١٠٥١ حديثاً والباقي من كتب أخرى . ولم يسم المؤلف كتابه هذا بالمصابيح نصاً منه وإنما صار علماً له بالغلبة لقوله في المقدمة : هذا كتاب مصابيح . . . الخ . وترك ذكر الأسانيد اعتماداً على نقل الأئمة وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان وعنى بالصحاح ماأخرجه الشيخان وبالحسان ماأورده أبو داود والترمذي وغيرهما وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه وأعرض عن ذكر ماكان منكراً أو موضوعاً ، واعتنى العلماء كثيراً بهذا الكتاب . كشف الظنون ٢/ ٢٧٢ . وصاحب الكتاب هو الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء أو ابن الفراء ، أبو محمد ويلقب بمحيي السنة البغوي ، فقيه ، محدث ، مفسر نسبته إلى بغا من قرى خراسان ، بين هراة ومرو ومن كتبه الجمع بين الصحيحين . الأعلام ٢/ ٢٥٩ عن وفيات الأعيان ١/ ١٤٥ وغيره .

(٤) يشير بذلك إلى الآية الكريمة : ﴿إنّ الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لاتفتّح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين﴾ الأعراف ، الآية ٤٠ .

اشتغلت بـ (جامع الأصول) لابن الأثير[1]، وإن ضمّت إليه كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح[2]، أو مختصره المسمّى بـ (التقريب والتيسير) للنووي[3]، ونحو ذلك، وحينئذ يُنادَى من انتهى إلى هذا المقام بمحدث المحدّثين، وبخاري العصر، ومايناسب هذه الألفاظ الكاذبة. والله أعلم.

(١) جامع الأصول لأحاديث الرسول ذكر منه ابن الأثير أنّه مبني على ثلاثة أركان الأول في المبادي والثاني في المقاصد والثالث في الخواتيم وأورد في الأول مقدمة وأربعة فصول وذكر في المقدمة أن علوم الشريعة تنقسم إلى فرض ونفل والفرض إلى فرض عين وفرض كفاية وأن من أصول فروض الكفايات علم أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وآثار الصحابة التي هي ثاني أدلة الأحكام وله أصول وأحكام وقواعد واصطلاحات ذكرها العلماء يحتاج طالبها إلى معرفتها وذكر في الفصل الأول انتشار علم الحديث ومبدأ جمعه وتأليفه وفي الفصل الثاني اختلاف أغراض الناس ومقاصدهم في تصنيف الحديث، وفي الفصل الثالث اقتداء المتأخرين بالسالفين وسبب اختصار كتبهم وتأليفها وفي الفصل الرابع خلاصة الغرض من جمع الكتاب. وقد ضم الكتاب كتب الأحاديث الستة بدون أسانيد الأحاديث ولم يثبت إلا اسم الصحابي راوي الحديث كشف الظنون ١/ ٢٧٥ وابن الأثير هو المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات، مجد الدين محدث لغوي أصولي ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وانتقل إلى الموصل فاتصل بصاحبها فكان من أخصائه وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه ولازمه مرضه حتى توفي في قرى الموصل سنة ٦٠٦هـ وقيل إن تصانيفه كلها ألفها زمن مرضه إملاء على طلابه وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. الأعلام ٥/ ٢٧٢ عن بغية الدعاة ٣٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٤٤١، ارشاد الأريب ٦/ ٢٣٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٥٣ وغيرها.

(٢) قال جلبي زادة: علوم الحديث أحسن تصنيف فيه وقد حصر ذلك في خمسة وستين نوعاً، واعتنى به العلماء في زمانه إلى هذا الزمان وقيل إن ابن الصلاح أملى كتابه هذا إملاء فكتبه في حال الإملاء جمع جم فلم يقع مرتباً على مافي نفسه. كشف الظنون ٢/ ٣٦. واسم كتاب ابن الصلاح كاملاً (معرفة أنواع علم الحديث) واشتهر بمقدمة ابن الصلاح وهو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان النصري، الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ولد في شرخان قرب شهرزور وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية وانتقل إلى دمشق فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث وتوفي فيها سنة ٦٤٣، له عدد من الكتب أشهرها كتابه المذكور الأعلام ٤/ ٢٠٧ عن وفيات الأعيان ١/ ٣١٢، طبقات الشافعية ٥/ ١٣٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٢١ وغيرها.

(٣) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث لخص فيه كتابه الإرشاد الذي اختصره من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح. قال جلبي زاده: فصار زبدة خلاصته. وله شروح منها شرح العراقي وشرح القباقبي وشرح السيوطي المعروف بتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي كشف الظنون ١/ ٢٤٤. وقد تقدمت ترجمة الإمام النووي في الصفحة ٢٤.

[٤٩] - منصب الفقهاء[1]

فمنهم من يأخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب، ويركب الصعب والذّلول في العصبية، وهذا من أسوأ أخلاقهم. ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب، بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض، إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره. وياويح هؤلاء! أين هم من الله! ولو كان الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما حيين لشدّدا النكير على هذه الطائفة. وليت شعري لم لاتركوا أمر الفروع التي العلماء فيها على قولين؛ من قائل: كل مجتهد مصيب، وقائل: المصيب واحد، ولكن المخطئ يؤجر، واشتغلوا بالردّ على أهل البدع والأهواء، حتى إن محض التعصب والتحاسد يُلجئهم إلى حمل الناس على مذهب واحد، وهؤلاء لايقبله الله منهم.

ولعمر الله، لا أحصي عدد من رأيته يشمّر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولايسمّي، أو حنفي يلمس ذكره ولايتوضأ، أو مالكي يصلّي ولايبسمل، أو حنبلي يقدم الجمعة على الزوال، وهو يُرى من العوام، مالايحصي عدده إلاّ الله تعالى. يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضربُ العنق، ولاينكرون عليه، بل لو دخل واحد منهم بيته لرأى كثيراً من الناس يتركون الصلاة وهو ساكت عنهم. فيالله والمسلمين! أهذا فقيه على الحقيقة! قبح الله مثل هذا الفقيه.

ثم مابالكم تنكرون مثل هذه الفروع، ولاتنكرون المكوس[2] والمحرّمات المجمع عليها، ولاتأخذكم الغيرة لله فيها، وإنما تأخذكم الغيرة للشافعي وأبي

---

(١) معيد النعم ٧٤.

(٢) مكَس في البيع مَكْساً من باب ضرب: نقص الثمن. والمَكْس غلب على مايأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء قال الشاعر:

وفي كل أسواق العراق إتاوة ... وفي كل ماباع امرؤ مَكْسُ درهمِ

(المصباح المنير).

حنيفة! فيؤدي ذلك إلى افتراق كلمتكم، وتسلط الجهّال عليكم، وسقوط هيبتكم عند العامة، وقول السفهاء في أعراضكم مالا ينبغي، فتُهلكون السفهاء بكلامهم فيكم، لأنّ لحومكم مسمومة على كل حال، لأنكم علماء[1]. وتهلكون أنفسكم بما ترتكبون من العظائم.

ومنهم فرقة غايتها البحث في (الحاوي الصغير) لعبد الغفار القزويني[2]، و(الوقاية) لصدر الشريعة[3]، والكتابان المذكوران أعجوبتان في بابيهما، بالغان في الحسن أقصى الغايات. إلا أنّ المرء لايصير بهما فقيهاً، ولو بلغ عنان السماء.

وهذه الطائفة تضيع في تفكيك ألفاظهما وفهم معانيهما زماناً، لو صرفتْه إلى حفظ نصوص الشافعي، وكلام أصحابه، وحفظ فروع أبي حنيفة وتلامذته، لحصلت على جانب عظيم من الفقه. ولكن التوفيق بيد الله تعالى.

ومنهم طائفة صحيحة العقائد، حسنة المعرفة للفروع، إلاّ أنها لم ترعَ جانب الله سبحانه حق الرعاية، فكان عملها وبالاً عليها في الحقيقة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشدّ الناس عذاباً عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه»[4]. وعنه صلى الله عليه وسلم قال: «أول ماتسعّر النار يوم القيامة برجل عالم، فتندلق أقتابه في النار، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع إليه أهل النّار، فيقولون: ياهذا،

(١) أي إنّ المغتاب آكل لحم أخيه، كما ورد في سورة الحجرات، الآية ١٢ ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظن إثم، ولاتجسسوا، ولايغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾، ولحوم العلماء مسمومة تؤذي من يقع فيها.

(٢) الحاوي الصغير في الفروع، قال جلبي زاده هو من الكتب المعتبرة بين الشافعية قالوا هو كتاب وجيز اللفظ بسيط المعنى محرر المقاصد مهذب المباني، حسن التأليف والترتيب، جيد التفصيل في التبويب ولذلك عكفوا عليه بالشرح ونظمه ابن الوردي في ٥ آلاف بيت باسم بهجة الحاوي. مؤلفه عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني، نجم الدين، عالم بالحساب، من فقهاء الشافعية من أهل قزوين. توفي سنة ٦٦٥هـ، الأعلام ٤/ ٣١ عن طبقات الشافعية ٥/ ١١٨، ومعجم المطبوعات ٢٨٣.

(٣) وقاية الرواية في مسائل الهداية صنفه صدر الشريعة لابن بنته صدر الشريعة الثاني، اعتنى به العلماء قراءة وتدريساً وحفظاً وشرحاً. كشف الظنون ٢/ ٤٢١. والمصنف أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم المحبوبي النيسابوري، من فقهاء الحنفية. معجم المؤلفين ١/ ٣٠٨.

(٤) رواه الطبراني في الصغير ١/ ١٨٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١٢٧، كما ورد في كنز العمال برقم ٢٨٩٧٧، ومجمع الزوائد ١/ ١٨٥

ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». وفي الحديث أيضاً: «إنّ أشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان؛ رجلٌ علمَ علماً فيرى غيره يدخل به الجنّة لعمله به، وهو يدخل به النّار لتضييعه العمل به، ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنة، وهو يدخل به النّار».

وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[1] رحمه الله يستعيذ بالله من مثل هذا العلم حيث كان يقول: نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا، وينشد:

علمتَ ما حلّلَ المولى وحرّمَهُ ... فاعملْ بعلمكَ إنَّ العلم للعملِ

وفي مثل هذه الطائفة يقولُ الشاعر[2]:

ياأيُّها الرَّجُلُ المعلِّم غيرَهُ ... هلاَّ لنفسكَ كانَ ذا التعليمُ!

تَصفُ الدَّواءَ من السَّقامِ لذي الضَّنَى ... ومنَ الضَّنَى - مُذ كنْتَ - أنتَ سَقيمُ

مازلتَ تُلقحُ بالرَّشَادِ عقولَنا ... صفةً وأنتَ من الرَّشادِ عَديمُ

ابْدأ بنفسكَ فانْهَهَا عن غيِّها ... فإذا انتَهَتْ عنهُ فأنْتَ حكيمُ

فهناك يُقْبَلُ إنْ وَعَظْتَ ويُقتدى ... بالقولِ منْكَ وينفعُ التَّعْليمُ

لاتَنْهَ عنْ خُلُقٍ وتَأتيَ مثْلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظيمُ

---

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي، علامة مناظر ولد في فيروز آباد بفارس وانتقل منها إلى شيراز فقرأ على علمائها وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد فأتم بها مابدأ به من الدرس والبحث وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة فكان يدرس فيها ويديرها وعاش فقيراً صابراً وكان طلق الوجه فصيحاً ينظم الشعر وله تصانيف في فقه الشافعية وأصول مذهبهم وفي الجدل مات ببغداد سنة ٤٧٦هـ وصلى عليه المقتدي العباسي الأعلام ١/ ٥١ عن طبقات السبكي ٣/ ٨٨، وفيات الأعيان ١/ ٤.

(٢) الأبيات منسوبة لأبي الأسود الدؤلي وللمتوكل الليثي والسابق البربري والأخطل وحسان بن ثابت والطرماح، وليست في دراوين هؤلاء الثلاثة انظر حماسة البحتري ١٧٤، والأغاني ١٢/ ١٥٦، وخزانة الأدب ٣/ ٦١٧ ومغني اللبيب برقم ٦٧١، وشرح ابن عقيل ٢/ ١٢٥ وعني النحويون بالبيت الأخير منها.

فهذه الطائفة، إذا واخذها[1] الله تعالى فلا ينبغي أن تعتب وتقول: نحن أهل العلم، فإن صُنعها ليس بصنع أهل العلم، الذين هم أهل العلم، بل هؤلاء كما قال الله تعالى: ﴿ لايعلمون. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . . . ﴾[2]. فما قوبلوا إلا بعدل من الله تعالى.

ومنهم[3] فرقة لاتترك الصلاة، ولكنها أحبت العلم والمناظرة، وأن يقال: فلان اليوم فقيه البلد، حبّاً اختلط بلحمها وعظمها، فاستغرقتْ فيه أكثر أوقاتها، واستهانت بالنوافل، ونسيت القرآن المجيد بعد حفظه، وشمخت بأنافها مع ذلك، وقالت: نحن العلماء. وإذا قامت لصلاة الفريضة قامت أربعاً لاتذكر الله تعالى فيها إلا قليلاً، مزجت صلاتها بالفكر في دقائق الجنايات. وربما جاء ليقول: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾[4] فسبق لسانه إلى ماهو فيه مفكّر من جزئيات الفروع، فينطق به.

ثم إذا سألت واحداً منهم: أصليت سُنّة الظهر؟. قال لك: قال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. أخشعت في صلاتك؟. قال لك: ليس الخشوع من شرائط صحة الصلاة. أنسيت القرآن؟ قال لك: لم يقل إنّ نسيانه كبيرة إلا صاحب (العدّة)[5]. وما الدليل على ذلك، وأنا لم أنس الجميع، فإني أحفظ الفاتحة وكثيراً من القرآن غيرها.

فقل له: أيها الفقيه! كلمة حق أريد بها باطل؛ إنّ الشافعي لم يعن ماأردت، ولكلامه تقرير، لسنا له الآن، ويُخشى على من هذا شأنه المروق[6] من الدين رأساً.

(١) آخذه مؤاخذة عاقبه على ذنبه ويبدل المدّ واواً في لغة اليمن فيقال: واخذه مواخذة. وقرأ بعض السبعة ﴿لايواخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ [البقرة، الآية ٢٢٥] على هذه اللغة (المصباح المنير).

(٢) الآيتان ٦، ٧ من سورة الروم وتمامها: ﴿ وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾.

(٣) معيد النعم ٨٤.

(٤) الفاتحة، الآية ٤

(٥) العدّة في فروع الشافعية لابراهيم بن علي الطبري الروياني، كشف الظنون ٢/ ٢٠ وفي طبقات الشافعية ٤/ ٢٤٤ ذكر السبكي في ترجمة عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري ت ٥٣١ أنه ابن صاحب العدة.

(٦) مرق السهم من الرميّه مروقاً من باب قعد: خرج منه من غير مدخله. ومنه قيل: مرق من الدين إذا خرج منه. المصباح المنير.

أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري، عن أم يوسف خديجة ابنة علي بن أبي عمر، أنبأنا الحافظ أبو العباس بن المظفر، أنا أحمد بن هبة الله بن عساكر بقراءتي عليه، أنا الإمام القاسم بن الإمام أبي سعد، عبد الله بن عمر الصفّار(1) إجازة، أنا جدي عصام الدين أبو حفص، عمر بن أحمد بن منصور بن الصفار(2)، قال: سمعت جدي يقول: سمعت الأستاذ أبا القاسم القشيري(3) يقول: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق(4) يقول: «من استهان بأدب من آداب الإسلام، عوقب بحرمان السُّنَّة، ومن ترك السُّنَّة عوقب بحرمان الفريضة. ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعاً يوقع عنده باطلاً، فيوقع في قلبه شبهة».

وبلغنا(5) أن الإمام الغزالي أمَّ مرة بأخيه أحمد في صلاة، فقطع أخوه أحمد الاقتداء به، فلما قضيا الصلاة سأله الغزالي، فقال: لأنّك كنت متضمخاً بدماء

---

(1) شهاب الدين، القاسم بن عبد الله بن عمر، أبو بكر النيسابوري المعروف بابن الصفار الشافعي، مفتي خراسان. سمع من جدّه ومن أبيه ومن غيره. ومن مسموعاته مسند أبي عوانه من أبي الأسعد بن القشيري، حدّث عنه البرزالي والضياء وابن الصلاح ومحمد بن محمد الاسفراييني والمرسي وغيرهم. استشهد بنيسابور سنة ٦١٨هـ على يد الترك لما دخلوها. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٠٩. وأمّا والده فهو عبد الله بن عمر بن أحمد، فخر الإسلام، أبو سعد الصفّار، إمام علامة معمّر، سمع من جده لأمه الإمام أبي نصر بن القشيري، وكان آخر من روى عنه، وسمع من غيره، وحدث عنه إسماعيل بن ظفر وابنه المذكور، وجماعة. كان من الأئمة العلماء الأثبات. توفي سنة ٦٠٠هـ. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٣.

(2) عصام الدين، عمر بن أحمد بن منصور أبو حفص الصفار حدّث عنه خلق منهم حفيده المذكور. قال أبو سعد السمعاني: إمام بارع مبرز جامع لأنواع الفضل من العلوم، سديد السيرة، مكثر في الحديث، ديّن ورع، أحد وجوه الفقهاء توفي سنة ٥٥٣هـ. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٣٧. وانظر العبر ٤/ ١٥٣، طبقات السبكي ٧/ ٢٤٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٩، شذرات الذهب ٤/ ١٦٨.

(3) أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري زين الإسلام صاحب الرسالة القشيرية في التصوف، كان شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين، أقام بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥هـ وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه وله كتب في التفسير وغيره. الأعلام ٤/ ٥٧ عن طبقات السبكي ٣/ ٢٤٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٩، تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، مفتاح السعادة ١/ ٤٣٨ وغيرها.

(4) الحسن بن محمد بن علي، أبو علي الدقاق. كان إمام فنه، منقطع النظير في زمانه في الزهد وغيره، ذا بيان ولسان فصيح في التصوف، رأى كثيراً من مشايخ الصوفية وصحبهم، وكان مريداً للنصرآبادي. حمدت سيرته وبرع في الأصول والفقه والعربية حتى شدت إليه الرحال، وهو أستاذ القشيري صاحب الرسالة. وله كرامات ومكاشفات ظاهرة. توفي بنيسابور سنة ٤٠٥هـ. كشف المحجوب ٣٧٧، ط القاهرة ١٣٩٤ وانظر: نفحات الأنس ٢٩١، سفينة الأولياء ١٥٩، تذكرة الأولياء ٢/ ١٧٧، شذرات الذهب ٣/ ١٨٠ وفيه أنه توفي سنة ٤٠٦هـ.

(5) انظر معيد النعم ٨٦.

الحيض. ففكر الغزالي، فذكر أنّه عرضت له في الصلاة فكرة في مسألة من مسائل الحيض. فانظر! فهؤلاء أهل الله الذين هم أعرف به منك أيها الفقيه، قد عرّفوك أن ماتعتمده يجرّك إلى الكفر. والعياذ بالله تعالى.

ومنهم[1] طائفة سلمت من جميع ماذكرناه، إلاّ أنها استهانت ببعض صغائر الذنوب كالغيْبة، والاسَتهزاء بخلق الله تعالى، وغير ذلك، أو كان لها معصبة ابتلاها الله سَبحانه بها، فلم تستتر، وقالت: علمنا يغطي معصيتنا. وهذا جهل لاعلم؛ فالصغيرة تكبر من العالم، فإن هو تجاهر بها ازداد أمرها، والمعصية مع العلم فوق المعصية مع الجهل من وجوه، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « من بلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله »[2] الحديث. فالعالم أولى أن يستتر، إن لم يرجع؛ فإنه قدوة. ولذلك كان بعض العارفين لايظهر لتلميذه إلا على أشرف أحواله، خوفاً أن يقتدي به في سيّئها، أو يسوء ظنّه، فلا ينتفع به.

فينبغي للعالم الفقيه الكفّ عن صغائر المعاصي وكبائرها، فإن هو لم يكفّ فلا أقل من التستر؛ صيانة لمنصب العلم. وإلى هذا المعنى أشار الشيخ الجليل فتح بن علي بن منصور الدمياطي[3]، فأنشد لنفسه:

أيُّها العالِمُ إيّاكَ الزَّلَلْ	واحذرِ الهفوةَ والخطبُ جَلَلْ
هفوةُ العالِمِ مستعظَمَةٌ	إذْ بها أصبحَ في الخلقِ مَثَلْ
وعلى زلّته عُمدتُهم	فبها يحتجُّ من أخطا وزَلْ
لاتقلْ يَستُرُ علمي زلّتي	بلْ بها يحصُلُ في العلمِ خَلَلْ
إنْ تكنْ عندكَ مُسْتحقرةً	فهْيَ عندَ اللّه والناسِ جبلْ
ليس مَنْ يتبعُهُ العالَمُ في	كلِ مادقَّ منَ الأمرِ وجلّ
مثلَ من يدفعُ عنهُ جهلُهُ	إنْ أتى فاحشةً قيلَ جَهِلْ

(١) انظر معيد النعم، المرجع السابق.

(٢) لم نقع على هذا الحديث بمظانّه.

(٣) فتح بن محمد بن علي السعدي الدمياطي الشافعي، أبو المنصور، المنعوت بالنجيب، فاضل له اشتغال بالحديث والأدب، وله شعر، من أهل دمياط وبها توفي سنة ٦٠٦هـ، وله مصنفات وديوان شعر الأعلام ٥/ ١٣٤. وهو غير الدمياطي عبد المؤمن بن خلف الحافظ المتوفى سنة ٧٠٥ والذي مرت ترجمته في الصفحة ٩٧.

انظر الأنجمَ مهما سَقَطَتْ ... مَنْ رآها وهي تهوي لم يُبَلْ

فإذا الشمسُ بدت كاسفةً ... وَجلَ الخلق لها كلَّ الوَجَلْ

وتراءَتْ نحوَها أبصارهم ... في انزعاجٍ واضطرابٍ وَوَجَلْ

وسرى النقصُ لهمْ من نقصها ... فغدتْ مظلمةً منها السُّبُلْ

وكذا العالِم في زلّته ... يفتِنُ العالَم طراً ويُضِلّ

ومنهم فرقة[1] سلمت من جميع ماذكرناه، إلا أنّه غلب عليها الطعن في أمة قد سلفت، والاشتغال بعلماء قد مضوا، وغالب مايؤتى هؤلاء من المخالفة في العقائد؛ فقلّ أن ترى من يميل إلى الحنابلة إلاّ ويضعُ من الأشاعرة. وهذا الذهبي[2] كان سيّد زمانه في الحفظ مع الورع والتقوى، ومع ذلك يعمد إلى أئمة الإسلام من الأشاعرة رضي الله عنهم. فيظهر عليه من التعصب عليهم ماتنفر القلوب عنه، وإلى طائفة من المجسمة، فيظهر عليه من نصرتهم مايوجب سوء الظن به، وماكان والله إلا تقياً نقياً، ولكن حمله التعصب، واعتقاده أن مخالفيه على خطأ. وقلّ أن ترى أشعرياً من الحنفية والشافعية والمالكية إلا ويبالغ في الطعن على هؤلاء، ويصرّح بتكفيرهم. وإذا كانت الأئمة المعتبرون كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأشعري على أنّا لانكفّر أحداً من أهل القبلة. فلمَ هذا التعصب؟ ومالنا لانسكت عن أقوام مضوا إلى ربهم؟ ولم ندر على ماذا مَاتوا؟ وإن يُبد لنا أخذ بدعته قابلناه. وأما الأموات فلمَ ننبش عظامهم؟ هذا والله مالاينبغي. ومنهم فرقة متنسكة تجري على ظواهر الشَرع، وتحسن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، إلا أنها تهزأ بالفقراء وأهل التصوف، ولاتعتقد فيهم شيئاً، ويعيبون عليهم السماع، وأموراً كثيرة. والسماع قد عُرف اختلاف الناس فيه. وتلك الأمور قلّ أن يفهمها من يعيبها. والواجب تسليم أحوال القوم إليهم. وإنّا لانؤاخذ أحداً إلا بجريمة ظاهرة، ومتى أمكننا تأويل كلامهم، وحمله على

(١) معيد النعم ٨٧

(٢) مرت ترجمة الذهبي في الصفحة ٤٧.

محمل حسن لانعدل عن ذلك؛ لاسيما من عرفناه منهم بالخير ولزوم الطريقة. ثم إن بدرت لفظة من غلطة أو سقطة، فإنها عندنا لاتهدم مامضى.

وهذه الطائفة من الفقهاء التي تنكر على الصوفية مثلها مثل الطائفة من الترك التي تنكر على الفقهاء. وقد جربنا، فلم نجد فقيهاً ينكر على المتصوفة إلا ويهلكه الله تعالى، وتكون عاقبته وخيمة، ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء إلا ويهلكه الله، وتكون عاقبته شديدة.

فسبيل هذه الطائفة التوبة إلى الله، وحسن الظنّ بخلق الله، لاسيما من انقطع إلى الله، واعتكف على عبادته، ورفض الدنيا وراء ظهره.

هذا علاج هذه الطائفة، وماأظنهم يبرأون، فإني جربت فوجدت القلوب منقسمة إلى قابل للصلاح وطريق الفقراء وذلك تراه منقاداً لطريق الفقراء، معتقداً من غير تعليم، وغير قابلة ولاتراها تنقاد، وإن انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد، لأنّ هؤلاء القوم لايعاملون بالظواهر، ولايفيد معهم إلاّ الباطن ومحض الصفاء، وهم أولياء الله وخاصته. نفعنا الله بهم. وأكثر من يقع فيهم لايفلح.

[٥٠] - منصب المفسرين[١]

فمنهم طائفة - وأكثرهم من الأروام[٢] - نظرت في كتاب الكشاف للزمخشري، وقالوا: نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى. وقد قال التاج بن السبكي: «. . . أنّ (الكشاف)[٣] كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبّوة كثيراً، ويسيء أدبه على أهل السّنة والجماعة، والواجب كشط مافي كتابه الكشاف من ذلك كله.

ولقد كان الشيخ الإمام - يعني والده - يقرئه، فلما انتهى إلى كلامه على قوله تعالى في سورة التكوير: «إنه لقول رسول كريم»[٤] الآية أعرض عنه صفحاً، وكتب ورقة حسنة سمّاها: (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف)، وقال فيها: قد رأيت كلامه على قوله تعالى: ﴿ عفا الله عنك ﴾[٥]. وكلامه في سورة النجوى، في الزلّة[٦]، وغير ذلك من الأماكن التي أساءأدبَهُ فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعرضتُ عن إقراء كتابه حياء من الله تعالى، ومن النبي صلى الله عليه وسلم، مع مافي كتابه من الفوائد والنكت

---

(١) معيد النعم ٨٠، ٨١

(٢) انظر التعليقة عن الأروام ص ٧٧.

(٣) مرت ترجمة الزمخشري في الصفحة ٥١.

(٤) وذلك أنه فسّر قوله تعالى ﴿ رسول كريم ﴾ على أنه هو جبريل عليه السلام، وفضّله على النبي صلى الله عليه وسلم في الآية المذكورة ومابعدها. وفي هذا شطط. الآية ١٩ من سورة التكوير ومابعدها.

(٥) التوبة، الآية ٤٣. وتمامها: ﴿ عفا الله عنك، لم أذنت لهم حتى يتبيّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ قال الزمخشري: «﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن الجناية؛ لأنّ العفو رادف لها ومعناه: أخطأت وبئس مافعلت» وهذا سوء أدب بالغ منه مع النبي صلى الله عليه وسلم، يستهجن مثله منه.

(٦) قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: في الآية الأولى من سورة التحريم: ﴿ ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك، تبتغي مرضاة أزواجك، والله غفور رحيم ﴾ بعد تعقيبه على بعض الروايات التي تقول إنه صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه جاريته مارية القبطية رضي الله عنها، أو حرم أن يأكل العسل: فقال: «وكان هذا زلة منه، لأنه ليس لأحد أن يحرم ماأحلّ الله، لأن الله عز وجل إنما أحل ماأحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك مازللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به» فزل بذلك الزمخشري بإساءة الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم.

البديعة، فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برّز في جميع العلوم، وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار منقولاً ومعقولاً، في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم دراسته في هذا الزمان ديدنها. والقول عندنا فيه: أنه لاينبغي أن يُسمح بالنظر فيه، إلاّ لمن صار على منهاج السنّة، لاتزحزحه شبهات القدرية». انتهى(١).

قلت المفسرون قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه؛ فالنحوي تراه ليس له همّ إلاّ الإعراب وتكثير الأوجه، كأبي حيّان في (البحر) و(النهر)(٢). والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها، سواء كانت صحيحة أم باطلة، كالثعلبي(٣). والفقيه يكاد يسرد فيه من أبواب الطهارة إلى الفرائض، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لاتعلّقَ لها بالآية أصلاً. والجواب عن أدلة المخالفين، كالقرطبي(٤). وصاحب العلوم العقلية - خصوصاً الإمام فخر الدين الرازي(٥)- قد ملأ تفسيره بأقوال

(١) معيد النعم ٨٠ - ٨١.

(٢) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي، الغرناطي الأندلسي الجياني، أثير الدين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ولد في غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٧٤٥هـ بعد أن كف بصره. وقد اشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه، كتب في القراءات والنحو والتصريف والأدب والطبقات وله ديوان شعر الأعلام ٧/ ١٥٢ عن الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢، بغية الوعاة ١٢١، فوات الوفيات ٢/ ٢٨٢، شذرات الذهب ٦/ ١٤٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ١١١، طبقات السبكي ٦/ ٣١ وغيرها. وكتابه البحر المحيط في التفسير قال كاتب جلبي: كتاب عظيم في مجلدات اختصره في مجلدين وسماه النهر المادّ من البحر. كشف الظنون ١/ ١٤٥.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسّر من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ من كتبه عرائس المجالس في قصص الأنبياء، ويعرف تفسيره باسم تفسير الثعلبي، واسمه الكشف والبيان في تفسير القرآن. الأعلام ١/ ٢١٢ عن ابن خلكان ١/ ٢٢، إنباه الرواة ١/ ١١٩، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠ وغيرها.

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقرّ بمنية ابن خَصيب شمال أسيوط بمصر وتوفي بها سنة ٦٧١هـ وكتابه المشهور الجامع لأحكام القرآن في عشرين جزءاً يعرف بتفسير القرطبي وله مؤلفات. كان ورعاً متعبداً طارحاً للتكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقيته. الأعلام ٥/ ٣٢٢.

(٥) فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله إمام مفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان ومولده في الري وإليها نسبته ويقال له: ابن خطيب الري رحل إلى خوارزم وماوراء النهر وخراسان وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ وأقبل الناس على كتبه في حياته وكان يحسن الفارسية وتفسيره مفاتيح الغيب في ثماني مجلدات وله آثار كثيرة وشعر بالعربية والفارسية. الأعلام ٦/ ٣١٣ عن طبقات الأطباء ٢/ ٢٣، الوافي بالوفيات ١/ ٤٧٤، مفتاح السعادة ١/ ٤٤٥، ذيل الروضتين ٦٨، لسان الميزان ٤/ ٤٢٦، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥، طبقات الشافعية ٥/ ٣٣ وغيرها.

الحكماء والفلاسفة وشُبَهها، وخروجه من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب من عدم المورد للآية. قال أبو حيان في البحر: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياءكثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير».

والمبتدع ليس قصده إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد؛ متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال؛ ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾[1] وأي فوز أعظم من دخول الجنة! أشار به إلى عدم الرؤية.

وأما الملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله، كقول من قال في [قوله تعالى] ﴿ إن هي إلاّ فتنتك ﴾[2] : ماعلى العباد أضر من ربهم؛ وعلى هذا وأمثاله يحمل ماأخرجه أبو يعلى وغيره، عن حذيفة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ في أمتي قوماً يقرأون القرآن، ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه غير تأويله»[3].

وعليك بتفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري[4]، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفاسير مثله. قال النووي في تهذيبه[5]: «كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله». انتهى.

(١) آل عمران، الآية ١٨٥

(٢) الأعراف، الآية ١٥٥

(٣) المطالب العالية برقم ٣٥٢٨. والدقل أردأ التمر.

(٤) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، مؤرخ، مفسر، إمام، ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، عرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى، له آثار من أشهرها جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري وأخبار الرسل والملوك المشهور بتاريخ الطبري وغير ذلك، كان غزير العلم مجتهداً في الدين لايقلد أحداً ومحققاً كان أسمر، أعين، نحيلاً فصيحاً. الأعلام ٦/ ٦٩ عن إرشاد الأريب ٦/ ٤٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥١، الوفيات ١/ ٤٥٦، طبقات السبكي ٢/ ١٣٥ وغير ذلك. قال كاتب جلبي: قال السيوطي في الاتقان: وكتابه [تفسير الطبري] أجلّ التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والإستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين. وقال النووي: أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن أبي حامد الاسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً. وروي أن ابن جرير قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره فقال: ثلاثون ألف ورقة. قالوا: هذا ممايفني الأعمار قبل تمامه. فاختصره في نحو ٣ آلاف ورقة. كشف الظنون ١/ ٢٣٣.

(٥) سبقت ترجمة الإمام النووي ص ٢٤. وقد أشرنا إلى قوله المنصوص ضمن الحاشية السابقة.

وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير. قال ابن الصلاح في فتاويه[1]: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي[2] المفسّر، أنّه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير)[3] فإن كان اعتقد أنّ ذلك تفسير فقد كفر». قال ابن الصلاح: «وأنا أقول: الظنّ بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لنظير ماورد به القرآن؛ فإن النظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلباس». وقال النسفي في عقائده[4]: «النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان

---

(١) سبقت ترجمة ابن الصلاح صاحب المقدمة في علوم الحديث في الصفحة ١١١. وأما كتابه الفتاوى المعروف بفتاوى ابن الصلاح فقد جمعها بعض طلابه وهي في مجلد كثير الفوائد وبعض نسخ الكتاب مرتب على الأبواب كشف الظنون ٢/ ٦٢.

(٢) علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أبو الحسن، مفسر عالم بالأدب قال عنه الذهبي إمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار أصله من ساوة بين الري وهمذان ولد بنيسابور وتوفي بها سنة ٤٦٨هـ وله تصانيف في التفسير والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل بن مهرة الأعلام ٤/ ٢٥٥ عن النجوم الزاهرة ٥/ ١٠٤، الوفيات ١/ ٣٣٣، إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣.

(٣) أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي النيسابوري، من علماء المتصوفة، قال الذهبي: شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم بلغت تصانيفه مائة أو أكثر ولد في نيسابور وتوفي بها سنة ٤١٢هـ الأعلام ٦/ ٩٩ عن طبقات الصوفية ١٦، الرسالة المستطرفة ٤١ مفتاح السعادة ١/ ٤٥١، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦ تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨ وغيرها. وكتابه حقائق التفسير مختصر على طريقة أهل التصوف.

(٤) عمر بن محمد بن أحمد، أبو حفص، نجم الدين النسفي، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية، ولد بنسف وإليها نسبته وتوفي بسمرقند سنة ٥٣٧هـ. قيل: له نحو مائة مصنف في عدد من العلوم كالتفسير والأدب والفقه والطبقات الأعلام ٥/ ٦٠ عن الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ١/ ٣٩٤، لسان الميزان ٤/ ٣٢٧؛ إرشاد الأريب ٦/ ٥٣. وكتابه العقائد يعرف بعقائد النسفي اعتنى به جمع من العلماء فشرحه التفتازاني وقال عنه: إن المختصر المسمى بالعقائد يشتمل على غرر الفوائد في ضمن فصول هي للدين قواعد وأصول مع غاية من التنقيح والتهذيب وعلى التفتازاني حاشية أحمد بن موسى الخيالي. كشف الظنون ١/ ٢٨.

يدعيها أهل الباطن إلحاد». وقال التفتازاني[(١)] في شرحه: «سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان باطنة لايعرفها إلاّ المعلم. وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية» قال: «وأما مايذهب إليه بعض المحققين، من أنّ النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك لايمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان، ومحض العرفان»[(٢)].

[٥١] - منصب حكماء الإسلام[(٣)]

وهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي[(٤)]، وأبي علي بن سينا[(٥)]، وغيرهما من الفلاسفة الذين نشأوا في هذه الأمة، واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم، وسموها «الحكمة الإسلامية»، ولقبوا أنفسهم «حكماء الإسلام» وهم أحق بأن يُسَمَّوْا سفهاء جهلاء، [من أن يسموا حكماء][(٣)]؛ إذ هم أعداء

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خراسان وأقام بسرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند فتوفي فيها سنة ٧٩٣هـ ودفن بسرخس. وكانت في لسانه لكنة له كتب في البلاغة عديدة، وفي الصرف والمنطق. الأعلام ٧/ ٢١٩ عن بغية الدعاة ٣٩١، مفتاح السعادة ١/ ١٦٥ الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠ وغيرها، واشتهر شرحه على عقائد النسفي.

(٢) انظر شرح التفتازاني على العقائد النسفية ص١٤٨ ط مصر دار الكتب العربية الكبرى.

(٣) انظر معيد النعم ٧٧ ومابين معقوفتين مستدرك منه.

(٤) محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني فيلسوف تركي الأصل مستعرب ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها وألف بها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام واتصل بسيف الدولة الحمداني وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في زمنه ويقال إنه هو الذي ابتكر آلة القانون وعرف بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات آرسطو المعلم الأول. كان زاهداً لايحفل بأمر مسكن ولا مكسب يميل إلى الانفراد بنفسه ولم يكن يوجد غالباً في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مائة كتاب. الأعلام ٧/ ٢٠ عن وفيات الأعيان ٢/ ٧٦، طبقات الأطباء ٢/ ١٣٤، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤ وغيرها.

(٥) حسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، لقب بالفيلسوف الرئيس له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات أصله من بلخ ومولده في احدى قرى بخارى وبها نشأ وتعلم ثم طاف البلاد وناظر العلماء واتسعت شهرته حتى تقلد الوزارة في همذان وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته فتوارى ثم سار إلى أصفهان وصنف بها أكثر كتبه وعاد في أواخر أيامه إلى همذان فمرض في الطريق ومات بها سنة ٤٢٨هـ. قال ابن قيم الجوزية: كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين وقال =

أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، والمحرفون لكلم الشريعة المطهرة عن مواضعه، عكفوا على دراسة تُرّهات هؤلاء الأقوام، وسَموها الحكمة، واستجهلوا من عَرِي عنها، ولاتكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولاحديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعمر الله إن هؤلاء لأضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى؛ لأنّهم يَلْبَسون لباس المسلمين، ويدّعون أنهم من علمائهم، فيقتدي العامي بهم، وهم لايعتقدون شيئاً من دين الإسلام، بل يهدمون قواعده، وينقضون عُراه، عُروةً عروة. شعر:

وما انتسبُوا إلى الإسلامِ إلاّ لصونِ دمائهِمْ ألاّ تُسَالا
فيأتونَ المناكرَ في نشاطٍ ويأتونَ الصلاةَ وهم كُسَالى

قال التاج بن السبكي[1] : «وأما طائفةٌ في زماننا هذا، وقبله بيسير، عكفت على هذه الحكمة المقيتة، من حيث نشأت لاتدري شيئاً سواها، اشتبه عليها أقوال كفارها بأقوال علماء الإسلام وتصرفت بينها بعقل خسيف[2]، لم تأتمّ بكتاب وسنّة، ولم يضيء لها نور ببرهان من النبوات، ثم تعتقد أنّها على شيء، فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة. فالحذر الحذر منهم.

وقد أفتى جماعة من أئمتنا ومشيختنا، ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال في الفلسفة» انتهى.

= ابن تيمية: تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبويات والمعاد والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم فإنه استفادها من المسلمين وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم بأمر الله. صنف نحو مئة كتاب ونظم الشعر الفلسفي من أشهر كتبه القانون الذي بقي معولاً عليه في الطب ستة قرون وترجم إلى اللغات الأجنبية. الأعلام ٢/ ٢٤٢ عن وفيات الأعيان ١/ ١٥٢، تاريخ حكماء الإسلام ٢٧، تاريخ ابن العبري ٣٢٥، خزانة الأدب للبغدادي ٤/ ٤٦٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٠٣، لسان الميزان ٢/ ٢٩١ واغاثة اللهفان لابن الجوزي ٢/ ٢٦٦ وغير ذلك.

(١) انظر معيد النعم ٧٩.

(٢) خسفت العين إذا ذهب ضوءها. وخسفت عين الماء غارت. المصباح المنير. ولعل هذا منه.

[٥٢] - منصب المناطقة

قال الجلال السيوطي في كتابه (إتمام الدراية لقرّاء النقاية)[(١)]: «وتحرم علوم الفلسفة، كالمنطق، بإجماع السلف، وأكثر المعتبرين من الخلف. وممن صرح بذلك ابن الصلاح[(٢)] والنووي[(٣)] وخلق لايحصون. وذكر الحافظ سراج الدين القزويني[(٤)] من الحنفية في كتاب ألفه في تحريمه: أن الغزالي رجع إلى تحريمه بعد ثنائه عليه في أول (المستصفى)[(٥)]. وجزم السِّلَفي[(٦)] من أصحابنا، وابن رُشْد[(٧)] من المالكية بأن المشتغل فيه لاتقبل روايته» انتهى.

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة نشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس جميعاً فألف أكثر كتبه وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه وبقي كذلك حتى توفي سنة ٩١١هـ وقيل إنه كان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته وهي بين الكتب. الأعلام ٣/ ٣٠١ عن الكواكب السائرة ١/ ٢٢٦، شذرات الذهب ٨/ ٥١، الضوء اللامع ٤/ ٦٥ وغيرها. وكتابه إتمام الدراية المذكور يضم علوماً مختلفة ذكر كاتب جلبي أنها ١٤ علماً مع زبدة مسائلها وهو شرح لكتابه النقاية والشرح في ٤ مجلدات. كشف الظنون ٢/ ٣٩٩ وانظر النص في إتمام الدراية ص٢٤٠ مطبوع على هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي القاهرة ١٣١٧هـ.

(٢) تقدمت ترجمة ابن الصلاح في الصفحة ١١١.

(٣) سبقت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٤) سراج الدين القزويني، عمر بن علي بن عمر، أبو حفص، محدث العراق في عصره، ولد بقزوين ونشأ بواسط واشتهر ببغداد وبها توفي سنة ٧٥٠هـ. الأعلام ٥/ ٥٦ عن غاية النهاية ١/ ٥٩٤، الدرر الكامنة ٣/ ١٨٠، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ٣٥٨.

(٥) انظر ترجمة الغزالي في المقدمة. وكتابه المستصفى في أصول الفقه: ورتبه على مقدمة وأربعة أقطاب، القطب الأول في الأحكام والثاني في الأدلة والثالث في طريقة الاستثمار والرابع في المستثمر كشف الظنون ٢/ ٢٦٢.

(٦) سبقت ترجمة السلفي في الصفحة ٥١.

(٧) هو محمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة. من أعيان المالكية وهو جد ابن رشد الفيلسوف، له مؤلفات وفتاوى مولده ووفاته بقرطبة سنة ٥٢٠هـ. الأعلام ٥/ ٣١٦ عن قضاة الأندلس ٩٨، الصلة ٥١٨، بغية الملتمس ٤٠، أزهار الرياض ٣/ ٥٩ وغيرها.

وقال التاج بن السبكي[1] ـ «والذي نقوله: إنه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه، ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعته، ويحفظ الكتاب العزيز، وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله عليه وسلّم على طريقة المحدثين، ويعرف من الفروع مابه يسمى فقيهاً مفتياً، مشاراً إليه بين أهل مذهبه، إذا وقعت حادثة فقهية أن ينظر[2] في الفلسفة. وأيما فقيه وصل إلى هذا المقام فله النظر فيه للردّ على أهلها، ولكن بشرطين: أحدهما؛ أن يثق من نفسه بأنه وصل إلى درجة لاتزعزعها رياح الأباطيل، وشبه الأضاليل، وأهواء الملاحدة. والثاني؛ ألا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام؛ فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المسلمين، وأدى الحال إلى طعن المشبِّهة وغيرهم من رعاع الخلق في أصحابنا، وما كان ذلك إلا في زماننا وقبله بيسير، منذ نشأ نصير الطوسي ومن تبعهم لاحياهم الله تعالى.

«فإن قلت[3] فقد خاض حجة الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي رحمهما الله تعالى في كلام الفلاسفة، ودوناها وخلطاها بكلام المتكلمين فهلاّ ينكر عليهما! قلت: إنّ هذين إمامان جليلان، ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين، وضربت الأمثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة أهل السنّة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم. فإياك أن تسمع شيئاً غير ذلك، فتضلّ ضلالاً مبيناً. فهذان إمامان عظيمان، وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين، وإعزاز هذا الدين، بدفع ترهات أولئك المبطلين. فمن وصل إلى مقامهما لا ملام عليه بالنظر في الكتب الفلسفية، بل هو مثاب مأجور».

---

(١) انظر معيد النعم ٧٨

(٢) المصدر المؤول فاعل حرام المذكور.

(٣) معيد النعم ٧٨ .

[٥٣] - منصب علماء أصول الدين[١]

هؤلاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة -ولله الحمد- في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنّة والجماعة، يدينون بالله سبحانه بطريق شيخ السنّة أبي الحسن الأشعري[٢]، لايحيد عنها إلاّ رَعَاعٌ من الحنفية والشافعية؛ لحقوا بأهل الإعتزال والتعطيل، وغيرُ المحققين من الحنابلة؛ لحقوا بأهل التجسيم. وبرّأ الله المالكية؛ فلم تر مالكياً إلا أشعري العقيدة.

وبالجملة: عقيدة الأشعري هي ماتضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي[٣] الحنفي رحمه الله، التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة، هي وعقيدة أبي القاسم القشيري[٤]، والعقيدة المسماة بالمرشدة[٥] مشتركات في أصول أهل السنّة والجماعة.

فقل لهؤلاء المتعصبين في الفروع ويحكم! ذروا التعصب، ودعوا عنكم هذه الأهوية[٦]، ودافعوا عن دين الإسلام، وشمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسبّ الشيخين أبابكر وعمر رضي الله عنهما، ويقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، التي نزل القرآن ببراءتها، وغضب الربّ تعالى لها، حتى كادت السماء تقع على الأرض، ومن يطعن في القرآن وصفات الرحمن. فالجهاد في هؤلاء واجب فهلاّ شغلتم أنفسكم به!.

---

(١) معيد النعم ٧٥

(٢) مرت ترجمة الأشعري في الصفحة ٣٠.

(٣) مرت ترجمة الطحاوي في الصفحة ٣٠.

(٤) مرت ترجمة القشيري في الصفحة ١١٦

(٥) العقيدة المرشدة لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ. كشف الظنون ٣٤/٢.

(٦) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة ١٨.

ويأيها الناس، بينكم النصارى واليهود قد ملأوا بقاع البلاد. فمن الذي انتصب منكم للبحث معهم، والاعتناء بإرشادهم. بل هؤلاء أهل الذمّة في البلاد الإسلامية تتركونهم هملاً، تستخدمونهم، وتستطبونهم، ولانرى فيكم أحداً يجلس مع ذمّي ساعة واحدة يبحث معه في أصول الدين؛ لعل الله تعالى يهديه، على يديه، وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن تصرفوا بعض هممكم إلى هذا النوع؛ فمن القبائح أنّ بلادنا ملأى من علماء المسلمين، ولانرى فيها ذمياً دعاه إلى الإسلام مناظرة عالم من علمائنا، بل إنما يُسلم من يُسلم منهم، إما لأمر من الله تعالى لامدخل لأحد فيه، أو لعرض دنيوي.

ثم ليت من يُسْلم من هؤلاء، ترى فقيهاً يمسكه ويحدثه ويعرّفه دين الإسلام، لينشرح صدره لما دخل فيه، بل -والله- يتركونه هملاً، لايُدرى ماباطنه، هل هو كما يظهر من الإسلام، أو كما كان عليه من الكفر! لأنهم لم يُروه من الآيات والبراهين ماينشرح صدره. فيا أيها العلماء! في مثل هذا فاجتهدوا وتعصبوا.

وقال التاج بن السبكي[1]: «وقد اعتبرت -لاينبئك -مثل خبير - فلم أجد أضرّ على أهل عصرنا، وأفسد لعقائدهم من نظرهم في الكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الدين الطوسي[2] وغيره. ولو اقتصروا على مصنفات القاضي أبي بكربن الباقلاني[3] والأستاذ أبي بكر إسحاق الإسفراييني، وإمام

---

(١) معيد النعم ٧٩.

(٢) هومحمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والرياضيات علت منزلته عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير به عليه، ولد بطوس قرب نيسابور وبنى في مراغة قبة ومرصداً عظيماً واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة اجتمع فيها نحو أربعمئة ألف مجلد وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشهم وكان هولاكو يمده بالأموال، وصنف كتباً كثيرة وله شعر كثير بالفارسية. توفي سنة ٦٧٢هـ ببغداد. الأعلام ٧/ ٣٠ عن فوات الوفيات ٢/ ١٤٩ والوافي ١/ ١٧٩، شذرات الذهب ٥/ ٣٣٩، مفتاح السعادة ١/ ٢٦١ وغيرها.

(٣) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، وكتابه المشهور اعجاز القرآن وغير ذلك. الأعلام ٦/ ١٧٦ عن وفيات الأعيان ١/ ٤٨١، تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩ وغيرها. ومن كتبه مناقب الأئمة، ودقائق الكلام، والملل والنحل، وهداية المرشدين، والاستبصار، وتمهيد الدلائل، والبيان عن الفرق، وكشف أسرار الباطنية، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة.

الحرمين أبي المعالي الجويني[١] ، وهذه الطبقة ، لما جرى إلاّ الخير . ورأيي فيمن أعرض عن الكتاب والسنة ، واشتغل بمقالات ابن سينا[٢] ، ومن نحا نحوه ، وترك قول المسلمين : قال أبو بكر ، وقال عمر رضي الله عنهما ، وقال أبو حنيفة ، وقال الشافعي ، وقال الأشعري[٣] ، وقال القاضي أبو بكر[٤] ، إلى قوله : قال الشيخ الرئيس - يعني ابن سينا - وقال خواجا نصير[٥] ، ونحو ذلك أن يضرب بالسياط ، ويطاف به في الأسواق ، ويُنادى عليه : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، واشتغل بأباطيل المبتدعين .

أوما يستحي من يتخذ من قول ابن سينا وتعظيمه شعاراً من الله تعالى إذا رأى قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوّي بنانه ﴾[٦] ويذكر إنكار ابن سينا لحشر الأجساد وجمع العظام . انتهى .

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد فمكة حيث جاور أربع سنين وذهب إلى المدينة فأفتى ودرّس جامعاً طرق المذاهب ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة في أصول الدين وأصول الفقه وغيرها توفي سنة ٤٧٨هـ الأعلام ٤/ ١٦٠ عن وفيات الأعيان ١/ ٢٨٧ ، مفتاح السعادة ١/ ٤٤٠ ، تبيين كذب المفتري ٢٧٨ وغيرها .
وقد أشار ابن طولون قبل قليل إلى كتابه المسمى بالعقيدة المرشدة .

(٢) مرت ترجمة ابن سينا في الصفحة ١٢٤

(٣) مرت ترجمة الأشعري في الصفحة ٣٠ .

(٤) أي الباقلاني المذكور آنفاً .

(٥) أي نصير الدين الطوسي المذكور آنفاً .

(٦) القيامة ، الآيتان ٣ ، ٤

[٥٤] - منصب اللغويين[1]

فمنهم طائفة استغرق حب اللغة قلبها، وملأ فكرها، فأدّاها إلى التقعر في الألفاظ، وملازمة حوشي[2] اللغة بحيث خاطبت من لايفهمه. ونحن لاننكر أن الفصاحة فن مطلوب، واستعمال غريب اللغة عزيز حسن ولكن مع أهله ومن يفهمه؛ كما حُكي أن أبا عمرو بن العلاء[3] قصده طالب ليقرأ عليه، فصادفه بكَلّاء[4] البصرة وهو مع العامة، يتكلم بكلامهم، لايفرق بينه وبينهم، فنقص من عينه. ثم لمّا نجز شغل أبي عمرو مما هو فيه، تبعه الرجل إلى أن دخل الجامع، فأخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان، فعَظُم في عينه، وعلم أنّه كلّم كل طائفة بما يناسبها من الألفاظ، فهذا هو الصواب؛ فإنّ كل أحد يُكلَّم على قدْر فهمه. ومن اجتنب اللحن وارتكب العالي من اللغة والغريب منها، وتحدث بذلك مع كل أحد عن قصد، فهو ناقص العقل.

وربما أتى بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفنّ بحيث اختلط بلحمهم ودمهم فسبق لسانهم إليه، وإن كانوا يخاطبون من لايفهمه؛ كما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمر المصري في كتابة، منها عن أم محمد عائشة بنة محمد المقدسية[5] أنا أحمد بن علي الجزري، عنْ محمد بن عبد الهادي[6]، عن الحافظ

---

(١) معيد النعم ٩٠

(٢) حوشي الكلام: وحشيّه وغريبه (مختار الصحاح).

(٣) أبو عمرو بن العلاء هو زبّان بن عمّار التميمي المازني البصري، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، أحد القراء السبعة ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة ١٥٤هـ، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية. الأعلام ٣/ ٤١ عن فوات الوفيات ١/ ١٦٤، نزهة الألباء ٣١، غاية النهاية ١/ ٢٨٨ وغيرها.

(٤) الكلأّء ككتّان: مرفأ السفن، وموضع بالبصرة، وساحل كل نهر. القاموس: كلأ.

(٥) عائشة بنة محمد بن عبد الهادي، أم محمد المقدسية الأصل الصالحية أسمعت على الحجّار أربعين الطائي وأربعين الحجار وغير ذلك وأسمعت صحيح مسلم على جماعة وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات وحصلت على إجازات عدد من العلماء. كانت سهلة الإسماع سهلة الجانب ماتت سنة ٨١٦هـ وسمع منها الرحالة فأكثروا. إنباء الرواة ٣/ ٢٥

(٦) مرت ترجمة محمد بن عبد الهادي في الصفحة ٥١.

أبي طاهر السلفي[١]، أنا المبارك بن عبد الجبّار[٢]، أنا عبد الكريم بن محمد المحاملي، أنا إسماعيل بن سعيد المعدّل، ثنا محمد بن أحمد بن قطر السمسار، قال: قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الوراق: ازدحموا على عيسى بن عمر[٣] النحوي، وقد سقط عن حماره وغُشي عليه، فلما أفاق، وأخذ في الاستواء للجلوس، قال: «مالكم تكأكأتم عليّ ولا تكأكئكم على ذي جنّة، افرنقعوا عنّي». (ومعنى تكأكأتم تجمعتم. وافرنقعوا: تنحوا بلغة أهل اليمن).

فهذا الرجل كان إماماً في اللغة، وكانت هذه الحالة منه لاتقتضي أنه يقصد هذه الألفاظ، بل هي دأبه، فسبق لسانه إليها.

وحكي أنّ علي بن الهيثم[٤] كان لمّا غلب عليه من ذلك، تأتيه العامّة أفواجاً لسماع كلامه، وأنّه مر به مرّة فارسي قد ركب حماراً، خلفه جحش، وبيده عذْقٌ قد ذهب بَسْرُهُ[٥] إلاّ قليلاً، يقود به بقرة يتبعها عجل لها، فناداه علي بن الهيثم: ياصاحب البَيْدانة القمراء، يتلوها تولب، بيده شملول يطبّي به خزُومةً يقفوها عجّوْل، أتقايض بعجولك جُخْجُحاً زَهماً؟ قال فالتفت إليه الفارسي، وقال: «يا بابا! فارسي هَمْ نَدانَم[٦]». (البيدانة: الأتان. والقمراء: البيضاء الوجه.

---

(١) مرت ترجمة السلفي في الصفحة ٥١.

(٢) المبارك بن عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسين البغدادي الصيرفي، ابن الطيوري محدث عالم مفيد مكثر أمين صدوق صحيح الأصول رصين ورع وقور حسن السمت كثير الخير. توفي سنة ٥٠٠هـ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٣.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان، من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل بن أحمد وسيبويه وابن العلاء، أول من هذب النحو ورتبه، وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه، وهو من أهل البصرة، ولم يكن ثقفياً، وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم. وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثراً من استعمال غريب اللغة، له نحو ٧٠ مصنفاً احترق أكثرها. توفي سنة ١٤٩هـ الأعلام ٥/ ١٠٦ عن طبقات النحويين للزبيدي ٣٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٣، إرشاد الأريب ٦/ ١٠٠، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥٦، نزهة الألبا ٢٥ وغيرها.

(٤) علي بن الهيثم اللغوي الكاتب الأنباري ويعرف بجونقا. كان فاضلاً أديباً، كثير الاستعمال لعويص اللغة، تولى الكتابة في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء العباسيين قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس كلهم على سجيتي، إلا عليّ بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. بغية الوعاة ٢/ ٢١٢ ط القاهرة ١٣٨٤. وله قصص عجيبة في الإغراب ذكرها في إرشاد الأريب ١٥/ ١٣٤.

(٥) العذْق: قنو النخلة. والبَسْرُ: التمر قبل إرطابه. القاموس عذق وبسر.

(٦) معنَاها بالفارسية: وحتى الفارسية فإنني لاأعرفها. أي فكيف تكلمني بالوعر من العربية؟ وأنا لاأكاد أعرف الفارسية.

والتَّولَب: ولد الحمار. والشُمْلول: العذْق. ويطبي: يدعو. والخَزُومة: البقرة الوحشية. والجُخْجُح: الكبش. والزَّهِمّ: السمين). فهذا علي بن الهيثم إن لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ولَم يكن بدرت هذه الألفاظ عن غير قصد فهو خسيف العقل[1].

ولا يُنكر أنهم يأتون بالألفاظ الغريبة لكثرة استعمالهم لها، وغلبتها على ألسنتهم، ظناً منهم أن كلّ أحد يعرفها، وإلاّ فكيف يذكرونها في وقت لا يظهر فيه لاستعمالها وغلبتها سبب غير ذلك كما أسلفنا!.

كما يحكى[2] أنّ أبا علقمة الواسطي عرض له مرض شديد، فأتاه أعْيَن الطبيب[3] فسأله عن سبب علّته، فقال: أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطسِئتُ طسأةً، فأصابني وجع بين الوابلة إلى داية العُنُق، فمازال يتمأى وينتمي، حتى خالط الخِلْب، وتألمت له الشراسيف. فقال له أعين الطبيب: خذ شرفقاً وشبرقاً، فزهزقه ودَقدقه.

فقال أبو علقمة: أعد عليّ، فإنّي مافهمت. قال الطبيب: قبّح الله أقلنا إفهاماً لصاحبه.

(الجوازل: فراخ الحمام، الواحد جَوْزل. والطسأة: الهيضة. والوابلة: طرف الكتف، وهو رأس العضد. وداية العنق: فقارها. ويتمأى: ينمدد. وينمي: يتزايد. والخِلْب بالكسر: حجاب القلب، ويقال: مضغة فوق الكبد. والشراسيف: غضاريف متصلة بالأضلاع).

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة ١٢٥.

(٢) معيد النعم ٩٢.

(٣) أعْيَن بن أعين، طبيب حسن المعالجة، كان متميزاً في الطب بمصر له مؤلفات الأعلام ١/ ٣٣٥ عن طبقات الأطباء ٢/ ٨٧.

وحكى ابن دريد[1] أن الأصمعي[2] ذكر أن رجلاً مشجوجاً جاء إلى صاحب الشرطة، فشكى أنّ امرأً شجّه، فأمر بإحضاره، فلما حضر سئل، فأنكر. فقال المشجوج: لي أعرابي بالسوق يشهد لي. فلما حضر الأعرابي سئل، فقال: بينا أنا على كودن يُضهززني، إذ مررت بوصيد دار، فإذا أنا بهذا الأُخَيْشب، يدُعُّ هذا دعّاً متراسفاً، فعلاه بمنْسأته، فقهقر، ثم بَدَره بمثلها فقطر، ثم أدبر، وبرأسه جديع يثج نجيعاً على كَتَده. فقال صاحب الشرطة: شُجني وأعفني من سماع شهادة هذا الأعرابي.

(الكَوْدن: البرْذَون[3]. يضهززني: يحركني. الوصيد: الباب. الدّع: الدفع. والأخيشب: تصغير الأخشب وهو الغليظ. المنْسأة: العصا. قهقر: رجع القهقرى. قَطَرَهُ: ألقاه على إحدى قُطْريه، وهما جانباه. السَّح: الصب. النجيع: الدم. الكتد: مابين الكاهل إلى الظهر، وهو بُعيد مفرز العنق).

وحكى أبو القاسم الراغب[4]، قال: ابتاع تلميذ ليعقوب بن إسحاق

---

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عُمان من قحطان، أبو بكر من أئمة اللغة والأدب وكانوا يقولون ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء وهو صاحب المقصورة الدريدية ولد في البصرة وانتقل إلى عُمان فأقام اثني عشر عاماً وعاد إلي البصرة ثم رحل إلى نواحي فارس فقلده آل ميكال ديوان فارس ومدحهم بقصيدته المقصورة ثم رجع إلى بغداد فاتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه كل شهر خمسين ديناراً فأقام بها إلى أن توفي سنة ٣٢١هـ وله آثار عديدة من أشهرها الجمهرة في اللغة ٣ مجلدات. الأعلام ٦/ ٨٠ عن إرشاد الأريب ٦/ ٤٨٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٩٧، طبقات الشافعية ٢/ ١٤٥، تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥ وغيرها.

(٢) عبد الملك بن قُريب الأصمعي، أبو سعيد، راوية العرب، أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبته إلى جده أصمع ولد بالبصرة وتوفي بها سنة ٢١٦هـ طوفّ كثيراً في البوادي وتلقى أخبارها وعلومها وأتحف بها الخلفاء فكافأوه بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر، وكان يحفظ ١٠ آلاف أرجوزة وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب. الأعلام ٤/ ١٦٢ عن جمهرة الأنساب ٢٣٤، ابن خلكان ١/ ٢٨٨، تاريخ بغداد١٠/ ٤١٠، نزهة الألبا ١٥٠، إنباه الرواة ٢/ ١٩٧ وغيرها.

(٣) البرذون: دابة من الخيول الجافية الغليظة الأعضاء العظيمة الخلقة، لها جلد على السير في الشعاب والوعر. تاج العروس: برذن.

(٤) أبو القاسم الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصفهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي من كتبه محاضرات الأدباء مجلدان ويسمى محاضرات الراغب، والأخلاق ويسمى أخلاق الراغب توفي سنة ٥٠٢ الأعلام ٢/ ٢٥٥ عن تاريخ حكماء الإسلام ١١٢ روضات الجنات ٢٤٩، سفينة البحار ١/ ٥٢٨، بغية الوعاة ٣٦٦ وغيرها.

الكندي[1] جارية فاعتاصت عليه، فشكا حالها إلى يعقوب فقال له: جئني بها. فلما حضرت عنده قال لها: ياهذه اللَّغُوبة[2]، ماهذه الاختبارات الدالات على الجهالات! أما علمت أن فرط الاعتباطات من الموبقات على طالبي المودّات مؤذنات بعدم المعقولات! فقالت الجارية حيّاها الله: أما علمت أن هذه العشوبات المتشرات على صدر ذوي الرقاعات محتاجات إلى المواسي الحالقات. فقال يعقوب: لله درها! لقد قسّمت الكلام تقسيماً.

والحكايات في هذا الباب كثيرة، وتقتضي الخروج من الجدّ إلى ضرب من الهزل. والحاصل أن ماكان الحامل عليه غلبة هذه الصناعة مذموم من جهة أنّ ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوّم قلبه ودينه قبل أن يقوّم ألفاظه. فاللحن في اللفظ، ولا اللحن في الدين.

وقد غلب على كل ذي فن فنهم؛ بحيث إنّ بعض الأكابر كان آخر كلامه: هاتوا القَبَاء[3] الفلاني. وسأل بعضهم أبا طاهر الزيادي[4]، وهو في النَّزْع عن ضمان الدَرَك. وحكاية أبي زرعة فيمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة شهيرة، وهي أنه سئل وهو في النَّزْع عن هذا الحديث، فساقه بإسناده إلى أن وصل

(١) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، فيلسوف، أحد أبناء الملوك من كنده، نشأ بالبصرة وانتقل إلى بغداد فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك وألف وترجم وشرح كتباً عديدة يزيد عددها على ٣٠٠ مؤلف وشي به إلى الخليفة المتوكل فضرب وأخذت كتبه ثم ردت إليه وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة وإكراماً توفي نحو سنة ٢٦٠ هـ. الأعلام ٨/ ١٩٥ عن طبقات الأطباء١/ ٢٠٦، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٤١، طبقات الحكماء والأطباء لابن جلجل ٧٣، لسان الميزان ٦/ ٣٠٥ وغيرها.

(٢) اللّغوبة: الحمقاء. انظر لسان العرب: لغب.

(٣) القباء من الثياب: المشقوق الذي يُضم طرفاه. تاج العروس: قبا.

(٤) محمد بن محمد بن محمش، أبو طاهر الزيادي، إمام المحدثين والفقهاء بنيسابور في زمانه، كان شيخاً أديباً عارفاً بالعربية، والزيادي نسبة إلى زياد بعض أجداده، أو لأنه سكن ميدان زياد بنيسابور. وضمان الدَّرك رد الثمن للمشتري عند استحقاق المبيع بأن يقول تكفلت بما يدركك في هذا المبيع، أو هو الحق الواجب للمشتري والبائع عند إدراك المبيع، أو الثمن مستحقاً وهو الثمن أو المبيع. وقد قال الزيادي عندما سئل عن ذلك: إن قبض الثمن فيصح، وإلا فلا يصح. قال لأنه بعد قبض الثمن يكون ضمان ماوجب. طبقات الشافعية ٣/ ٨٢ وجامع العلوم ٢/ ٢٧٠، والقاموس الفقهي ٢٢٥. وتوفي الزيادي بعد سنة ٣٢٨هـ.

لا إله إلا الله، ومات قبل أن يقول: دخل الجنة؛ فلقد نفعه الله بعلم الحديث[1].

ومن أكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه، وكل إناء بالذي فيه ينضح[2].

ومنهم من شغل نفسه بالألفاظ وأعرض عن معانيها بحيث انتهى به الحال إلى ضرب غريب من الخطأ؛ قال أبو حيّان التوحيدي[3]: إياك أن تقيس اللغة، فلقد رأيت نبيهاً من الناس وقد سئل عن قوم، فقال: هم خروج. فقيل: ماتريد بهذا؟ قال: قد خرجوا. فكأنه أراد: خارجون. فقيل: هذا ماسُمع! فقال: كَمَا قال تعالى: ﴿إذ هم عليها قعود﴾[4] أي قاعدون. فضُحك به. وسئل أبو الفرج البغدادي: هل يقال لعارف اللغة لغوي، بفتح اللام أو ضمّها؟ فقال بفتحها، أما سمعتم قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ قال له موسى إنّك لَغَويٌّ﴾[5] فضحكوا منه. إلى غير ذلك.

---

(١) أبو زرعة الرازي هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد، إمام حافظ متقن ثقة مكثر، وهو محدّث الري ونسبته إليها، جالس أحمد بن حنبل، وكان يشبّه به. توفي نحو سنة ٢٦٤ . وقصته هذه مشهورة عنه. ذكرها الخطيب البغدادي ١٠/ ٣٣٥ . وهي في سير أعلام النبلاء١٣/ ٦٥ . وأخرج الحديث المذكور أبو داود برقم ٣١١٦ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في الجنائز باب التلقين، والحاكم في المستدرك ١/ ٣١٥ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأخرجه كذلك أحمد بن حنبل في مسنده ٥/ ٢٣٣ .

(٢) قال الميداني: «كل إناء يرشح بما فيه. ويروى ينضح بما فيه أي يتحلّب» مجمع الأمثال ٢/ ١٩٢ ط بيروت ١٤٠٨هـ.

(٣) علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان، فيلسوف، متصوف معتزلي ، ولد في شيراز أو نيسابور وأقام مدة ببغداد وانتقل إلى الري فصحب ابن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمد ولاءهما ووشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره سنة ٤٠٠هـ قال ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي والتوحيدي والمعري وشرهم التوحيدي لأنهما صرحا ولم يصرح. ولما انقلبت به الأيام رأى أن كتبه لم تنفعه وضن بها على من لايعرف قدرها فأحرقها ولم يسلم منها غير مانقل قبل الإحراق وهي مشهورة كالمقابسات والصداقة والصديق والإمتاع والمؤانسة. الأعلام ٤/ ٣٢٦ عن طبقات السبكي ٤/ ٢ ، بغية الوعاة ٣٤٨ ، إرشاد الأريب ٥/ ٣٨٠ ، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٥ وغيرها.

(٤) البروج ، الآية ٦ .

(٥) القصص، الآية ١٨، وتمامها: ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين ﴾.

[٥٥] - منصب النحاة[١]

فمنهم طائفة استولى حب النحو على قلبها، وملأ ذهنها، فأدّاها إلى التمشدق[٢] بالألفاظ، بحيث خاطبت به من لايعرفه، فعدّ ذلك من جهلها، كما حكي أن طبيباً دخل إلى نَحْوي مريض، فقال: ماكان أكلُك أمس؟ قال: أكلت لحم عُطْعُط، وساقة خرْنق، وجُؤْجُؤ حَيْقُطان اقتنصه بازيّ، فلما كان الدُّجى أصبتُ منه معْمَعَةً في الحَشا، وقَرْقَرَةً في المعيْ. فقال الطبيب للحاضرين: هذه خفةارتفعت إلى الدِّماغ، فأصلحوا الغذاء لهَ، قبل أن يُجَنّ. (العُطعُط: الجدي. الخِرْنق: ولد الأرنب. الجُؤجُؤ: الصدرَ. الحَيقُطان بالطاء المهملة: الدُرّاج الذكر).

وغالبهم[٣] شغل نفسه بالألفاظ، وأعرض عن معانيها، فقال بعضهم في قول الشاعر:

أقــول لــعــبــدَ الــلّهَ لّما سقــاؤنــا ... ونحنُ بوادي عبد شمس وهاشمِ[٤]

هذا لحنٌ؛ فأين فعلا لّما؟ وعلام نصب [لفظ الجلالة]، ولأي شيء فتح الدال من عبد ؟.

وجوابه: أنه لم يتأمل؟ أما عبد فترخيم عبدة وأمّا [لفظ الجلالة] فنصب على الإغراء. وأمّا فعلا لما؛ فسقاؤنا [فاعل] مرفوع بفعل محذوف فسرّه قوله: وَهَى، أي ضَعُف. والجواب محذوف تقديره: قلت؛ بدليل قوله: أقول. وقوله: شمِ، فعل أمر من قولك: شمتُ البرق إذا نظرتَ إليه. والمعنى: أقول لما سقط سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس، قلت لعبدة احذري الله شمي[٥] البرق.

---

(١) انظر معيد النعم ٩٤

(٢) لعله أراد التشدُّق: وهو من تشدّق إذا لوى شدْقه للتفصّح، انظر القاموس: شدق.

(٣) معيد النعم ٩٧

(٤) البيت من شواهد ابن هشام في مغني اللبيب ط٦ بيروت ١٩٨٥م، الشاهد رقم ٥١٢ . وقد أورده هناك بجر عبد الله في اللفظتين.

(٥) في الأصل شم بحذف ياء المخاطبة.

وفي قول الآخر:

عــافت الماء في الشــتــاء فــقلنا   بردّيه، تصــادفــيــه ســخــينا[1]

كيف تبرده فتصادفه سخينا؟! وهذه غفلة، والأصل: بل رِدِيْه، ثم كتب جملة واحدة لأجل الإلغاز.

وفي قول الآخر:

لما رأيت أبا يـزيد مــقـــاتلاً   أدعَ القــتـال وأشــهـدَ الهـيــجـاء[2]

أين جواب لما؟ وبم انتصب أدعَ؟ وهذه غفلة أيضاً؛ فالأصل: لن ما، ادغمت النون في الميم للتقارب، ووصلا في الخطّ للإلغاز، وحقهما أن يكتبا منفصلين. وأما انتصاب أدعَ فبلن. وما الظرفية وصلتها ظرف له، فاصلَ بينه وبين لن للضرورة. فيسأل حيئذ: كيف يجتمع قوله: لن أدع القتال، [مع قوله: لن أشهد الهيجاء؟ والهيجاء مشتجر الحرب؟ والجواب أنّ أشهد ليس معطوفاً على أدع، بل نصبه بأن مضمرة، وأن والفعل عطف على القتال][3]؛ أي لن أدع القتال وشهود الهيجاء؛ على حدّ قول الشاعر[4]:

للبسُ عــبــاءة وتقــرَّ عــيني   أحــبُّ إلــيّ مــن لــبــسِ الــشُّفُوف

وفي قول الآخر:

ويحَ من لامَ عــاشــقــاً في هواهُ!   إنّ لـومَّ المحب كــالإغـــراءُ[5]

كيف ارتفع (الإغراءُ) بعد كاف التشبيه؟ والجواب: أنّ الكاف ضمير المخاطب متصلة بالمحب، والألف واللام في (المحب) بمعنى الذي [أحبَّ]،

(١) هذا البيت من شواهد ابن هشام في مغني اللبيب برقم ٥١٥.

(٢) أورده ابن هشام في المغني برقم ٥١٤.

(٣) مابين معقوفتين مستدرك من معيد النعم.

(٤) أورده ابن هشام في المغني برقم ٤٧٩، ٦٧٠، ٨٦٤، ٩٤٨. وهو منسوب لميسون بنت بحدل الكلبية تزوجها معاوية فولدت له يزيد وقد سمعها كما قيل تنشد أبياتاً منها هذا البيت تحنّ فيها إلى حياة البادية فطلقها. والشفوف: الثياب الرقيقة. وتقر: منصوب بأن مضمرة والمصدر المؤول منهما معطوف على لبس وهو من شواهد ابن عقيل ٢/ ١٢٧، خزانة الأدب ٣/ ٥٩٢، ٦٢١.

(٥) أورد البيت الحسن بن أسد الفارقي (ت٤٨٧) في كتابه الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ص ٧١. وقال: كما تقول: هذا الضارب زيداً والشاتم عمراً بمعنى الذي ضرب زيداً.

و(الإغراء) خبر إنّ، والمعنى: إنّ لوم الذي حبك إغراء. وحق الكاف أن توصل في الخط بالمحب، ولكن فصلت للُغز.

وفي قول الآخر:

ياصاحب ملكَ [الفؤادَ][1] عشيةً زار الحبيبُ بها خليل نائي
لمّا بدا لم أدرِ بدرَ دُجنّة أو وجه من أهواهُ طرفي رائي

كيف جر صاحب، وهو منادى مفرد؟ وجوابه: أنه ياصاح مرخم؛ وبن فعل أمر من بان يبين، إذا فارق. وكتبتْ هكذا على نحو صاحب، [لأجل] الإلغاز. ويقال: علام نصبت بدر في قوله: بدر دجنّة، وماقبل الاستفهام لايعمل فيه؟ وجوابه أنه منصوب براءٍ. والمعنى: لم أدر، طرفي رأى بدر دجنة أم وجه من أهواه.

وفي قول الآخر:

لا تقنطنّ وكن في الله محتسباً فبينما أنت ذا [يأس] أتى الفرجا[2]

كيف نصب الفرج، وهو فاعل أتى؟ والجواب: أنه مفعول، والعامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب، والتقدير: وكن في الله محتسباً الفرج، فبينما أنت ذا يأس أتى. وفي قول الآخر:

فرعونَ مالي، وهامانُ الألى زعموا أنيّ بخلت بما يُعطيه قارونا[3]

كيف نصب فرعون وقارون؟. وجوابه: أنّ فرَ فعل أمر من وفر له العطية، ومنه قوله[4] «عطاء موفورا». وعونة: امرأة رخمّها، فقال عون. والمعنى: أعطي عونة مالي. وأما وها فدعاء من وهى يهي إذا ضعف. ومان: جمع مانة: البطن، وهي أسفل السرة. يقول: ضعف مان الذين زعموا أني بخلت. وقارون مفعول

---

(1) في الأصل القوي والصواب ما أوردناه.

(2) الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ١٣٦، ومابين معقوفتين في الأصل عشر.

(3) الإفصاح ٣٦٢. ومعيد النعم ١٠٠

(4) في الأصل «قوله تعالى»، متوهماً أنّ المثال آية كريمة، وليس في القرآن الكريم عطاء موفوراً بل قوله تعالى: ﴿فمن تبعك منهم فإن جزاءكم جزاء موفوراً﴾ الآية ١٧ من سورة الإسراء.

ثان ليعطيه، و[المفعول] الأول الهاء العائدة إلى ما الموصولة، وفاعل يعطيه مضمر للعلم به. كأنه [قال][1]: يعطيه الله قارون.

وفي قول العباس بن مرداس[2]:

ومن قبلُ آمنّا - وقد كانَ قومُنَا   يُصَلُّونَ للأوثان قبلُ - محمدا

[قال مرة طالب نحوي][1]: كيف نصب محمداً وهو مضاف إليه؟ [فقيل له قبل][1] الجواب: هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو لربه تعالى؟ فقال: بل لربه تعالى. فقيل له: ففكّر؛ فإن أحداً لم يصل قط للنبي صلى الله عليه وسلم، لا قبل الأوثان ولا بعدها. والجواب أنّ آمنّا في البيت معناه صدقنا. ومحمداً: مفعول آمنا. أي: ومن قبلُ صدقنا محمداً، وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبلَ. وقبلَ مقطوعة عن الإضافة[3]، بنيت على الفتح. واللغة الغالبة بناؤها على الضمّ. وقيل أراد النكرة، أي قبلاً، ثم حذف التنوين اضطراراً.

وهذا بحر لا ساحل له.

وبعضهم راعى المعاني، فأُتي من قبَل الألفاظ؛ ألا ترى إلى قول بعضهم في [قوله تعالى]: ﴿ وثمود فما أبقى ﴾[4]: إنّ ثمود مفعول مقدم، وهو خطأ؛ فإن لمَا النافية الصدرَ، فلا يعمل مابعدها فيما قبلها.

والأمثلة في هذا كثيرة.

---

(١) مابين معقوفتين مستدرك من معيد النعم.

(٢) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر، شاعر فارس من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبيل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ويدعى فارس العُبيد وهو فرسه وكان بدوياً قحاً وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية ومات في خلافة عمر نحو سنة ١٨هـ وهذا البيت أورده الفارقي في الإفصاح ١٦٢، ومعيد النعم ٩٩. انظر الأعلام ٣/ ٢٦٧ وخزانة الأدب ١/ ٧٣

(٣) حكى ثعلب عن الفراء أن العرب قد بنت (قبلَ) على الفتح وكذلك (بعد) و(حيث) الإفصاح ١٦٢. وانظر توضيح البيت هناك.

(٤) النجم، الآية ٥١.

[٥٦] - منصب الأدباء [1]

فمنهم من تعمق في الأدب، وصار أكثر كلامه مسجوعاً، حتى انتهى به الحال إلى أن وقع في الكنيف، فجاؤوه بكنّاقَيْن[2]، فكلمه أحدهما لينظر أهو حي؟ فقال: اطلبا لي حبلاً دقيقاً، وشدّاني شداً وثيقاً، واجذباني جذباً رفيقاً. فقال أحدهما: أنا والله لا أنقذه، فإنّه في الخرا إلى الحلق، ولايدع الفضول. حكاه صاحب البصائر[3].

[٥٧] - منصب العروضيين[4]

فمنهم من غلب عليه معرفة الوزن، حتى حكي أنّ امرأة جاءت إلى عروضي بقال، فقالت: أريد بذي القطعة زيتاً، وبذي البيضة حنا، فشغل كلامها عن مبايعتها، وأخذ يقطعه ويقول:

وبذي القطعة زيتاً   فاعلاتن فاعلاتن

فقالت المرأة: أمك الفاعلة، وشتمته، وانصرفت.

---

(١) معيد النعم ١٠١

(٢) الكنيف: الساتر، وقيل للمرحاض كنيف لأنّه يستر قاضي الحاجة. (المصباح المنير) أراد هنا حفرة المجاري. والكنّاف من يعمل بتنظيفها.

(٣) بصائر القدماء وبشائر الحكماء المعروف بالبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ومرت ترجمته في ص ١٣٦.

(٤) معيد النعم ١٠١

[٥٨] - منصب الإفتاء[١]

وقد خصّص كتّابٌ أدب الفتيا بالتصنيف. وذكر الفقهاء مالا طائل في إعادته، لكننا ننبه على ماكثر في بعض المفتين، فنقول: منهم من يسهّل أمر الشرع، ويتناهى إلى أن يفتي ببعض مالا يعتقده من المذاهب، ويرخص لبعض الأمراء [مالم يرخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء][٢]؛ فيقول مثلاً لمن سأله عن انتقاص الوضوء من مسّ الذكر لاينقض عند أبي حنيفة، وعن لعب الشطرنج، [وأكل لحوم الخيل] حلال عند الشافعي، وعن مجاوزة الحدّ في التعزيرات جائز عند مالك، وعن بيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته، ولم يكن له مايعمر به حلال عند أحمد بن حنبل. وهذا فليت شعري، بأي مذهب أفتى هذا المفتي؟! وعلى أي طريقة جرى؟! وبأي إمام تعلق؟! فلقد ركّب لنفسه من مجموع هذه الأمور مذهباً لم يقله أحد.

فإن قلت: أليس قد ذهب بعضهم إلى جواز تتبع الرخص؟ فالجواب: ذلك على ضعفه لايوجب إغراء السفلة بدين الله تعالى، وتخصيص الأمراء دون غيرهم. وقائل هذه المقالة يخصص بها من شاء، ولا يعتقدها أيضاً؛ فإنه لو اعتقدها لم يخصص بها، وهذا من علامة الاستهانة بدين الله تعالى. نعوذ بالله من الخذلان. وماهذا المفتي إلاّ ضال، خارق لحجاب الهيبة، مسقط لأبهة الشرع، مفسد لنظام الدين. أنشدت لبعض سفهاء الشعراء، ويقال إنه أبو العلاء المعري:

الشافعيُّ من الأئمةِ قائلٌ ... اللّعْبُ بالشَّطْرنجِ غيرُ حرامِ
وأبو حنيفةَ قالَ وهو مصدّقٌ ... في كلِّ مايروي من الأحكامِ

---

(١) معيد النعم، المرجع السابق ، ومابين معقوفتين في النص مستدركه منه.
(٢) في الأصل: ما رخص فيه بعض العلماء لعموم الخلق. والتصحيح من معيد النعم.

شُرْبُ المـثـلَّث والمـربَّعِ[1] جائزٌ ... فـاشـربْ على أمنٍ منَ الآثام

وأباحَ مـالكُ الفقـاحَ[2] تكرُّمـاً ... في ظهـرِ جـاريةٍ وظهـرِ غُلام

والحَبْرُ أحـمـدَ حلَّ جَلْد[3] عُميرة ... وبذاك يُسـتـغنى عن الأرحـامِ

فاشربْ ولُط وازنِ وقامرْ واحتججْ ... في كلِّ مـسـألة بقـول إمـامِ

فقلت: رأيي في مثل هذا الشاعر أن يضرب بالسياط، ويطاف به في الأسواق، فقبحه الله وأخزاه، لقد اجترأ على أئمة المسلمين، وهداة المؤمنين. وقد افترى على مالك فيما عزاه إليه، وعلى الكل في تسمية الشطرنج قماراً. وإطلاق الشرب واللواط والزنا على ماسمّاه. ومن هذه حاله يؤول - والعياذ بالله تعالى - إلى الزندقة. ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس[4]:

أباح العـراقي النبـيـذ وشُرْبه ... وقـال: حـرامـان المُدامـةُ والسُكْرُ

وقـال الحـجـازي الشـرابان واحـدٌ ... فـحلّت لنا من بين قـوليـهـمـا الخمـرُ

سـآخـذ من قـوليـهـمـا طرفـيـهـمـا ... وأشـربهـا، لا فـارق الوازر الوزرُ

---

(١) المثلث العنبي: ماء العنب الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، ثم يوضع حتى يغلي ويشتد ويقذف بالزبد. وكذا إن صُبّ فيه الماء حتى يرق بعدما ذهب ثلثاه، ثم يطبخ أدنى طبخة، ثم يترك إلى أن يغلي ويشتد ويقذف بالزبد يسمى مثلثاً أيضاً إلا أنه مخالف لعامة الكتب فإنه يسمى بأسماء أخر كالجمهوري لاستعمال الجمهور والحميدي منسوب إلى حميد الذي صنعه وأبا يوسفي ويعقوبي وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله مالم يسكر خلافاً لمحمد ومالك والشافعي رحمهم الله. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٢١٢ . ولم نجد معنى المربع ولعله على شاكلته، وقد وردت كلمة المربع في الأصل: والمنصف.

(٢) الفقحة: الدبر، والجمع الفقاح، القاموس: فقح.

(٣) جَلْدُ عُميرة كناية عن الاستمناء باليد القاموس عمر.

(٤) لم نجد الأبيات في المطبوع من ديوان أبي نواس، وإنما هي في ديوان ابن الرومي ١/ ٧٨ ط القاهرة بتحقيق كامل كيلاني والرواية فيه:

أحلّ العـراقي النبـيـذ وشـربه ... وقـال الحـرامـان المدامـة والسكر

وقـال الحـجـازي الشـرابان واحـد ... فـحلت لنا بين اختـلافـهـمـا الخـمـر

وابن الرومي هو علي بن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جدّه من حوالي بني العباس ولد ونشأ ببغداد، ومات بها مسموماً سنة ٢٨٣. قال المرزباني: لاأعلم أنّه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وعاد إليه، فهجاه، فلذلك قلت فائدته من قول الشعر، وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته. الأعلام ٤/ ٢٩٧ عن وفيات الأعيان ١/ ٣٥٠ معاهد التنصيص ١/ ١٠٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢.

ومعنى هذا أنّ أبا حنيفة - وهو العراقي - أباح النبيذ إذا لم يسكر وحرّم المسكر مطلقاً، نبيذاً كان أم خمراً، والخمر مطلقاً مسكراً كان أم غير مسكر. وأن الشافعي - وهو الحجازي - قال: الشرابان واحد: النبيذ والخمر فيحرّم قليل كل منهما وكثيره. فركّب هو من بين قوليهما قولاً ثالثاً، لكنه رافع للمجمع عليه؛ وهو وفاق الشافعي على أن الشرابين واحد، لكن لا في الحرمة، بل في الحلّ، فهو مع أبي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر، ومع الشافعي في أن المسكر والخمر مثل النبيذ، ومخالف له في حرمة المثلث فيقول مثله، لكن في الحلّ. والشافعي يقول مثله، لكن في الحرمة.

فهذا أبو نواس لم يقصد - إن صح عنه ذلك - إلا نوعاً من المجون الذي لم يخل عنه الأدباء. ولكن المجون في هذا الباب قبيح جداً؛ لأنه تلاعب بدين الله تعالى.

ومنهم طائفة[1] تصلبت في أمور دينها؛ فجزاها الله خيراً، تنكر المنكر، وتشدّدُ فيه، وتأخذ بالأغلظ، وتتوقى مظان التهم، غير أنها تبالغ، فلا تذكر لضَعَفَة الإيمان من الأمراء والعوام إلا أغلظ المذاهب، فيؤدي ذلك إلى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم.

فمن حق هؤلاء الملاطفة وتسهيل مافي تسهيله فائدة لمثل هؤلاء إلى الخير، إذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقاً، كما أنّ من حقها التشديد فيما ترى أنّه في تسهيله مايؤدي إلى ارتكاب شيء من حرمات الله؛ فقد روي أن سائلاً جاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسأله: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا توبة له. وسأله آخر، فقال: له توبة. فسئل ابن عباس عن ذلك، فقال: أمّا الأول، فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته، وأما الثاني فجاء مسكيناً، قد قتل، فلم أقنطه.

قال التاج بن السبكي[2]: قلت: ومن ثم قال الصيمري[3]: إن سأل سائل،

(١) معيد النعم ١٠٣.

(٢) معيد النعم ١٠٤.

(٣) عبد الواحد بن الحسين، أبو القاسم الصيمري الشافعي ت ٣٨٦، والاسم مطموس في الأصل. واستدرك من معيد النعم.

فقال: إن قتلت عبدي، فهل عليّ قصاص؟ فواسع أن يقول: إن قتلته قتلناك؛ فعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل عبده قتلناه»[1]. ولأنّ القتل له معان. وهذا كله إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة.

ومنهم من يتسرّع إلى الفتيا، معتمداً على ظواهر الألفاظ، غير متأوّل فيها، فيوقع الخلق في جهل عظيم، ويقع هو في إثم كبير، وربما أدّاه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق. وأنا أذكر أمثلة مما تصلح للألغاز، منبهاً على أجوبتها.

فمنها[2] ماحكي أنّ شخصاً أحب الاجتماع بالمأمون أمير المؤمنين، فأعياه السعي في ذلك، ولم يصل إليه، فقام في ملأ من الناس، وقال: أيها الناس، اثبتوا عليّ، فلست بسائل. اعلموا أن عندي ماليس عند الله، ولي ماليس لله، ومعي مالم يخلق الله، وإني أحبّ الفتنة، وأكره الحق، وأقول: إن اليهود قالت حقاً، وإنّ النصارى قالت حقاً، ومعي زرع ينبُت بغير بَذْر، وسراج يضيء بغير نار، وأنا أحمد النبي، وأنا ربكم أرفعكم وأضعكم. فقاموا إليه، وكادوا يأتون على نفسه، وقالوا: لا كفر فوق هذا الكفر، وصاروا به إلى المأمون. فلما مَثَل بين يديه قال له: مالذي قلت؟ فقال: لي حاجة إلى أمير المؤمنين، ولم أصل إليه، وعرفت أنّي إن أقل مثْلَ هذا أمثُلْ بين يديه، وأعاد القول، ثم أخذ يتأوّل؛ فقال: أمّا قولي: عندي مالَيس لله، فإنّ لي صاحبة وولداً، وليس لله سبحانه وتعالى صاحبة ولا ولد. وأمّا [قولي]: عندي ماليس عند الله، فعندي الظلم والجَوْر. [وقولي]: ومعي مالم يخلق الله: القرآن[3]. والفتنة: المال والولد. والحق: الموت. والزرع بغير بذر: شعر الرأس. والسراج المضيء بلا نار: العينان. والحق الذي قالته اليهود والنصارى ماأشار إليه تعالى بقوله: ﴿ وقالت اليهود ليست

---

(١) وتتمة الحديث: ومن جدع عبده جدعناه. أخرجه الترمذي برقم ١٤١٤ في الديات، والنسائي ٨/ ٢١ في القسامة، باب القود من السيد للمولى، وزاد في رواية: ومن خصى عبده خصيناه وأبو داود برقم ٤٥١٥، ٤٥١٦، ٤٥١٧، ٤٥١٨ في الديات، باب من قتل عبده أو مثل به، ونص الحديث مطموس في الأصل.

(٢) معيد النعم ١٠٤

(٣) مما يجعل هذه القصة مختلقة قوله عن القرآن غير مخلوق في حضرة المأمون الذي أظهر القول بخلق القرآن على المعروف. وإذا كانت صحيحة فربما تكون في بدايات حكمه لأنّ المأمون امتحن الناس بمذهبه هذا في أخريات أيامه.

النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾[1]. وأما قولي: وأنا أحمد النبي، فـ[لفظ] النبي منصوب على المفعولية، فأنا أحمدُ نبينا صلى الله عليه وسلم وأشكره. وأنا ربكم: صاحبُ كُمٍّ، أرفع ذلك الكُمَّ وأضعه. فاستحسن المأمون ذلك منه، وأصغى إلى كلامه، وقضى حاجته.

قال التاج بن السبكي[2]: قلت: وهذا الإطلاق الذي أطلقه هذا الملغز مستهجن مستقبح، ولايجوز عندي ذكره مطلقاً، لما فيه من إيهام الكفر. ولكن بتقدير إطلاقه لاينبغي الإقدام على التكفير من غير تأمّل وفحص.

[٥٩] - منصب المدرس[3]

وحقٌّ عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين. ثم إن كانوا مبتدئين، فلا يلقي عليهم مالا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق.

وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل معهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر.

ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب، ويجلس يلقيها، ثم ينهض. فهذا إن كان لايقدر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس، ولايَحلُّ له تناول معلومه، وقد عطّل الجهة؛ لأنه لا معلوم لها.

وينبغي ألا يستحق الفقهاء المنزلون معلوماً؛ لأنّ مدرستهم شاغرة عن مدرّس. وإن كان يقدر على أكثر منه، ولكنّه يسّهل ويتأوّل، فهو أيضاً قبيح؛ فإنّ هذا يطرّق العوام إلى رَوْم هذه المناصب؛ فقل أن يوجد عامّي لايقدر على حفظ

(١) البقرة، الآية ١١٣، وتمامها: ﴿ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾.

(٢) معيد النعم ١٠٥

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

سطرين. ولو أنّ أهل العلم صانوه، وأعطى المدرس منهم التدريس حقّه، فجلس، وألقى جملة صالحة من العلم، وتكلّم عليها كلام محقق عارف، وسأل وسئل، واعترض وأجاب، وأطال وأطاب، بحيث إذا حضره أحد العوام أو المبتدئين أو المتوسطين، فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به، وعرف أن العادة أنّه لايكون مدرّس إلاّ هكذا والشرع كذلك، لم تطمح نفسه في هذه المرتبة، ولم تطمع العوام بأخذ وظائف العلماء.

فإذا رأينا العلماء يتوسعون في الدروس، ويعطونها حقها، ويبطلون كثيراً من أيام العمالة، وإذا حضروا اقتصروا على مسألة أو مسألتين من غير تحقيق [ولاتفهيم، ثم][1] رأيناهم يقلقون من تسلط من لايصلح على التدريس[2]، ويعيبون الزمان وأولياء الأمور، فالرأي أن يقال لهم: إنتم السبب فيما أصابكم، فالجناية منكم عليكم.

ومن المهمات مدارس وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة، والمدرس من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة، فيلقي المدرس في هذه المدرسة تفسيراً أو حديثاً أو نحواً أو أصولاً أو غير ذلك، إمّا لقصوره عن الفقه، أو لغرض آخر. وعندي أنّ الذمة لاتبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء إلا بإلقاء الفقه. فإن كان هذا المدرّس لايلقي الفقه رأساً فهو آكل حرام.

وكذلك نقول في مدرسة التفسير إذا ألقى مدرسها غير تفسير، ومدرسة النحو إذا ألقى مدرّسها غير نحو. والأحوط في هذا كلّه الإلقاء من الفنّ الذي بنيت له المدرسة؛ فإنّ الواقف لو أراد غيره لسمّى ذلك الفن. وإن كان يلقي الفقهَ في مدرسة الفقهاء غالباً مثلاً، ولكنه يُنَوِّع في بعض الأيّام: فيذكر تفسيراً أو حديثاً أو غيره من العلومَ الشرعية بقصد التنويع على الطلبة وبعث عزائمهم فلابأس؛ غير أنّ الأحوط خلافه.

---

(١) مابين معقوفتين مطموس في الأصل والاستدراك من معيد النعم.

(٢) شبه الجملة متعلقة بتسلط.

وهذا كله بشرط أن يكون المسمّى بالمدرسة أهل نوع خاص، كما مثّلناه في مدرسة وقفت على مدرّس شافعي أو حنفي مثلاً، وفقهاء ومتفقهة من أهل ذلك المذهب، وألاّ يكون شُرِط في المدرّس معرفة غير ذلك الفنّ. فإن شُرِط فيه فنون كما في مدارس كثيرة في بلاد الشام وغيرها، يقفها الواقف على طائفة مذهب معيّن، ويشترط في المدرّس أن يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا كالتفسير والحديث، وغيرهما، وماهذا شأنه، رأيي فيه أن ينوع الدرس، فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها؛ فإنه لولا إرادة ذكرها، لما اشترطت فيه، وكان يمكن أن يقال: إنما اشترطت فيه ليكون أكمل في استعداده للأجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه، ولكن الأحوط ماذكرناه.

[٦٠] - منصب المعيد[١]

عليه قدْر زائد على سماع الدرس، من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم، وعمل مايقتضيه لفظ الإعادة، وإلاّ فهو والفقيه سواء؛ فما يكون قد شكر نعمة الله على وظيفة الإعادة.

[٦١] - منصب المفيد[٢]

عليه أن يعتمد مايحصل به في الدرس فائدة؛ من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك، وإلاّ ضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها، وكان أخذه العوض في مقابلتها حراماً.

---

(١) معيد النعم ١٠٨

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

[٦٢] - منصب المنتهي من الفقهاء

عليه من البحث والمناظرة فوق ماعلى دونه، فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهين لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله سبحانه حق شكرها.

[٦٣] - منصب فقهاء المدرسة

وعليهم التفهم على قدر إفهامهم، والمواظبة إلا بعذر شرعي.

ومن أقبح مايرتكبونه تحدّث بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة، فلا هم يقرأون القرآن، ولا هم يَسْلمون من اللغو في الكلام.

فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الواقف عليهم، وأن حديثهم في الغيْبة فقد جمعوا محرمات، ولابد فيهم من سامع.

ومنهم من لايصغي للمادح والداعي، وربما فتح كتاباً ينظر فيه، ولايلتفت لما يقوله المدرّس، بل يجلس بعيداً عنه، بحيث لايسمعه. وهذا لايستحق شيئاً من المعلوم، ولايفيده أن يطالع في كتاب وهو في الدرس. فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور.

[٦٤] - منصب قارئ العشر[1]

وينبغي أن يقدم قراءة العشر، فيكون قبل الدرس، وعقب فراغ الربعة إذا كان الدرس فيه ربعة تدور، كما هو الغالب، وأن يقرأ آية مناسبة للحال.

---

(١) معيد النعم ١٠٩

[٦٥] - منصب المنشد[1]

وينبغي أن يذكر من الأشعار ماهو واضح اللفظ، صحيح المعنى، مشتملاً على ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته وخشية مقته وغضبه، وذكر الموت ومابعده، وكل ذكل حسن، [وأهمّه] مدائح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها [هي] التي تفهمُ من إطلاق لفظ المنشد. وإن اقتصر المنشد على ذكر أبيات غزلية أو حماسيّة فقد أساء الأدب، لاسيّما إذا كان في مجامع العلم.

[٦٦] - منصب كاتب الغَيْبة[2]

وعليه اعتماد الحق، وألا يكتب على كل من لم يحضر، ولكن يستفصح عن سبب تخلفه، فإن كان له عذر بيّنه، وإن هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقه. وإن سامح لمجرد حطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم.

[٦٧] - منصب القراء الذين يقرؤون[3] القرآن بالألحان

وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أُنزل، من غير مطمطة ولا عجرفة[4]، بل بلفظ ليّن.

---

(١) معيد النعم، المرجع السابق.

(٢) معيد النعم ١١٠ ، يسجل كاتب الغيبة أسماء الغياب في مجالس العلم. وإذا قرئ الكتاب على شيخ وتغيّب أحد المستمعين، فيكتب: «. . . فاته من باب كذا إلى باب كذا» أو يكتب جانب اسمه: «مع فوت». معجم الألفاظ التاريخية ص ١١٦.

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

(٤) العجرفة: جفوة في الكلام، وخُرْق في العمل (مختار الصحاح).

وقد اشتملت كتب القراء وأهل التجويد على الغَرَض من ذلك. ولو وقف على من يقرئ، وجرت العادة في تلك البلد بترك الإقراء يوم الجمعة مثلاً، قال ابن الصلاح: لايعتبر بالعادة، وعليه الجلوس يوم الجمعة. وقال التاج بن السبكي: وهذا إن احتمل جريان العادة على زمان الواقف فواضح. وأما إن تحقق وجودها وقت تلفُّظ الواقف ففيه نظر واحتمال.

ومما ننكره عليهم وعلى المنشدين أيضاً أنهم يأتون إلى دور الأمراء وقت حكمهم، فيجلسون في أخريات الناس، وهم لا يؤبه إليهم. ويقرأ أحدهم عُشراً، أو ينشد مدحاً في النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي أمير، أو ديوان، أو أبكم لايفهم مايقال، وهو مع ذلك مشغول بحكمه وماهو فيه. وكان المتعيّن على من منحه الله تعالى القرآن المجيد أو مدح نبيّه صلى الله عليه وسلم أن ينزههما عن هذا المقام.

ومن شكر نعمة الله على ذوي الأصوات الحسنة ألا يستعملوا أصواتهم في الغناء المحرّم ومَجالس الخمور والمنكرات، وليجتنبوا مقت الربّ وغضبه.

[٦٨] - منصب خازن الكتب[١]

وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها إلى الحبك، والضنّة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدّم في العارية الفقراَء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء.

وكثيراً مايشترط الواقف آلاّ يخرج الكتاب إلاّ برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح معتبر؛ فليس للخازن أن يعير إلاّ برهن. صرّح به السبكي وغيره، وذكر أنه ليس هو الرهن الشرعي[٢].

(١) معيد النعم ١١١ .

(٢) المقصود تقي الدين السبكي، وقد ذكره في معيد النعم، المرجع السابق.

[٦٩] - منصب شيخ الرّواية[1]

وعليه أن يُسمع المحدثين، ويستمع لما يقرأونه عليه، لفظة لفظة، بحيث يصحّ سماعهم، وليصبر عليهم كأنهم وفد الله. ومتى وجد جزء حديث أو كتاب تفرّد شيخ بروايته كان فرض عين، عليه أن يسمعه.

[٧٠] - منصب ضابط الأسماء عند المسمعين[2]

وعليه ضبط أسماء السامعين والحاضرين، وتأمل من سمع ومن لم يسمع، حتى لايكون كاذباً على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: إنّ فلاناً سمع، أو لم يسمع.

فإن هو تساهل في ذلك فليتبّوأ مقعده من النار، وأن ينبّه على من نعس منهم، وأن ينبّه على الحاضرين في أي سنّ حضر.

[٧١] - منصب الخطيب[3]

وعليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أقلّ من تصحّ الجمعة بهم.

قال التاج بن السبكي: فلو خطب سراً بحيث لم يسمع غيره لم تصحّ على الصحيح. فامتنع سماعه للأصمّ فالأصح لاتصح أيضاً.

وأمّا الالتفات في الخطبة، والدقّ على درج المنبر في صعوده، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس، والمجازفة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم، والمبالغة في الإسراع في الخطبة الثانية، فكل ذلك مكروه.

---

(١) معيد النعم، المرجع السابق.

(٢) معيد النعم ١١٢ .

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

ولابأس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه، فإنّ صلاحه صلاح المسلمين.

ولايطيل الخطبة على الناس؛ فإنّ وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة، ولايأتي بألفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصّة، بل يذكر الواضح من الألفاظ، ولايتكلف بالسجع، إلى غير ذلك.

[٧٢] - منصب الوعّاظ[١]

فعلى الواعظ نحو ما على الخطيب، فليذكّر بأيام الله، وليُخف القوم في الله، وينبئهم بأخبار السلف الصالحين، وماكانوا عليه. وأهمّ ماينبغَي له وللخطيب أن يتلو هو نفسه: ﴿ أتأمرون الناس بالبّر وتنسون أنفسكم ﴾[٢]. ويتذكر قول الشاعر:

لاتنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيم[٣]

واعلم أنّ الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب؛ فكل خطيب وواعظ لايكون عليه سيماء الصلاح قلّ أن ينفع الله به. وما أحسن قول الشاعر:

مواعظُ الواعظ لن تُقْبَلا ... حتى يَعِيَها قلبُهُ أوّلا

ياقوم مَنْ أظلمُ من واعظ ... خالفَ ماقَدْ قالَهُ في الملا

أظهرَ بينَ الناسِ إحسانَهُ ... وبارزَ الرحمنَ لَمّا خَلا

وعن أبي عمرو بن مطر[٤] قال: حضرت مجلس أبي عثمان

---

(١) معيد النعم ١١٣

(٢) البقرة، الآية ٤٤، وتمامها: ﴿ وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون ﴾.

(٣) مر هذا البيت ضمن أبيات في الصفحة ١٠٦ وذكرنا تخريجه هناك.

(٤) محمد بن جعفر بن محمد بن مطر، أبو عمرو بن مطر النيسابوري المزكي، حافظ شيخ العدالة، زاهد رحالة سمع الكثير، ضابط متقن ورع صبر على الفقر، كان يتجمل بثياب للجمعات ويلبس في بيته فروة ضعيفة، ويأكل رغيفاً وبصلة أو جزرة، يحيى الليل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. قال الذهبي: لم أر في مشايخنا له في الاجتهاد نظيراً. توفي سنة ٣٦٠هـ بعد أن عمّر خمساً وتسعين سنة. سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٦٢، المنتظم =

الحيري[1] الزاهد، فسكت حتى طال سكوته، ثم أنشد:

وغيرُ تقيٍّ يأمُرُ الناسَ بالتُّقى ... طبيبٌ يداوي الناسَ وهو مريضُ

فبكى الناس كثيراً.

وعن أبي العباس بن عطاء، أنّه كان يقول: الموعظة للعوام، والتذكرة للخواص، والنصيحة للإخوان، فرض افترضه الله على عقلاء المؤمنين، ولولا ذلك لبطلت السنّة وتعطلت الشريعة.

[٧٣] - منصب القاصّ[2]

وهو من يجلس أو يقف في الطرقات يذكّر شيئاً من الآيات والأحاديث وأخبار السّلف.

وينبغي له ألاّ يذكّر إلاّ ماتفهمه العامّة، ويشتركون فيه؛ من الترغيب والترهيب في الصلاة والصوم وإخراج الزكاة والصدقة، ونحو ذلك. ولايذكر عليهم شيئاً من أصول الدين وفنون العقائد وأحاديث الصفات؛ فإنّ ذلك يجرّهم إلى مالاينبغي.

[٧٤] - منصب قارئ الكراسي[3]

وهو من يجلس على كرسّي، يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق والحديث والتفسير، فيشترك هو والقاصّ في ذلك. ويفترقان في أنّ القاصّ يقرأ من صدره وحفظه، ويقف، وربما جلس، ولكنّ وقوفه وجلوسه في الطرقات. أما قارئ

= ٧/ ٥٦ الرسالة المستطرفة ١٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٢، شذرات الذهب ٣/ ٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٧١.

(١) سعيد بن إسماعيل بن سعيد، أبو عثمان الحيري الزاهد أصله من الري، ورحل إلى نيسابور، إلى أبي حفص وصحبه وأخذ عنه طريقته، وهو في وقته أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقه في التصوف بنيسابور وقد توفي فيها سنة ٢٩٨هـ. طبقات الصوفية للسلمي ط٣ القاهرة ١٤٠٦ ص ١٧٠.

(٢) معيد النعم ١١٣

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

الكراسي فيجلس على كرسي في جامع أو مسجد أو مدرسة أو خانقاه. ولايقرأ إلاّ من كتاب.

وينبغي له أيضاً مثل ماينبغي للقاصّ، من قراءة ماتفهمه العامة، ولا يخشى عليها منه. ولابأس بقراءة (إحياء علوم الدين) للغزالي[1]، وكتاب (سلاح المؤمن في الأدعية) لابن الإمام، ونحوهما. وكتب ابن الجوزي[2] في الوعظ لابأس بها.

ولايخفى مايحذر منه هؤلاء من كتب أصول الديانات ونحوها.

[٧٥] - منصب الإمام[3]

ومن حقه النصح للمؤتمين بأن يخلص في صلاته، ويجأر في دعائه، ويضرع في ابتهاله، ويحسن طهارته وقراءته، ويحضر إلى المسجد أول الوقت، فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة، وإلا أنتظر الجمع، مالم يُفحش الانتظار.

وبالجملة؛ ينبغي أن يأتي بصلاته على أكمل مايطيقه من الأحوال، قال التاج بن السبكي: ومما تعمّ به البلوى إمام مسجد يستنيب في الإمامة بلا عذر. وقد أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام[4] بأنه لايستحق معلوماً[5]؛ لأنه لم يباشر، ولا يستحق نائبه، لأنه غير متوَلٍ. ووافقه النووي[6]، لكن توقف فيه الوالد [تقيّ الدين السبكي][7].

---

(١) سبقت ترجمة الغزالي في الصفحة ٢٠.

(٢) مرت ترجمة ابن الجوزي في الصفحة ١٠٢ ومن كتبه في الوعظ المدهش، صولة العقل على الهوى، تلبيس إبليس، الياقوتة، المنهل العذب، أو الموارد العذاب، بحر الدموع، الحدائق لأهل الحقائق ٣ مجلدات. انظر الأعلام ٣/ ٣١٧.

(٣) معيد النعم ١١٤.

(٤) سبقت ترجمة العزّ في الصفحة ٧٦.

(٥) أي الأجر الراتب من الوقف.

(٦) تقدمت ترجمة النووي في الصفحة ٢٤.

(٧) انظر ترجمة تقي الدين السبكي في المقدمة.

أما جمع المرء بين إمامة مسجدين، فالذي أراه أنه لايجوز؛ لأنّه مطالب في كل واحد منهما بأن يصلي أولَ الوقت، وتقديمُه أحد المسجدين على الآخر تحكمٌ، ولاضرورة إلى ذلك؛ وذلك كتوليّه مدرستين بشرط حضور كل منهما في وقت معيّن، يلزم من حضوره في هذه إهمال تلك، فلا يجوز أيضاً.

[٧٦] - منصب المؤذّن[١]

وعليه معرفة الوقت، وإبلاغ الصوت، وأن يكون أميناً غير فاسق، على طهارة. ولهذا كره أذان الجنب.

ولا يؤذّن حتى يدخل الوقت عند أئمتنا الحنفية، وعند الشافعية يؤذّن للصبح من نصف الليل، وعند دخول الوقت؛ ولذلك يُسَنُّ عندهم أن يكون للصبح مؤذنان.

[٧٧] - منصب الموَقِّت[٢]

ولابد من معرفة علم الميقات، وليحقِّق فنَّ الهيئة وجهةَ القبلة على الخصوص.

وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهّان، نعوذ بالله منهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من أتى عرّافاً، فسأله عن شيء، فصدّقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ». أخرجه مسلم[٣]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد مازاد » رواه أبو داود بإسناد صحيح[٤]. فقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أنّ النجوم فنٌّ من

(١) انظر معيد النعم ١١٥ .

(٢) معيد النعم ١١٥ .

(٣) برقم ٢٢٣٠ في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٤) برقم ٣٩٠٥ في الطب، باب في النجوم، ورواه أحمد في المسند ١/ ٢٣٧ ، ٣١١ وإسناده قوي.

السحر. ونحن نرى أن نتكلم عن حقيقة السحر والكَهَانة، والنجوم، والسيمياء مختصراً، فالكلُّ من واد واحد، ويطلق على جميعها اسم السحر؛ فنقول: حاصل معنى السحر في اللغة يرجع إلى معنى الإزالة وصون الشيء عن وجهه بطريق خفيّ، ويطلق في عرف المتكلمين على أمور:

أحدهما: السعي بين الناس بالنميمة.

وثانيها: تعلُّق القلب - كما يقول بعض المتنبِّلين - لمن في عقله خفة: إنه يعرف الإسم الأعظم، أو إنّ الجن تطيعه، فينفعل له ضعيف العقل، وربما أدّاه انفعاله إلى مرض، أو نحوه، أو مطاوعة ذلك المتنبِّل فيما يقصده.

وثالثها: الاستعانة بخواصّ الأدوية والمفردات، كاجتذاب المغناطيس للحديد، ونحو ذلك. فيعتقد الرائي أنّ ذلك بفعل الساحر. وقد حُكي أن كنيسة ببلاد الروم عمل في جدرانها الأربعة وسقفها وأرضها ستة حجارة من المغناطيس متساوية في القدْر، وجُعل في هوائها صليب من حديد بمقدار مايتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة، بحيث إنه لايغلب حجر منها بقيتها في الجذب، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً، فافتتن به قوم من النصارى.

ورابعها: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسيّة تارة، وعلى ضرورة الخلاء أخرى كدوران الساعات، وجرّ الأثقال، ولها أسباب يقينيّة من اطلع عليها قدر على عمل مثلها.

وخامسها: التخييلات، والأخذ بالعيون، وهي الشعبذة المخيِّلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ماهو عليه.

وسادسها: الاستعانة بالجنّ على مايريده بالرُّقى والعزائم والتسخيرات.

وسابعها: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية التي إذا تجردت وتوجهت نحو شيء أثّرت فيه. وأقرب شاهد على ذلك أنّ في الشريعة المطهرة الإصابة

بالعين. وقد أثبته النبي صلى الله عليه وسلّم وقال إنّه حق[1]. وثبت عن جماعة أنهم يقتلون النفس بالهمّة.

وثامنها: الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التي يحدثها الله تعالى عندها، وهو سحر الصابئة الذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم، وراداً عليهم.

وتاسعها: السيمياء؛ وهي أن يركّب الساحر شيئاً من خواص أرضيّة أو صنعية، كأدهان خاصّة، أو مائعات خاصة، أو كلمات خاصّة توجب تخيلات خاصّة، وإدراك الحواس مأكولاً أو مشروباً، ونحو ذلك، ولا حقيقة له. كما حكى الأوزاعي[2] عن اليهودي الذي لحقه في السَّفر، وأنّه أخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً، فباعه من قوم من النصارى، فلما صاروا به إلى بيوتهم عاد ضفدعاً، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي، فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط، ففزعوا وولوا هاربين، وبقي الرأس يقول للأوزاعي: ياأبا عمرو، هل غابوا؟ إلى أن بعدوا عنه، فصار الرأس في الجسد.

فهذه الأمور كلها باطلة عندنا، وأحقها باسم النجوم استخدام الكواكب. ولايسمى ذلك سحراً بالحقيقة، وإنما يسمّى تنجيماً، وصاحبه منجماً. وفيه يقول أبو فراس بن حمدان[3]:

---

(١) وهو قوله صلى الله عليه وسلم: إن العين حق. ونهى عن الوشم. رواه البخاري ١٠/ ١٧٣ في الطب باب العين، وفي اللباس، باب الواشمة، ومسلم برقم ٢١٨٧ في السلام باب الطب والمرض والرقى، وأبو داود برقم ٣٨٧٩ في الطب، باب ماجاء في العين.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام أهل الشام في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧ هـ عرض عليه القضاء فامتنع، كان أمره في الشام أعز من أمر السلطان، له عدد من المصنفات في الفقه وغيره وقدّر ماسئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها، وكانت الفتيا في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام. الأعلام ٣/ ٣٢٠ عن حلية الأولياء ٦/ ١٣٥، المعارف ٢١٧، شذرات الذهب ١/ ٢٤١ وغيرها.

(٣) أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد بن حمدان، أمير، شاعر، فارس، ابن عم سيف الدولة، له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة وكان يجله ويحبه ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه وقلده مدينة منبج وحران وأعمالهما جرح في معركة مع الروم فأسروه فبقي عندهم أعواماً ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة. قتله أحد أتباع سعد الدولة سنة ٣٥٧هـ الأعلام ٢/ ١٥٥ عن وفيات الأعيان ١/ ١٢٧، المنتظم ٧/ ٦٨، يتيمة الدهر ١/ ٢٢، زبدة الحلب ١/ ١٥٧. ولم نجد البيتين فيما بين أيدينا من طبعات ديوانه.

دعِ النجــومَ لعــرّافٍ يعــيشُ بهــا ... وانهضْ بعــزمٍ قــويٍّ أيُّهــا الملكُ

إنّ النبيَّ وأصــحــابَ النبي نَهَوْا ... عن النجومِ، وقد أبصرتَ ماملكوا!!

وقال آخر:

لا تركننّ إلى مــقــال منجّمٍ ... وكلِ الأمــورَ إلى القــضــاء وسلّمِ

واعلمْ بأنّكَ إنْ جــعــلتَ لكوكبٍ ... تدبيــرَ حــادثةٍ فلستَ بمسلمِ

وأحقها باسم الكَهَانة الاستعانة بالجنّ.

وأحقها باسم السحر ماكان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي كمرض ومحبة وبغض وتفريق بين زوجين. ودون هذه المرتبة أن يكون تخييلاً لا حقيقة له، وهو سحر أيضاً، إلا أنه دون الأول، وبذلك علم السيمياء.

وأما الشعبذة فخيالات مبنيّة على خفّة اليد، والأخذ بالبصر، فهي دون السيمياء.

وأما تجرد النفوس فليس من السحر الحقيقي في شيء، بل ربما تجردت لخير، وربما تجردت لشر. وقد حكي أن السلطان يمين الدولةمحمود بن سُبُكتكين[1] لمّا غزا الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة، فخرج إليه بعض أهلها، وقال: إنّك لاتقدر عليها، إلا أن تصنع ماأقول لك، قال: قل. قال: إذا كان وقت مطلع الشمس مُر الجيش بضرب الطبول طبلاً واحداً مزعجاً، وازحف على القلعة أنت والجيش يداً واحدة. ففعل، فافتتح القلعة. ثم سأله عن السبب، فقال: إنّ أهل هذه القلعة أصحاب هممٍ وتوجهات، وقد صرفوا همتهم إلى دفعك عنها، ولايشوش على نفوسهم ويفرقها شيء كالطبول المزعجة وجلبات العسكر، فلما فعلت ذلك تفرقت هممهم، وشغلوا عن التوجه، فنلت مقصودك.

---

(١) محمود بن سبكتكين السلطان الغزنوي، أبو القاسم، فاتح الهند وأحد كبار القادة امتدت سلطته من أقاصي الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند وفيها ولد وبها توفي عام ٤٢١هـ وهو تركي الأصل مستعرب كان حازماً صائب الرأي يجالس العلماء ويناظرهم وكان من أعيان الفقهاء فصيحاً بليغاً استعان بأهل العلم على تأليف الكتب الكثيرة في الفنون المختلفة فنسبت إليه الأعلام ٧/ ١٧١ عن البداية والنهاية ٢/ ٢٧، ابن خلكان ٢/ ٨٤، الجواهر المضية ٢/ ١٥٨.

[٧٨] - منصب الصوفية

حيّاهم الله وسقاهم، وجمعنا في الجنّة نحن وإياهم.

وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني[١]: « لايصح الوقف عليهم، لأنّه لا حدّ لهم يُعرف؛ والصحيح صحته، وأنهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة ». ومن ثمّ قال الجنيد[٢]: « التصوف كل خُلُق سَنيٍّ، وترك كل خلق دَنيٍّ » وقال أبو بكر الشبلي[٣]: « التصوف ضبط حواسِّك، ومراعاة أنفاسكَ». وقال ذو النون[٤]: « الصوفيّ من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا

(١) عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو محمد، من علماء التفسير واللغة والفقه، ولد في جوين من نواحي نيسابور وسكن نيسابور وتوفي بها سنة ٤٣٨ وله مصنفات في التفسير والفقه الشافعي، وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني. الأعلام ٤/ ١٤٧ عن تبيين كذب المفتري ٢٥٧، الوفيات ١/ ٢٥٢، مفتاح السعادة ٢/ ١٨٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٧ وغيرها.

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز لاشتغاله بالخز، أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين ولد ونشأ ببغداد وبها توفي عام ٢٩٧هـ. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله؛ الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة محمّي الأساس من شبه الغلاة الأعلام ٢/ ١٤١عن وفيات الأعيان ١/ ١١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، طبقات السبكي ٢/ ٢٨، طبقات الحنابلة ٨٩، الشعراني ١/ ٧٢.

(٣) دلف بن جحدر، أبو بكر الشبلي، ناسك، كان في أول أمره والياً في دبناوند من نواحي الري وولي الحجابة للموفق العباسي ثم عكف على العبادة فاشتهر بالصلاح، له شعر جيّد، سلك به مسالك الصوفية، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة من قرى ماوراء النهر ولد بسرّ من رأى وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤، الأعلام ٢/ ٣٤١ عن وفيات الأعيان ١/ ١٨٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، صفة الصفوة ٢/ ٢٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، المنتظم ٦/ ٣٤٧.

(٤) ثوبان بن إبراهيم، وقيل فيض بن أحمد، وقيل فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي المعروف بذي النون المصري، شيخ الديار المصرية، أحد الزهاد المشهورين، كان واعظاً عالماً فصيحاً حكيماً طلبه المتوكل العباسي، فلما سمع كلامه أحبه، وكان يفضله على الزهاد كلهم. توفي سنة ٢٤٥هـ. سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، وانظر: حلية الأولياء ٩/ ٣٣١، ٣٩١، ١٠/٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٠، طبقات الأولياء ٢١٨، ٢٢٣، طبقات الشعراني ١/ ٨١، الرسالة القشيرية ٢١١، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٧، وفيات الأعيان ١/ ٣١٥. وانظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ص ١٩ وفيه قوله المذكور.

سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق». وقال أبو علي الرُّوذَباري[1]: «الصوفي من لبس الصوف على الصفاء وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى [صلى الله عليه وسلم]، وكانت الدنيا منه على القفا». وكان الشيخ أبو الحسن السبكي[2] يقول: «الصوفي من لزم الصدق مع الحق، والخُلُقَ مع الخَلْق» وينشد:

تنازعَ الخلقُ في الصوفيّ واختلفوا ... قدْماً وظنّوه مشتقاً من الصُّوف
ولستُ أنحَلُ هذا الاسم غير فتى ... صَافى فصوفيَ، حتى لقّب الصوفي[3]

وهذه عبارات متقاربة.

والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنّا بهم.

وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله[4]: «جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافّة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمةبطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق».

ومن أوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة، والعفو والصفح، وعدم المؤاخذه، وضابطهم ماذكرناه. وطريقهم كما قال شيخ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه

---

(١) أحمد بن محمد بن القاسم، أبو علي الروذباري، من أهل بغداد وسكن مصر، وصار شيخها، ومات بها سنة ٣٢٢هـ، صحب الجنيد وعليه أخذ التصوف، كان عالماً فقيهاً حافظاً للحديث. طبقات الصوفية للسلمي، ٣٥٤ ط القاهرة ١٤٠٦.

(٢) هو الشيخ تقي الدين السبكي، ومرت ترجمته في المقدمة، وقوله هذا في معيد النعم ١٢٠.

(٣) هذان البيتان منسوبان لأبي الفتح البستي، انظر ديوانه ص١٣٤ ط دمشق ١٤١٠/١٩٨٩ باعتناء مجمع اللغة العربية. وورد فيه بدل أنحل: أمنح.

(٤) سبقت ترجمة القشيري في الصفحة ١١٦ والنص من الرسالة القشيرية ١/ ٢٠ ط القاهرة بتحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف.

الله[1]: « طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ». وقال: « الطريق مسدود على خلق الله تعالى إلاّ على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم »[2].

ومن حقهم تربية المريد إذا لاحت عليه لوائح الخير، وإمداده بالخير والدعاء؛ يحكى عن بعض المشايخ أنّ تلميذه حضر إليه وهو جالس في جماعة وقد ارتفع النهار، فتفرس الشيخ أنه كان في الليلة الذاهبة كان قد ارتكب معصية، فنظر إليه نظر مغضب، ولم يمكنه الإفصاح له بمحضر الجماعة، فنظر التلميذ إلى الشيخ نظرة منكرة، فقام الشيخ وجاء، وقبّل يد التلميذ. ولم يفهم الجماعة شيئاً. فسئل الشيخ بعد ذلك، فقال: إنّه البارحة وقع في الزنا، فنظرت إليه نظر مغضب لذلك، فنظر إليّ نظر عاتب، يقول: لو كان خاطرك معي، وإمدادك مصاحبي لما وقع مني ذلك، فأنت المقصّر، فقبلت يده لصدقه؛ فإنّ التقصير مني.

ومن حقهم الوقوف في إظهار مايطلعهم الله عليه من المغيبّات، ويخصّهم به من الكرامات على الإذن؛ وهم لايجيزون إظهارها بلا فائدة، ولايظهرونها إلاّ عن إذن، لفائدة دينية، من تربية، أو بشارة، أو نذارة؛ كما قال الصديق لعائشة رضي الله عنهما، وقد كان نحلها جادّ عشرين وَسْقاً من ماله بالغابة، فحضرته الوفاة، وأراد استرجاع الهبة وتطييب قلبها مع ذلك: « والله يابنية، مامن الناس أحد أحب إليّ غنىً بعدي منك، ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك. وإني كنت نحلتك جادّ عشرين وسقاً، لو كنت حزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله». قالت عائشة: « والله ياأبت، لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر رضي اللهَ عنه: ذو

(١) سبقت ترجمة الجنيد في الصفحة ١٦٠. وانظر قوله المذكور في الرسالة القشيرية ١/١١٨ حيث ترجم له. وعبارته فيها: «من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لايقتدى به في هذا الأمر، لأنّ علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسنّة».

(٢) الرسالة القشيرية ١/١١٧، والعبارة فيها: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام».

بطن بنت خارجة، أراها جارية»(١) فكان كذلك، فلم يَظهر أبو بكر [رضي الله عنه] ذلك إلا لاستطابة قلب عائشة [رضي الله عنها].

وأما قصة سارية فإنّ عمر كان أمّره على جيش، وجهزه إلى بلاد فارس، فاشتدّ الحال على عسكره بباب نهاوند، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: « ياسارية الجبل، ياسارية الجبل » الحكاية. فأسمع الله عز وجلّ سارية وجنوده أجمعين، وهم بنهاوند صوت عمر [رضي الله عنه] وعرفوه وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، يأمر بالالتجاء إلى الجبل، فلجأوا إليه ونجوا »(٢).

وسئل علي كرّم الله وجهه وقد كان حاضراً في المسجد وعمر يخطب ويستغيث بهذا الصوت: « ماهذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟ » فقال كرّم الله وجهه: « دعوا أمير المؤمنين، فما دخل في أمر إلا وخرج منه ». ثم تبيّن الحال بالآخرة. فعمر رضي الله عنه هنا - والله أعلم - لم يقصد إظهار الكرامة، وإنّما ألجأته الضرورة - وقد كُشف له حال القوم - لإنقاذهم، فناداهم، ولعله غلب عليه الحال، وغاب عن حسّه.

وأما قصّة الزلزلة، وهي أنّ الأرض زلزلت في زمن عمر رضي الله عنه،

---

(١) انظر الخبر في الرياض النضرة للمحب الطبري ١/ ١٦٨ ط القاهرة ١٣٧٢/ ١٩٥٣. وجادّ بمعنى مجدود أي نخلاً يُجَدُّ منه مايبلغ كذا وكذا قال الأصمعي: يقال: لفلان أرضٌ جادٌ مائة وسق، أي تخرج مائة وسق إذا زرعت وهو كلام عربي. وتأويل كلامه رضي الله عنه أنه كان نحلها في حال صحته نخلاً، كان يجدّ منها كل سنة عشرين وسقاً، ولم يكن أقبضها مانحلها بلسانه، فلما مرض رأى النحل وهو غير مقبوض غير جائز لها فاعلمها أنه لم يصحّ لها. وأن سائر الورثة شركاؤها فيه. لسان العرب: جَدَدَ. والغابة موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة. معجم البلدان. والوسق: ستون صاعاً، أو حمل بعير القاموس المحيط. وخارجة رضي الله عنه هو ابن أبي زهير الأنصاري الخزرجي شهد بدراً وقتل يوم أحد. تزوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنته، ومات عنها وهي حامل. الإصابة ١/ ٤٠٠.

(٢) انظر الرياض النضرة ٢/ ١٥. وسارية هو سارية بن زنيم بن عبد الله، قال ابن عساكر له صحبة. وقيل إنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وذكره ابن حبان في التابعين. قيل إنه كان خليعاً في الجاهلية كثير الغارة وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه. ثم أسلم وحسن إسلامه فولاه عمر ناحية فارس وأمّره على جيش وسيره إلى بلاد الفرس سنة ٢٣. الإصابة ٢/ ٢-٣.

فضربها بالدرّة وقال: ويحك! قرّي. ألم أعدل عليك! وكانت ترتجف فاستقرت من وقتها[1].

وقصة النيل، وكونه كان لايجري حتى يلقى فيه جارية عذراء كل عام، فكتب نائب مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه بخبره، فكتب عمر بطاقةً إلى النيل، وأمر أن تلقى في الماء، فيها: «من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنتَ تجري من قبَلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فاجرِ بإذن الله الواحد القَهار»[2] فجَرى جرياً لم يعهد مثله، أخصبت منه البلاد.

ونحو هاتين القصتين، فإنها من تمكنّه في الأرض ظاهراً وباطناً، وكونه أمير المؤمنين على الحقيقة، وخليفة رسول الله في الأرض. وليس هذا موضع استيعاب القول في ذلك.

وإذا علمت ذلك، فاعلم أنه قد تشبه بهؤلاء الصوفية أقوام ليسوا منهم، فأوجب هذا التشبه سوء الظنّ بهم. ولعل ذلك من الله تعالى قصداً، لخفاء هذه الطائفة التي تؤثر الخمول على الظهور.

وأكثرهم لايرضى بدخول الخوانق، ولا التعلق بشيء من أسباب الدنيا، ونحن نتذكّر بهم، ولانُذكّرهُم، ولكننا نتكلم على ذوي الأسباب منهم، لأنهم لما خالطوا أهل الدنيا تطرّق إليهم البحث على قدر مخالطتهم.

شعر[3]:

فــإنْ تجْتَنِبْهــا كُنْتَ سِلْمــاً لأهْلِهــا ... أو تَجْتَذِبهــا نَازعَتْك كــلابُهــا

---

(١) انظر معيد النعم ١٢٣

(٢) انظر تأييد الحقيقة العلية للسيوطي ط القاهرة ١٣٥٢ ص ١٧ بتحقيق عبد الله بن محمد الغماري وفيه نقل المحقق القصة عن ابن عبد الحكم بتاريخ مصر وأبي الشيخ الأصبهاني في العظمة.

(٣) البيت منسوب للإمام الشافعي رضي الله عنه وهو من قصيدة أوردها ناشر الديوان المنسوب إليه ص ٥٠ - ٥١ ط بيروت دار ابن زيدون ومطلعها:

خبت نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظلم ليلي إذ أضاء شهابها =

[٧٩] - منصب شيخ الخانقاه[1]

وربما يسمى كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ، وربما قيل شيخ شيوخ العارفين.

وكان الشيخ تقي الدين السبكي يشدّد النكير في هذه العبارة، ويقول[2]: «لم يقنع بادعاء المعرفة؛ حتى ادعى أنّه شيخ شيوخها».

ومن حقه تربية المريدين، وحمل الأذيّة والضيم على نفسه، واعتبار قلوب جماعته قبل قوالبهم، والكلام مع كل بحسب مايقبله عقله، وتحمله قواه، ويصل إليه ذهنه، والكفّ عن ذكر ألفاظ ليس سامعها من أهلها، كالتجلي، والمشاهدة، ورفع الحجاب، إذا كان السامع بعيداً عنها؛ فإنّ في ذكرها له من المفاسد مالا خفاء فيه. بل يأخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر ويربيه على التدريج.

واللهَ اللهَ في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم، لم يعنوا بها ظواهرها، وإنما عنوا بها أموراً صحيحة، فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمريد لايفهمها، فإنّه يضلّه؛ مثل مايقال عن بعضهم: العلم حجاب، فإنه لايريد به ظاهر مايفهمه المبتدئ منه، ولكن له معنى لايناسب حالَ المبتدئ الكشفُ عنه. وربما جرى بعضها في حال السُكْر، فإنها مما لايقتدى بها، ولايوجب القدح في قائلها، بل نسلّم له حاله ونقيم له عذره فيما سقط من بين شفتيه حالة الغيبة؛ فإنّ الشارع لم يكلف غائب الذهن.

= وقبل هذا البيت قوله:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها	وسيق إليّ عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً	كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وماهي إلا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همهنّ اجتذابها

(١) معيد النعم ١٢٤. وكلمة الخانقاه فارسية تعني محل العبادة والتزهد والبعد عن الناس معجم الألفاظ التاريخية ٦٦. وتجمع على خوانق وخانقاهات.

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

هذا إذا فقدت أسباب التأويل لكلامه بالكلية؛ ولن نجد ذلك إن شاء الله في كلام أحد من المعتبرين، بل قد نزه الله ألفاظهم عن الأباطيل، ومالهم كلمةإلاّ ولها محملٌ حسن.

[٨٩] - منصب فقراء الخوانق[١]

وأنت قد عرفت أن حقيقة الصُّوفي من أعرض عن الدنيا، وأقبل على العبادة، فقل لفقير الخانقاه: إن دخلتها لتسدّ رمقك، وتستعين على التصوف، فهذا حق، وإن أنت دخلتها لتجعلها وظيفة تحصِّل بها الدنيا، ولست متَّصفاً بالإعراض عنها، والاشتغال غالب الأوقات بالعبادة، فأنت مبطل فلا تستحق في وقف الصوفيّة حقاً، وكلُّ ماتأكله منها حرام، لأنّ الواقف لم يقفها إلاّ على الصوفية. ولست منهم في شيء.

وقد كثر من جماعة اتخاذ الخوانق أسباباً، والدلوق[٢] المرقعة طرائق للدنيا، فلم يتخلقوا من أخلاق القوم بغير لباس الزُّور، وهؤلاء المتشبهة الذين فيهم يقول الشافعي رضي الله عنه فيما نقل عنه: «رجل أكول، نؤوم، كثير الفضول». وقال الإمام أبو المظفّر السمعاني[٣]: «نعوذ بالله من العقرب والفار، والصوفي إذا عرف باب الدار». وقال أبو حيان[٤] في هؤلاء: «أَكَلَةٌ، بَطَلَة، سَطَلَة، لاشُغل ولامَشْغلة». وقيل: «رجلٌ يظهر الإسلام، ويبطن فاسد العقيدة ونهايةُ الإقدام، في رجله جمجم، وعَذَبَتُه[٥] من قدّام، يكون غالباً من بلاد الأعجام».

(١) معيد النعم ١٢٥ . انظر الحاشية رقم (١) ص١٦٥ .

(٢) الدَّلَق بفتحتين دويبة نحو الهرة طويلة الظهر يُعمل منها الفرو. فارسي معرب وقيل هو ابن مقرض ويقال إنه يشبه النمس (المصباح المنير).

(٣) منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، مفسر من العلماء بالحديث من أهل مرو مولداً وبها توفي سنة ٤٨٩هـ كان مفتي خراسان قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو له تفسير السمعاني ٣ مجلدات ومؤلفات في الحديث وأصول الفقه وهو جدّ السمعاني صاحب الأنساب الأعلام ٧/ ٣٠٤ عن مفتاح السعادة ٢/ ١٩١ ، اللباب ١/ ٥٦٣، الرسالة المستطرفة ٤٣ وغيرها.

(٤) سبقت ترجمة أبي حيان التوحيدي في الصفحة ١٣٦ ، وأبي حيان الأندلسي في الصفحة ١٢١ .

(٥) قال الزبيدي: الاعتذاب أن تسبل للعمامة عذبتين من خلفها وهما طرفا العمامة تاج العروس: عذب .

شعر :

لیسَ التصوُّفُ لبس الصوف ترقعُهُ ولا بكاؤكَ إن غنّى المغنُّونا

فهؤلاء القوم إذا اتخذوا الخوانق ذريعة لذلك، خصوصاً إذا أكلوا الحشيش، فلا ستّرهم الله. وفضحهم على رؤوس الأشهاد. ولكنّ فيهم - ولله الحمد - من لايدخل الخانقاه إلا ليقطع علائقه، ويشتغل بربّه، ويرضى بما يتهيأ منها معيناً له على سدّ رمقه، وستر عورته. فلله دره!.

[٨١] - منصب خادم الخانقاه(١)

ومن حقه توفير أوقاتهم للعبادة؛ فإنه في عبادة مادام يعينهم على العبادة بهذه النيّة، فينبغي له السعي في كل مايكون ذريعة إلى ذلك.

وينبغي احتفاظه بفاضل أقواتهم، ووضعه في مستحق من مسكين، أو هرّة، ونحو ذلك، ولايرميه؛ فليس من شيمتهم طرح الزاد.

[٨٢] -منصب شيخ الزاوية(٢)

وغالب الزوايا في البراري. فمن حقه تهيئة الطعام للواردين، والمجتازين، ومؤانستهم إذا قدموا، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم.

ولابأس بإفراد مكان للوارد؛ لئلا يستحي وقت أكله وراحته.

[٨٣] - منصب أصحاب الأموال(٣)

وعليهم أداء الزكاة على ماعرف في الفقهيات، وما أقبح من أعطاه الله مالاً، وخوّله نعمة، فلما دنا الحول عمد إلى حيلة من مُسْقطات الزكاة، فاعتمدها بُخلاً

---

(١) انظر معيد النعم ١٢٦ .

(٢) معيد النعم ١٢٦ .

(٣) معيد النعم، المرجع السابق .

على الله. وإنّ هذا لجدير بزوال نعمته؛ بل حقٌ عليه إخراجها، وله دفعها إلى الأمام، ناوياً بها براءة الذمّة؛ كما في هؤلاء الجراكسة، ولا الالتفات إلى مافي أيديهم، فإنّه لبيت مال المسلمين، وهم فقراء.

وله دفعها إليه ليصرفها في مصارفها، إذا كان عادلاً، وكذا إن كان جائراً على مارجحه النووي وغيره. فإذا أخذها فقد صارت في ذمته، وإن لم يصرفها في مصارفها.

[٨٤] - منصب صاحب الزرع ونحوه[١]

ومن حقه أن يتعهده بالسقي، فإنّ ترك ذلك مكروه؛ لما فيه من إضاعة المال، ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار إلى أن تخرب، وأما أصل بناء الدور للحاجة فلا يكره. والأولى ترك الزيادة. وربما قيل تكره الزيادة على قدر الحاجة.

وليعلم صاحب الزرع أنّ الزكاة واجبة في قليل ماأخرجته الأرض وكثيره، وهي العشر، سواء سقي سيحاً، أو سقته السماء، إلا الحطب والقصب الفارسي والحشيش. هذا عند أبي حنيفة. وقال صاحباه[٢]: لايجب العشر إلاّ فيما له ثمرة باقية، كالحنطة إذا بلغ خمسة أوسُق. والوَسْق ستون صاعاً[٣]، وهي ألف رطل وسبعمئة رطل بأرطال بغداد. وليس في الخضراوات عُشْر عندهما.

وماسقي بغَرْب أو دالية[٤] ففيه نصف العشر في القولين جميعاً. وقال أبو يوسف: فيما لايوسق كالزعفران والقطن يجب فيه العشر إذا بلغت قيمته خمسة أوسق من أدنى يدخل تحت الوسق. وقال محمد: يجب العشر إذا بلغ الخارج

---

(١) معيد النعم ١٢٧

(٢) أبو يوسف ومحمد. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) للأحمد نكري ٢/ ٢٢٩ ط بيروت ١٣٩٥هـ.

(٣) قال الخليل: الوسق حمل البعير (مختار الصحاح) وقد مرّ ذلك في الصفحة ١٦٣.

(٤) الغَرْب: الدلو العظيمة. والدالية: الناعورة تديرها البقرة (مختار الصحاح).

خمسة أمثال من أعلى مايُقَدَّر به نوعه، فاعتبر في القطن خمسة أحمال، وفي الزعفران خمسة أمْناء[1].

[٨٥] - منصب الصيادين[2]

يجوز الاصطياد بجوارح السباع، كالكلب المعلَّم، سواء أكان أسود[3] أم لا، والفهد. وبجوارح الطير المعلَّمة، كالبازي والشاهين؛ فما أخذتْه وجرحته، وأدركه صاحبها ميتاً أو حركة المذبوح حلّ أكله. ويقوم إرسال الصائد وجرح الجارح في أي موضع كان مقام الذبح. وعن أبي يوسف أنه لايشترط الجرح. والأول ظاهر الرواية.

ثم إنّه يجب أن يمرّ السكين على حلقه ليريحه، فإن لم يفعل، وتركه حتى مات فهو حلال، وإن أدركه وفيه حياة مستقرة وجب عليه أن يذكّيه. وإن ترك تذكيته حتى مات لم يؤكل.

و[كذا] إن رمى صيداً فوقع في الماء لم يؤكل. وكذا إن وقع على السطح أو الجبل، ثم تردّى منه إلى الأرض. وإن وقع على الأرض ابتداءً أُكل.

[٨٦] - منصب مُشدّ العمائر[4]

ومن حقه اللطف والرفق بالبنّائين، وألا يستعمل أحداً فوق طاقته، ولايجيعه، بل يمكنه من الأكل والأطعمة بحسب مايقع الشرط عليه.

وعليه أن يطلق سراحه أوقات الصلوات؛ فإنها لاتدخل تحت الإجارة.

---

(١) المنّ: المنا وهو رطلان والجمع أمنان (م ن ن) والمنا مقصور الذي يوزن به والتثنية منوان والجمع أمناء وهو أفصح من المن (م ن ا) (مختار الصحاح).

(٢) معيد النعم ١٢٨

(٣) فقد روى الترمذي قوله صلى الله عليه وسلم: « الكلب الأسود شيطان » برقم ٣٣٨ في الصلاة.

(٤) معيد النعم ١٢٩ . ومرّت كلمة المشدّ ص ٣٢ وتعني المفتش أو الناظر.

ومايعتمده بعضهم من تسخير البنائين وإجاعتهم وإعطائهم من الأجرة دون حقهم واستعمالهم فوق طاقتهم من أقبح المحرمات، وأشنع الجراءات على الله في خلقه. وأقبح من ذلك أنهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس، فليت شعري، بأيّة قُربة يتقربون!.

[٨٧] - منصب البنّاء[١]

ومن حقه ألاّ يزخرف بالذهب؛ فإنه يحرم تمويه السقوف والجدران به، وإن لم يحصل منه شيء بالعرض على النار.

[٨٨] - منصب الطيّان[٢]

ومن حقه ألاّ يطيّن مكاناً قبل الكشف عنه، هل فيه شيء من الحيوانات أو لا؟ فأنت ترى كثيراً من الطيانين يعجلون في وضع الطين على الجدار وغيره، وربما صادف مالايحلّ قتله لغير مأكلة، من عُصفور ونحوه، فقتله، واندمج في الطين، ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتل هذا الحيوان، ولصاحب الجدارمن جهة جعله مثل ذلك ضمن جداره.

وكثير من الطيّانين يدعوهم داعٍ إلى تبييض جدار، فيرون ذلك الجدار منشقاً، آيلاً إلى السقوط، فلا ينبهون صاحبه، بل يطينونه رغبة في الأجرة وسرعة العمل، ويعمى خبره على صاحبه، ويكون ذلك سبباً لوقوعه على نفس أو أكثر. وذلك من الجنايةفي الدين.

---

(١) معيد النعم ١٢٩

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

[٨٩] - منصب معلّم الكتاب[١]

وينبغي أن يكون صحيح العقيدة، فلقد نشأ صبيان كثيرون، عقيدتهم فاسدة، لأن فقيههم كان كذلك.

فأول مايتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم أبنائهم، قبل البحث عن دينه في الفروع، ثم البحث عن دينه في الفروع.

ومن حق معلم الصغار ألا يعلمهم شيئاً قبل القرآن، ثم بعده حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ولايتكلم معهم في العقائد، بل يدعهم إلى أن يتأهلوا حق التأهل، ثم يأخذهم بعقيدة أهل السنّة والجماعة. وإن هو أمسك عن هذا الباب فهو أحوط.

وله تمكين الصبي المميِّز من كتابة القرآن في اللوح، وحمل المصحف وهو مُحدث. وأدخل الشافعي إلى بعض حجر هرون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم، فأقعده عند مؤدب أولاده، وقال: ياأبا عبد الله، هذا مؤدب أولاد أمير المؤمنين، فأوصه بهم، فقال: ليكن أول ماتبدأ به في إصلاحهم إصلاح نفسك؛ فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ماكرهته. علمهم كتاب الله تعالى، ولاتكرههم عليه فيملوه، ولاتتركهم فيهجروه. ثم روهم من الشعر أخفّه، ومن الحديث أشرفه. ولاتخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكمُوه؛ فإنّ ازدحام الكلام في السمع مَضلّة[٢] للفهم.

---

(١) معيد النعم ١٣٠ . ولعل الأحسن أن يقول المكتب، لأنّ الكتّاب جمع كاتب، ولكنه جرى على المستعمل المشهور على الألسنة. وكلمة المكتب استعملها شوقي جارياً فيها على الفصيح والقياس:

ألا حبذا صحبة المكتب وأحبب بأيامه أحبب

وياحبذا صبية يمرحون عنان الحياة عليهم صبي

(٢) مضلّة : بفتح الضاد وكسرها وفتح الميم فيهما أي يضل فيها (مختار الصحاح).

وقال ابن سلاَّم: لما دفع عبد الملك ولده إلى الشعبي مؤدبهم فقال له: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر ليمجدوا، وأطعمهم اللحم تصح قلوبهم، وجذّ شعورهم تشدّ رقابهم، وجالس بهم عليّة الرجال يناصفوهم الكلام. وجنبهم الحشم فإنها مفسدة لهم.

[٩٠] - منصب النّاسخ[١]

ومن حقه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلّة ككتب أهل البدع والأهواء، وكذلك لايكتب الكتب التي لاينفع الله بها، كسيرة عنترة، وغيرها من الموضوعات المختلفة التي يضيع الزمان بها، وليس للدين بها حاجة. وكذا كتب أهل المجون، وما وضعوه في أصناف الجماع وصفات الخمر، وغير ذلك مما يهيج المحرمات.

فنحن نحذّر النساخ منها، فإنّ الدنيا تغرّهم، وغالباً مستكتب هذه الأشياء يُعطي من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب العلم. فينبغي للناسَخ ألا يبيع دينه بدنياه.

ومن الناسخ من لايتقي الله، ويكتب عن عجلة، أو يحذف من أثناء الكتاب شيئاً، رغبة في إنجازه، إذا كان قد استؤجر على نسخه جُملةً؛ وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض، ولمصنف الكتاب في تبتيره تصنيفه، وللذي استأجره في سرقته منه هذا القدر.

قال التاج بن السبكي[٢]: «قال أصحابنا: ولو استأجره ليكتب شيئاً، فكتبه خطأ، أو بالعربية فكتبه بالعجمية، أو بالعكس، فعليه ضمان نقصان الورق، ولاأجرة له».

---

(١) معيد النعم ١٣١

(٢) المرجع السابق.

« ويقرب منه ماذكره الغزالي[1] في الفتاوى، أنّه لو استأجره لنسخ كتاب فغيّر ترتيب الأبواب، فإن أمكن بناء بعض المكتوب [على بعض][2]، بأن كان عشرة أبواب، فكتب الباب الأول آخراً منفصلاً، بحيث يبنى عليه، استحق بقسطه من الأجرة؛ وإلاّ فلا شيء له. واستفتي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله في ناسخ استأجره مستأجر على أن ينسخ له ختمة بأجرة معينة، فتأخّر الناسخ عن كتابتها مدّة سنة، وفي تلك المدة جاد خطه فهل له أن يطلب زيادة على تلك الأجرة لجودة خطه، أو يختار الفسخ؟ فأفتى بأنه ليس له واحد من الأمرين، بل عليه كتابتها بتلك الأجرة.

ومن يستأجر ناسخاً يبين له عدد الأوراق والأسطر في كل صفحة. واختُلف في الحبر إذا لم يُعيَّن، على من يكون؟ فالأصح الرجوع إلى العادة، فإن اضطربت وجب البيان، وإلاّ فيبطل العقد» انتهى.

[٩١] - منصب الورّاق[3]

وهي[4] من أجود الصنائع، لما فيها من الإعانة على كتابة المصحف وكتب العلم ووثائق الناس وعُهَدهم، فمن شكر صاحبها نعمة الله أن يرفق بطالب العلم وغيره، ويرجح جانب من يعلم أنّه يشتري الورق لكتابة كتب العلم، ويمتنع عن بيعه لمن يعرف أنه يكتب مالا ينبغي؛ من البدع والأهواء وشهادات الزور والمرافعات وأمثال ذلك.

[٩٢] - منصب المجلّد[5]

وعليه نحو ما على الورّاق والناسخ.

---

(١) سبقت ترجمة الغزالي في الصفحة ٤ .

(٢) مابين معقوفتين من معيد النعم.

(٣) معيد النعم ١٣٢

(٤) أي مهنة الوراقة.

(٥) معيد النعم ١٣٢ .

[٩٣] - منصب المذهِّب[١]

ومن حقّه ألا يذهِّب غير المصحف.

وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالذهب. وعند أئمتنا الحنفية لابأس بتحليته، والذي صححه النووي وغيره الفرق بين أن يكون لامرأة فيحلّ، أو لرجل فيحرم.

وأما غير المصحف، فاتفاقاً على أنه لايجوز تحليته.

[٩٤] - منصب الطبيب[٢]

ومن حقه بذل النصح، والرفق بالمريض، وإذا رأى علامات الموت لم يكن بأس أن ينبه على الوصية بلطف من القول.

وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدرها.

وأكثر مايؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض، واستعجاله في ذكر مايصفه، وعدم فهمه مزاج المريض، وجلوسه لطِبّ الناس قبل استكمال الأهلية.

قال بعض الشعراء:

أفنى وأعمى ذا الطبيبُ بطبه ... وبكحله الأحياء والبُصَراءَ

فإذا نظرتَ رأيتَ من عميانِه ... أمَماً على أمواتِهِ قُرّاءَ

وما أحسن قول ابن الرومي[٣]:

غلطَ الطبيبُ عليَّ غلطةَ مُوردٍ ... عَجَزتْ مواردُه عنِ الإصدارِ

(١) معيد النعم ١٣٣

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

(٣) انظر ترجمة ابن الرومي في الصفحة ١٤٣، والتبيان في ديوانه ٣/ ٤٨١ بتحقيق كامل كيلاني.

والنـاسُ يَلْحُون الطبيبَ وإنّما غَلطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدارِ

[٩٥] - منصب المزيّن(١)

وعليه مثل ما على الطبيب .

وكثيراً مايقصد بعض السَفَلَة والرَّعاع جبَّ ذكره ، كما يفعله المبتدعة ، ومن غلبه حب من لايصل إليه ، ممن لايكون عقله ثابتاً ؛ فلا يحلّ للمزين مطاوعته على ذلك .

[٩٦] - منصب الكحّال(٢)

وعليه مثل ما على الطبيب من الاحتياط .

[٩٧] - منصب الحائك(٣)

ومن حقه آلاّ ينسج مايحرم استعماله ، لئلا يكون معيناً على معصية ؛ فلا ينسج ثوب حرير لايستعمله إلا الرجال . أمّا إذا استعمله الرجال والنساء والصبيان فلا يمنع ؛ لأنه لم يتعيّن أنّ الذي يلبسه رجل بالغ .

ويحرم نسج الثياب المصوّرة عند أئمتنا الحنفية ، وهو الأصح عند الشافعية .

وأما المركّب من حرير وغيره ، فعند أئمتنا الحنفية إذا كان سداه ابريسماً ،

---

(١) معيد النعم ١٣٤

(٢) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

ولُحْمته قطناً أو خزاً[1] لابأس به والمذهب عند الشافعية إن كان الحرير أكثر وزناً حرم، وإن كان غيره أكثر، أو استويا لم يحرم.

ويجوز اتفاقاً جعل طراز من حرير، بشرط ألا يجاوز قدر أربع أصابع.

[٩٨] - منصب القيّم في الحمّام[2]

وعليه ألاّ ينظر إلى عورة من يغسله، ولايلمس شيئاً منها بدون حائل.

ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فحلق، لاتجب الأجرة في الصحيح عند أئمتنا الحنفية والشافعية، والقيّم مفرّط حيث لم يشرط قبل أن يحلق. والمختار أنه يلزم الأجرة إذا جرت العادة بذلك، وكان القيّم معروفاً به.

وسئل سلطان العلماء، عزّ الدين بن عبد السلام: هل يجوز تدليك الأجسام وغسل الأيدي بالعدس؟ فأجاب في الفتاوى الموصلية[3]: «العدس [والباقلاء] طعام يُحترم كما يحترم غيره من الطعام، فإن استُعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوى به مثله فلابأس [به]» وهذا هو الذي تقتضيه قواعد أئمتنا الحنفية.

[٩٩] - منصب الدهّان[4]

وعليه ألاّ يصوّر صورة حيوان، لا على حائط، ولا على سقف، ولا آلة من الآلات. و اختار بعض الشافعية التصوير على الأرض، والصحيح عندهم خلافه.

---

(١) الإبريسم: الحرير، معرّب. وفيه ثلاث لغات - والعرب تخلط فيما ليس من كلامها - قال ابن السكيت: هو الأَبْرَيْسَم. وقال غيره: هو الإِبْرَيْسَم. وقال ابن الأعرابي: الإِبْرِيْسَم. وقال وليس في كلامهم إفعيلَل بالكسر ولكن إفعيلَل مثل إِهْلِيلَج (مختار الصحاح) والقاموس المحيطَ: برسام. والسدى من الثوب مامُدّ منه طولاً في النسج. وفي الصحاَح هو خلاف اللحمة. والسداة واحد السدى. تاج العروس: السدى واللحمة ماسدي به سدى الثوب. تاج العروس: لحم. والخز من الثياب ماينسج من صوف وإبريسم ومنه جنس معمول كله بالإبريسم. وعليه يحمل الحديث: قوم يستحلون الخز والحرير. وأما النوع الأول فهو مباح وقد لبسه الصحابة. التاج: خزز.

(٢) انظر معيد النعم ١٣٥

(٣) مرت ترجمة العز بن عبد السلام في الصفحة ٧٦. والفتاوى الموصيلة سميت كذلك لأن العز سئل عنها في الموصل. كشف الظنون ٢/ ٦٢. وقد طبعت باسم كتاب الفتاوى في بيروت ١٤٠٦/ ١٩٨٦. والنصّ المذكور فيها ص ٦٦ ومابين معقوفتين استدراك منها.

(٤) معيد النعم ١٣٥

[١٠٠] - منصب الخيّاط[١]

ومن حقه ألا يخيط حريراً، ولايجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله كالرجال. أما النساء والصبيان فاستعماله لهم غير حرام وإن جاوز الصبيّ سنّ التمييز، خلافاً للرافعي من الشافعيّة.

وعلى الخياط أن يحترز عند قطع القماش، ويقدّر ويستأذن على بصيرة؛ فلو قال الرجل للخياط: إن كان هذا الثوب يكفيني قميصاً فاقطعه، فقطعه فلم يكفه ضَمن الأرْش[٢]؛ لأنّ الإذن مشروط بما لم يوجد. وإن قال: هل يكفيني قميصاً، فقال: نعم. فقال: اقطعه، فقطعه، فلم يكف، لم يضمن، لأنّ الإذن مطلق، وإن تقدمته قرينة، لكن كان من حق الخياط ألا يتكَلم على جهاله.

ويجوز له أن يخيط بالحرير.

قال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار[٣]: « وقف عليٌّ كرّم الله وجهه على خياط يخيط، فقال: ياخياط، صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز؛ فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالخيّاط الخائن يوم القيامة، وعليه قميص ماخاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ». ثم قال: ياخيّاط، إياك الفضلات والسقطات، فإنّ صاحب الثوب أحق بها ».

وقال خياط لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه[٤]: « أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل يخاف عليّ أن أكون من أعوان الظلمة؟ فقال: لا، إنما أعوان الظّلَمة من يبيع منك الخيوط والإبر، أما أنت فمن الظّلَمة نفسها ».

(١) معيد النعم، المرجع السابق.

(٢) الأرش اسم للمال الواجب على مادون النفس. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ١/ ٧٥.

(٣) ج٢ ص ٥٣٦ ط بغداد. وقد مرت ترجمة الزمخشري في الصفحة ٥١.

(٤)

[١٠١] - منصب الصبّاغ[١]

ومن حقه ألاّ يصبغ بمحرّم .

وقد كثر من الصباغين الصبغ بالدماء، وذلك محرّم، فإن صبغ به ، وغسل بعد ذلك فذهب الريح والطعم وبقي اللون، وعسر إزالته فلا يضرّ. ويقال، إنّ الثياب الحمر الصوف المربعة من هذا القبيل .

[١٠٢] - منصب الناطور[٢]

ومن حقه ملاحظة الثياب، استحفظ أم لم يستحفظ، بحسب العادة .

ولو سرقت الثياب من مشلح الحمام، والناطور جالس في مكانه مستيقظ، فلا قطع عليه . وإن نام أو قام من مكانه، ولم يستنب أحداً موضعه ولكن عليه الضمان .

[١٠٣] - منصب الفراشين[٣]

ومن وظيفتهم ضرب خيام الأمراء .

وحق عليهم ألا يحتجروا على الناس ويمنعوهم أرض الله الواسعة، فما أظلمه إذا جاء إلى ناحية من الفضاء، فوجد فقيراً قد سبق إليها ونزل فيها، فأقامه منها ليخيّم للأمير مكانه؛ وحكم الله أنّ السّابق أولى، والأمير والمأمور في ذلك سواء .

---

(١) معيد النعم ١٣٦

(٢) معيد النعم ١٣٧

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

[١٠٤] - منصب البابا[١]

ومن حقه أن يحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها، فيحترز من البول والغائط والمذي والمني والدم ونحو ذلك، فإنّه متى لاقى شيءٌ من ذلك بدن الإنسان [أو ثوبه][٢] لم تصح معه صلاته، وهذا عندنا مانع إذا زاد على قدر الدرهم مساحةً إن كان مائعاً، ووزناً إن كان كثيفاً. فإن [عَلَمه البابا][٢] في ثوب شخص، ولم يُزِله بقي ذلك في ذمته. فعليه إفاضة الماء على محل النجاسة، بحيث يضمحلّ، ويذهب طعمها، وكذلك لونها وريحها، إلاّ أن يَعلق اللون بالمحل كالدم، فيعفى عنه.

وأما دم البراغيث، واليسير من طين الشارع فمعفو عنه، وإذا غسل ذلك فهو أولى.

[١٠٥] - منصب الشرْبَدار[٣]

وهو مثل السقّاء، وتقدم ماعليهم.

---

(١) معيد النعم ١٣٨ ، والبابا هو الذي يتعاطى الغسل والصقل ونحوه. والكلمة رومية معناها أبو الآباء، وسمي بذلك تشبيهاً له بالأب الشفوق لأنّه يرفه مخدومه ويقوم على خدمة ثيابه. معجم الألفاظ التاريخية ٢٨ .

(٢) مابين معقوفتين ممسوح من الأصل والاستدراك من معيد النعم.

(٣) معيد النعم ١٣٨ . وهو لقب من يتصدى للخدمة بالشراب خانه وهو المكان المخصص للأشربة والحلوى والفواكه والعقاقير (معجم الألفاظ التاريخية ص ٩٧).

[١٠٦] - منصب الطشتدار(١)

وهو اسم لمن يصب الماء على يد المخدوم.

وهو من أقبح التنطع والبدع.

ومن آدابه الاحتراز من ملاقاة ماء الوضوء ماءً طاهراً، أو غيره.

أما الاستعانة في الوضوء بغيره، فإن استعان بمن يحضر له الماء للطهارة، فلا يكره. وإن استعان به ليصبّ عليه الماء - وهو مايفعله الطشتدار - ففي كراهته خلاف؛ فعند أئمتنا الحنفية يكره، والأصحّ عند الشافعية أنه لايكره. وإن استعان به لغسل أعضائه فهو مكروه بلا خلاف، إلاّ أن تدعو إليه ضرورة، كما إذا كان أقطع فتجب الاستعانة.

ومايفعله أهل الدنيا من نصب أناس بالمرصاد لصبّ الماء على أيديهم عقيب الطعام ليس بمكروه، ولكنه زيادة في الدنيا. وكان الشيخ تقي الدين السبكي لايفعله.

[١٠٧] - منصب الصيرفي(٢)

ومن حقه ألاّ يخلط أموال الناس بعضها ببعض.

وأكثر الصيارف يخلطون، فيصيّرون عامة أموال الخلق حراماً، والناس لايدرون؛ فهو إذن في ذمة الصيارف.

ومن حقه أيضاً معرفة عَقْد الصرف، وألا يبيع أحد النقدين بالآخر نسيئة بل نقداً.

---

(١) معيد النعم ١٣٩ . والطشت صحن كبير لحمل الطعام أو الماء، والطشتخاناه: المكان المخصص لوضع الطشوت اللازمة لغسل الأيدي والقماش وغيرها. والطشتدار: لقب العامل في الطشتخاناه. معجم الألفاظ التاريخية ١٠٨ .

(٢) معيد النعم ١٣٩

وقال التاج بن السبكي: «ولو سلّم صبي درهماً إلى صيرفي لينقُده[1] لم يجز للصيرفي رده إليه، وإنما يردّه إلى وليه. ولو تلف في يد الصيرفي لزمه ضمانه. ولا يجوز تولية الذميّ صيرفياً في بيت المال» انتهى. وهو مقتضى قواعد أئمتنا.

[١٠٨] - منصب المكاري[2]

ومن حقه التحفظ فيمن يُركبه الدواب.

ولا يحل لمكاري يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكري دابته من امرأة يعرف أنها تمشي إلى شيء من المعاصي، فإنه إعانة على معصية الله. وكثير من المُكاريّه لا يعجبه أن يكاري إلاّ الفاجرات من النساء والمغاني[3] منهن لمغالاتهن في الكراء، فإنهن يعطين من الأجرة فوق مايعطيه غيرهن؛ فتغره الدنيا. وفلس من حلال خير من درهم من حرام.

ومما تعمّ به البلوى مكاري[4] يكاري امرأة جميلة إلى مكان معيّن ويمشي معها، وفي الطريق مواضع خالية من الناس، كما بين البساتين؛ فإن في معاطفها أماكن لو شاء الفاسق لفعل فيها ماشاء من الفجور. والذي أراه أن حكم ذلك حكم الخلوة بالأجنبية، فلا يجوز.

ومن كان مع دابة أو دواب ضمن ماتتلفه من نفس ومال، ليلاً كان أو نهاراً. وأما إذا بالت في الطريق فتلف به نفس أو مال فلا ضمان.

وعلى الراكب الاحتراز مما لايُعتاد، كسوق شديد في الوحل؛ فإن خالف وجب عليه ضمان ماتوّلد من ذلك.

---

(١) النَّقْد: تمييز الدراهم. القاموس نقد.

(٢) معيد النعم ١٤٠، المكاري والجمع مُكارون ومكارين من كارى الدابة إذا أجرها (المصباح المنير) وكان كثيرون ممن يتعاطون هذه المهنة على غير خُلُق.

(٣) يقصد المغنيات، واستعملها هنا على لسان عامّة دمشق. وقد مرّ ذكر الكلمة في الصفحة ٢٢.

(٤) كذا، ولعل الأصح أن يحذف الياء لأنه اسم منقوص.

ومن حمل حطباً على بهيمة أو على ظهره فحكّ جداداً فسقط الجدار ضَمنه، قاله التاج بن السبكي[1].

وأما ماتضعه المكارية من الجلاجل في رقاب الحمير والكدش[2]، فإنه مكروه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لاتصحب الملائكة رفقة فيها جَرس »[3]. وقال صلى الله عليه وسلم: « الجرس مزامير الشيطان »[4]. رواهما مسلم.

[١٠٩] - منصب غاسل الموتى[5]

وعليه استيعاب البدن بالماء بعد أن يزيل ماعليه من النجاسة. ولايجب عليه نية الغسل، ولكن الأولى أن ينوي خروجاً من الخلاف.

ويستحب أن يغسل في موضع مستور، لايدخله سواه، وسوى من يعينه، وولي الميت إن شاء. ويكره أن ينظر إلى شيء من بدنه إلاّ لحاجة. وعند الشافعي يغسله في قميص بال أو سخيف[6]، فيدخل يده من تحته، ويغسله.

وغسل الميت بر وإكرام، لاشيء فيه من الدناءة.

[١١٠] - منصب السجّان[7]

ومن حقه الرفق بالمحبوسين، ولايمنعهم من الجمعة، إلا إذا منع القاضي من

---

(١) انظر معيد النعم ١٤١.

(٢) وهي الخيول الكبيرة السنّ المستعملة للجر أو الركوب مفردها كديش، أو إكديش معجم الألفاظ التاريخية ١٢٩ وهي خيول غير أصيلة معروفة ومنتشرة في دمشق وقراها.

(٣) أخرجه أبو داوود برقم ٢٥٥٤ في الجهاد، باب تعليق الأجراس. والذي رواه مسلم: لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولاجرس برقم ٢١١٣، ٢١١٤ في اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر: وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجرس من مزامير الشيطان.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) معيد النعم ١٤١

(٦) سَخُف الثوب سُخفاً وسخافة: رقّ لقلّة غزله فهو سخيف. ومنه قيل رجل سَخيف وفي عقله سُخف، أي نقص. وقال الخليل السُّخف في العقل خاصة، والسَّخافة عامة في كل شيء (المصباح المنير).

(٧) معيد النعم، المرجع السابق.

ذلك للمصلحة. ولايمنع المحبوس من شم الرياحين إن كان مريضاً. ويمنع من استمتاعه بزوجته دون دخولها لحاجة له.

وإذا علم السجّان أن المحبوس حبس بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته، وإلا يكون شريكاً لمن حبسه في الظلم.

[١١١] - منصب الجزار[١]

ويجب عليه إذا ذبح قطعُ الحُلقوم، وهو مجرى النَّفَس، والمري، وهو مجرى الطعام تحت الحلقوم، والوَدَجين، فإن قطعها حل الأكل، وإن قطع أكثرها فكذلك عند أبي حنيفة. وقال أبو يوسف ومحمد: لابد من قطع الحلقوم والمري وأحد الودجين. وقال التاج بن السبكي من الشافعية: ولايكفي قطع واحد من الحلقوم والمري، خلافاً للاصطخري[٢].

ولو ترك من الحلقوم والمري شيئاً يسيراً، ومات الحيوان فهو ميتة.

ولابد أن يصادف الذابح حيواناً فيه حياة مستقرة وإلاّ [فلا يحلّ؛ وذلك يعرف بالعلامات، كالحركة الشديدة ونحوها. وكثيراً مايصادف الإنسان حيواناً يضطرب، فيشكّ هل فيه حياة مستقرة أو لا؟ فإذا شكّ فالأصح أنه حرام].

ولايجوز الذبح بظفر ولا عظم، وتستحب التسمية على الذبح خلافاً لأبي حنيفة، فإنه قال: يجب، ولايحلّ المذبوح إلا بالتسمية. وتستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح. ولايحلّ الذبح باسم غير الله.

وأفتى أهل بخارى بتحريم مايذبح أهل القرى عند استقبال السلطان تقرباً إليه، لأنّه مما أهل به لغير الله.

---

(١) معيد النعم ١٤٢ ومابين معقوفتين في النص مستدرك منه.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يزيد الاصطخري، أبو سعيد، فقيه شافعي، ولي قضاء قم ثم حسبة بغداد واستقضاه المقتدر على سجستان، له كتاب في القضاء استحسنه الأئمة وكانت في أخلاقه حدة وله آثار الأعلام ٢/ ١٧٩ عن وفيات الأعيان ١/ ١٢٩، المنتظم ٦/ ٣٠٢، طبقات الشافعية ٢/ ١٩٣.

[١١٢] - منصب المشاعلية(١)

وهم الذين يحملون مشعلاً يَقد بالنّار بين يدي الأمراء ليلاً . وإذا أراد [الأمير] شنق أحد ، أو تسميره(٢) ، أو النداءَ عليه تولوا ذلك .

ومن حق الله عليهم إذا أرادوا قتل أحد أن يحسنوا القِتْلة ، وأن يمكّنوه من صلاة ركعتين قبل القتل لله تعالى فهي سُنَّة .

[١١٣] - منصب الدلالين(٣)

فمنهم دلال الكتب .

ومن حقه ألا يبيع كتب الدين ممن يعلم أنه يضيْعها ، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها . وألا يبيع شيئاً من كتب أهل البدع والأهواء ، وكتب المنجمين ، والكتب المكذوبة ، كسيرة عنترة . ولا يبيع كافراً المصحف ، ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه .

ومنهم دلاّل الرقيق .

فلا يحلّ له بيع عبد مسلم من كافر ، وبيع المملوك الحسن الصورة ممن اشتهر باللّواط ، كبيع العصير ممن يتخذ الخمر ، وكلاهما مكروه .

أما بيع المغاني والآلاتية(٤) فيجوز ، ولكن عند الشافعية ، إذا كانت جارية فباعها بألفين ، ولولا الغناء ما ساوت ألفاً ، فإنهم مختلفون في صحة هذا البيع ؛

---

(١) معيد النعم ١٤٣

(٢) سمر عينه : كحّلها بمسمار محمى بالنار (المصباح المنير) . والتسمير : نوع من الصلب على صليب من الخشب تدق فيه أطراف المحكوم عليه بالمسامير إلى الخشب . وقد يبقى ساعات طويلة يتعذب حتى يموت معجم الألفاظ التاريخية ٤٥ . ولعل هذا المعنى الثاني هو المقصود .

(٣) معيد النعم ، المرجع السابق .

(٤) المغاني في استعمال عامة الشام : المغنيات ، والآلاتية : عازفو آلات الموسيقا . ومرت كلمة المغاني في الصفحة ٢٢ .

والأصح الصحة. وهذا الخلاف جارٍ في الديك والكبش الهرّاش[1] والنطّاح.

ومنهم دلاّل الأملاك.

وعليه التحفظ في ذلك، خشية أن يقع في بيع شيء موقوف؛ فإن هو باع موقوفاً فقد شارك البائع في الإثم.

[١١٤] - منصب بواب المدرسة أو الجامع ونحوهما[2]

ومن حقه المبيت بقرب الباب، بحيث يسمع من يطرقه عليه، والفتح لساكن في المكان، أو قاصد مقصداً دينياً [من][3] صلاة أو اشتغال، أيَّ وقت جاء من أوقات الليل.

قال التاج بن السبكي: ومايفعله بعض البوابين من غَلْق الباب[4] في وقت [معلوم][3] من الليل، إما بعد صلاة العشاء، أو في وقت آخر، بحيث إذا جاء أحد السكّان أو المريدين للصلاة بعده، لايفتح له، غير [جائز، إلاّ][3] أن تكون مدرسة شرط واقفها ألا يفتح بابها إلاّ في وقت معلوم. وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال. وأما لو شرط في مسجد أو جامع فواضح أنه لايصحُّ. انتهى.

[١١٥] - منصب سايس الدواب[5]

ومن حقّه النصح في خدمتها، وتنقية العَلِيْق[6] لها، وتأدية الأمانة فيه؛ فإنه لا لسان لها تشكوه إلاّ إلى الله سبحانه.

---

(١) الهرّاش: المهارشة بالكلاب وهو تحريش بعضها على بعض. مختار الصحاح.

(٢) معيد النعم ١٤٤

(٣) مابين معقوفتين كلمات مطموسة في الأصل، والاستدراك من معيد النعم.

(٤) أغلق الباب فهو مغلق والاسم الغَلْق (مختار الصحاح).

(٥) معيد النعم، المرجع السابق.

(٦) العَلِيْق: طعام الدابة في استعمال عامة الشام.

وقد كثر من السُّوَّاس تعليق حرزْ يشتمل على بعض آيات القرآن المجيد على الخيل رجاء الحراسة، مع أنها تتمرَّغ في النجاسة. وأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] رحمه الله بأنّ ذلك بدعة، وتعريض للكتاب العزيز للإهانة.

[١١٦] - منصب الكلابزي[2]

لله سبحانه عليه نعمة أن جعله خادم الكلاب، ولم يجعله عاصر خمر، أو غير ذلك مما ابتلى به بعض عبيده.

فمن شكر هذه النعمة أن ينصح في خدمة كلاب الصيد، وأن يعلم أنّ في كل كبد حرّى أجراً، وإن كان له على خدمتها جُعْلٌ، فهذه نعمة ثانية، عليه أن يوفيها حق شكرها.

فإن كان في باب ذي جاه فهذه نعمة ثالثة عليه شكر ثالث لأجلها. وعلى هذا فاعتبر.

[١١٧] - منصب حارس الدرب[3]

وحق عليه أن ينصح لأهل الدرب ويُسهر عينَه إذا ناموا، وينبه النوّام إذا اغتيلوا بحريق أو غيره، ولا يدل على عوراتهم والياً ولا غيره.

[١١٨] - منصب الطُّوْفيَّة[4]

وهم بين البساتين والمساكن الخارجة عن البلد. كالحارس بين الدرب في وسط البلد.

---

(١) مرت ترجمة العز بن عبد السلام ص ٧٦.

(٢) معيد النعم ١٤٥

(٣) معيد النعم، المرجع السابق.

(٤) معيد النعم ١٤٦

ومن أقبح صنع هؤلاء المداجاة[1] على جلب الخمر لمن يرضيهم بحطام الدنيا، فلا ينكرون عليه المنكر، مع إنكارهم، زائداً على الحاجة على من لا يرضيهم.

وإذا وجدوا قتيلاً في مكان نقلوه إلى مكان آخر؛ فتارة يجدونه في مكان بقرب دار من له عندهم يد، فينقلونه إلى دار من لا يد له عندهم، أو بينه وبينهم شنآن، وتارة تنقله طائفه من الأماكن التي هي في تسلمها إلى مكان آخر دفعاً للتهمة عن أنفسهم، وإلقاء لغيرهم فيها، وكل ذلك قبيح. والواجب إبقاؤه في مكانه، ورفع أمره إلى ولي الأمر ليبحث عنه.

[١١٩] - منصب الإسكاف[2]

ومن حقه ألا يَخْرُزُ بنجس من شعر خنزير أو غيره، فإنّ الصلاة في النعلين جائزة؛ صح أنّه عليه الصلاة والسلام صلّى في النعلين. وإنما فعل ذلك بياناً للجواز، وكان أغلب أحواله صلى الله عليه وسلم الصلاة حافياً.

فلو أنّ الإسكاف استعمل في النعل نجاسة لخان الله والمؤمنين.

[١٢٠] - منصب رماة البندق[3]

وعند أئمتنا الحنفية لا يؤكل ماقتلته البندقة. والذي أراه أنه يؤكل ماقتلته البندقة الرصاص. وقد أفتى التاج الفركاح[4] من الشافعية بحلّه مطلقاً، وهو ماذكره النووي في كتاب (المنثورات) ولكن ذكر في (الذخائر) أن الاصطياد بما لا حدّ له كالدبوس والبندق لا يجوز ولا يحلّ. ويدلّ له مافي مسند أحمد من حديث عدي

---

(١) المداجاة: المداراة (مختار الصحاح).

(٢) معيد النعم، المرجع السابق.

(٣) معيد النعم ١٤٧ . والبندق: كتل من الطين تشبه البندق تجفف بالشمس أو تشوى بالنار وتوضع في وتر القوس حيث ترمى بدل النبل. وكانوا يسمون من يحمل جرادة البندق خلف الأمير البندقدار. والبندق فارسية وكذا دور بمعنى ممسك. معجم الألفاظ التاريخية ٣٨.

(٤) مرت ترجمته في الصفحة ٤٧ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ولاتأكل من البندقة إلا ماذكيت »[1].
وروى البيهقي أنّ ابن عمر كان يقول في المقتولة بالبندقة: تلك الموقوذة. وهو في صحيح البخاري. وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن. وكره الحسن رمي البندقة في القرى والأمصار. قال البخاري: ولانرى بأساً فيما سواه.

[١٢١] - منصب الشحّاذ في الطرقات[2]

لله عليه نعمة أن أقدره على ذلك، وكان من الممكن أن يخرس لسانه فيعجزَ عن السؤال، ويقعده، فيعجز عن السعي، ويقطع يديه فيعجز عن مدّهما، إلى غير ذلك.

فعليه ألاّ يلحّ في المسألة، بل يتقي الله ويجمل في الطلب.

وكثير من الحرافيش[3] اتخذوا السؤال صناعة، فيسألون عن غير حاجة، يعقدون على أبواب المساجد، يشحذون المصلين[4]، ولا يدخلون للصلاة معهم.

ومنهم من يقسم على الناس في سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره. وكل ذلك منكر. وبعضهم يستغيث بأعلى صوته: لوجه الله تعالى فَلْس؛ وقد جاء في الحديث: « لايُسأل بوجه الله [تعالى] إلاّ الجنة »[5]. وبعضهم يقول: بشيبة أبي بكر فَلْس. فأنظر ماذا يسألون من الحقير، وبماذا يستشفعون من العظيم.

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٨٠ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا أرسلت كلبك وسميت فخالط كلاباً أخرى فأخذته جميعاً فلا تأكل فإنك لاتدري أيهما أخذه، وإذا رميت فسميت فخزقت فكل، فإن لم ينخزق فلا تأكل، ولا تأكل من المعراض إلا ماذكيت، ولا تأكل من البندقة إلا ماذكيت ».

(٢) معيد النعم ١٤٧

(٣) الحرافيش أو الحراشفة مفردها حرفوش، وهو من لا حرفة له، أو بمعنى الفقير. (معجم الألفاظ التاريخية ص٦٠).

(٤) شحذته: الححت عليه في المسألة (المصباح المنير).

(٥) أخرجه أبو داود برقم ١٦٧١ في الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى. ومابين معقوفتين زيادة من المصنف.

وتراهم النصارى واليهود، ويرون المسلمين ربما لم يعطوهم شيئاً فيشهقون ويسخرون، وربما كان المسلم معذوراً في المنع، والكافر لايفهم إلاّ أن المسلمين لايكترثون لذلك.

ورأيي في مثل هذا الشحاذ أن يؤدَّب، حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى، وذكر شيبة أبي بكر رضي الله عنه في هذا المقام.

ومنهم من يكشف عورته، ويمشي عرياناً بين الناس، يوهم أنّه لايجد مايستر عورته. إلى غير ذلك من حيلهم ومكرهم وخديعتهم.

[١٢٢] - منصب نوّاب القضاة

فمنهم من يضيّع كثيراً من وقته في طلب القضاء وغيره من المناصب؛ فإن كان مراده القوت، فالقوت يجيء بدون ذلك. وإن كان مراده الدنيا فقد كان اشتغاله بصنعة الأجناد والدواوين وغيرهم من العامة مالعله أنجح من مقصده؛ فإنّ الدنيا في أيدي أولئك أكثر.

ومن هذه الطائفة وقضاة القضاة أيضاً من يقول: أكرهت على القضاء، وأنا لم أر إلى الآن من أكره على القضاء الإكراه الشرعي.

وقد ضرب جماعة من السلف على أن يلوا القضاء، فأبوا؛ كما بينت ذلك في كتابي (إرسال القضا على من ولي القضا).

[وقد] سُمِّر باب أبي علي بن خيران مدة، وماذلك إلا لأنهم يخشون ألا يقيموا فيه الحق لفساد الزمان. وإلاّ فالقضاء إذا أمكن فيه نصر الحق من أعظم

القربات. ولكن أين نصر الحق، وهم لايدخلون فيه إلاّ بالسعي! وربما بذلوا عليه الذهب. ومذهب كثير من العلماء أنّ من يبذل الذهب على القضاء لاتصح أحكامه. ولايخفى أنه إذا فسق ببذل الذهب لم يكن نافذ الأحكام.

وكأني بأحمق من الفقهاء يقول: تعيّن عليّ طلب القضاء، وأنا لايخفى عليّ ماقاله الفقهاء فيمن تعيّن عليه، ولكن من الذي تعيّن عليه! فقائل هذا الكلام إما ممن لبّست عليه نفسه، واستزلّه الشيطان من حيث لايدري، أو ممن يريد التلبيس على الناس؛ فهو إبليس من الأبالسة، نعوذ بالله منه.

ومافعلت هذه الطائفة ولا كان ثمرة علمها إلاّ أن جعلت العلم الذي هو من أقرب الطاعات إلى الله سبيلاً إلى حطام الدنيا، ثم أخذت تذلّه، حتى في دين الله، وتلبّس على الخلق، وتأكل الدنيا بالدين. فقبّحها الله من طائفة.

* * *

قال الشيخ محمد أحمد دهمان: هذا ماوجدته في النسخة الفوتوغرافيّة المأخوذة عن خط المؤلف، والمحفوظة بالمجمع العلمي [العربي بدمشق] وقد كتب على المجموع الذي فيه هذه الرسالة مايلي: « نقل هذا المجلّد والذي يليه عن نسخة محفوظة بخزانة آل الجوهري بنابلس سنة ١٣٤٣هـ». وكتبه محمد أحمد دهمان، ليلة الأحد الرابع عشر صفر سنة ١٣٥٦هـ.

أهم المصادر والمراجع

أبجد العلوم (١ - ٣) ، صديق حسن خان ، دمشق ١٩٨٨م.

الأحكام السلطانية ، الماوردي ، القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

أدب الإملاء والاستملاء ، السمعاني (عبد الكريم بن محمد) ، ليدن ١٩٥٢م.

إرشاد الأريب (معجم الأدباء) (١ - ٢٠) ، ياقوت الحموي ، القاهرة ١٩٣٨م.

أساس البلاغة ، الزمخشري (محمود بن عمر).

الإصابة ، ابن حجر (أحمد بن علي) ، القاهرة.

الأعلام ، الزركلي (خير الدين) ، بيروت ١٩٨٦م.

أعلام النساء ، كحالة (عمر رضا) ، دمشق.

إعلام الورى ، ابن طولون ، محمد ، تح: محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٩٨٣م.

الأغاني ، الأصفهاني (أبو الفرج).

الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، الفارقي (أبو نصر بن أسد) ، تح: سعيد الأفغاني ، دمشق ١٩٧٤م.

إنباء الغمر بأبناء العمر ، ابن حجر ، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.

إنباه الرواة (١ - ٤) ، القفطي ، القاهرة ١٩٨٦م.

بغية الوعاة ، السيوطي ، القاهرة ١٣٨٤هـ.

تاج العروس شرح جواهر القاموس ، المرتضى الزبيدي.

تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ١٩٨٥م.

تأييد الحقيقة العلية ، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ، تح: عبد الله الغماري، القاهرة ١٣٥٢هـ.

التبر المسبوك ، الغزالي (محمد بن محمد) ، ١٩٦٨م.

تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، تصحيح: عبد الرحمن المعلمي ، بيروت ١٩٥٤م.

الترغيب والترهيب ، المنذري (عبد العظيم ، ضبط مصطفى محمد عمارة)، ١٩٨٧م.

تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، بيروت ١٩٨٤م.

جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، الأحمد نكري ، بيروت ١٣٩٥هـ .

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، ١٩٨١م .

الجواهر المضية ، القرشي (عبد القادر بن محمد) ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو ، الرياض ١٩٧٨م .

حماسة الظرفاء ، الزوزني (محمد عبد الله) تحقيق : المعيبد ، ١٩٧٣م .

دائرة المعارف الإسلامية ، ١٩٣٣م .

الدرر الكامنة ١ - ٤ ، ابن حجر (أحمد بن علي) ، بيروت ١٩٨٠م .

الديباج المذهب في أعيان المذهب ١ - ٢ ، ابن فرحون (إبراهيم بن علي) ، ١٩٧٢م .

ديوان البستي ، أبو الفتح البستي ، تح : درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م (مجمع اللغة العربية) .

ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد ، ١٩٨٦م .

ديوان ابن الرومي ، تح : عبد الأمير عالي مهنا ، القاهرة ١٩٩١م .

ديوان الشافعي ، تح : كامل كيلاني ، بيروت (دار ابن زيدون) .

ربيع الأبرار (١ - ٤) ، الزمخشري (محمود بن عمر) ، بغداد ١٩٨٩م .

الرسالة القشيرية ، القشيري (عبد الكريم بن هوازن) ، تح : د . عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، القاهرة

الرسالة المستطرفة ، الكتاني (محمد بن جعفر) ، بيروت ١٩٨٥م .

الرياض النضرة في مناقب العشرة ، المحب الطبري ، القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م .

الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، الأزهري (أبو منصور) ، الكويت ١٣٩٩ هـ .

الزهرة ، الأصفهاني (محمد بن أبي داود) ، ١٩٨٥م .

سنن أبي داود (١ - ٢) ، ١٩٨٨م .

السنن الكبرى ، البيهقي (أحمد بن الحسين) ، بيروت ١٩٨٠م .

سنن النسائي ، بيروت ١٩٨٧م .

سير أعلام النبلاء (١ - ٢٥) ، الذهبي (محمد بن أحمد) ، ط٤ بيروت ١٩٨٦م .

شذرات الذهب (١ - ٨) ، ابن العماد العسكري ، ط٢ بيروت ١٩٧٩م .

شرح ابن عقيل (١ - ٤) ، ١٩٩١م .

صبح الأعشى (١ - ١٤) القلقشندي ١٤ ج، ١٩٨٧م.

صحيح ابن حبان ، بيروت ١٩٨٧م.

صحيح البخاري ، دمشق ١٩٨٧م.

الضعفاء والمتروكين ، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي)، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

صفوة التفاسير، الصابوني (محمد علي)، ألمانيا الغربية ١٤٠٥هـ.

الضوء اللامع ، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) ، ١٨٩٥م.

طبقات الحفاظ، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)، بيروت ١٩٨٣م.

طبقات الشافعية الكبرى (١-١٠)، السبكي (تاج الدين)، القاهرة ١٩٠٦م.

طبقات الصوفية، السلمي (محمد بن الحسين)، القاهرة ١٤٠٦هـ.

العبر ، الذهبي (محمد بن أحمد) ، ١٩٨٤م.

الفتاوى ، العز بن عبد السلام، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الفهرست ، ابن النديم ، تح: فلوجل، ط مصورة ١٩٧١م.

القاموس المحيط ، الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)،

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ابن طولون(محمد)، تح: محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٨٠م.

قنية المنية، الزاهدي (مختار بن محمود)، كلكتا ١٨٥٦م.

الكامل في التاريخ، ابن الأثير (عز الدين)، ١٩٧٩م.

الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي (عبد الله)، ط٢ بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

كشف الخفا ومزيل الالباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني (إسماعيل بن محمد) ، ١٩٨٣م.

كشف الظنون (١ - ٦) ، ملا كاتب جلبي، المثنى ط قاسم رجب مصورة ١٩٥٥م.

كنز العمال، علي بن حسام الدين المتقي، ١٩٦٠م.

لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم) ١٩٨٦م.

مجمع الأمثال، الميداني، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

مجمع الزوائد، الهيثمي (علي بن أبي بكر)، ١٩٨٢م.

محاضرات الأدباء ، الراغب الأصفهاني ، ١٩٨٥م.

مختار الصحاح، الرازي (محمد بن أبي بكر)،

المستدرك على الصحيحين، الحاكم (محمد بن عبد الله النيسابوري)، بيروت ١٩٨٠م.

مسند الإمام أحمد ، بيروت ١٩٧٨م.

مشكاة المصابيح، التبريزي (ولي الدين)، ١٩٨٥م.

المصباح المنير، الفيومي،

معجم الألفاظ التاريخية، دهمان (محمد أحمد)، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

معجم البلدان (١ - ٧)، ياقوت الحموي، ١٩٩٠م.

المعجم الصغير، الطبراني (١- ٢)، بيروت ١٩٨٦م.

المعجم الكبير، الطبراني (١ - ٢٤)، بغداد ١٩٨٣م.

معجم المطبوعات (١ - ٢)، يوسف سركيس، القاهرة ١٩٨٠م.

معجم المؤلفين، كحالة، عمر رضا، دمشق ١٩٥٧م.

المعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية)، القاهرة ١٩٨٥م.

معيد النعم، السبكي (تاج الدين، عبد الوهاب بن علي)، ١٩٤٨م.

مفتاح السعادة، طاشكبرزاده، ١٩٦٨م.

المنتظم، ابن الجورسي (عبد الرحمن بن علي)، بيروت ١٩٣٨م.

المنهل العذب الروي، السخاوي (محمد بن عبد الرحمن)، المدينة المنورة ١٩٨٩م.

الموطأ، مالك بن أنس، ١٩٨٤م.

ميزان الاعتدال، الذهبي (محمد بن أحمد)، القاهرة ١٣٨٢هـ.

النجوم الزاهرة، ابن تغربردي، ١٩٦٣م.

هدية العارفين، إسماعيل البغدادي، بغداد المثنى مصورة عن استانبول ١٩٥٥م.

الوافي بالوفيات، الصفدي (خليل بن أيبك)

الوزراء والكتاب، الجهشياري، ١٩٨١م.

وفيات الأعيان (١ - ٨)، ابن خلكان (أحمد بن محمد)، ١٩٦٨م.

فهرس الأعلام

فهرس المواد

الموضوع	الصفحة
٢١ - منصب البشمقدارية	٦٥
٢٢ - منصب السقاة	٦٦
٢٣ - منصب أمير علم	٦٧
٢٤ - منصب أمير شكار	٦٧
٢٥ - منصب الموقعين	٦٨
٢٦ - منصب مقدم المماليك	٦٩
٢٧ - منصب الأجناد	٦٩
٢٨ - منصب الطواشية	٧٠
٢٩ - منصب المقربين عند الحاكم	٧١
٣٠ - منصب كاتم السر	٧٣
٣١ - منصب ناظر الجيش	٧٤
٣٢ - منصب الحجوبية	٧٥
٣٣ - منصب النقباء	٧٧
٣٤ - منصب المعرّف	٧٧
٣٥ - منصب الخولية	٧٨
٣٦ - منصب أمراء الدولة	٧٨
٣٧ - منصب أمراء العرب	٨٥
٣٨ - منصب كاتب القاضي	٨٥
٣٩ - منصب حاجب القاضي	٨٦
٤٠ - منصب نقيب القاضي	٨٧
٤١ - منصب أمناء القاضي	٨٧
٤٢ - منصب وكلاء دار القاضي	٨٧
٤٣ - منصب الشهود	٨٨
٤٤ - منصب ناظر الوقف ونحوه من المباشرين	٨٩
٤٥ - منصب وكيل بيت المال	٩٠
٤٦ - منصب المؤرخين	٩٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي

بالتعاون مع دار الفكر المعاصر

- الصبر مطية النجاح ، للظهير الإربلي ـ تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- مشيخة أبي المواهب الحنبلي ـ تأليف محمد مطيع الحافظ .
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، للقاضي زكريا الأنصاري ـ تحقيق الدكتور مازن المبارك .
- إتحاف المسلم بما ورد في الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم ، للشيخ يوسف النبهاني ـ تحقيق مأمون صاغرجي .
- الإعلام بوفيات الأعلام ، للحافظ الذهبي ـ تحقيق رياض مراد وعبد الجبار زكار .
- الأربعين البلدانية ، للحافظ ابن عساكر ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ .
- ظاءات القرآن الكريم لابن عمار وشرحه للتجيبي ، والفرق بين الظاء والضاد للزنجاني تحقيق محمد سعيد مولوي .
- نقد الطالب لزغل المناصب لابن طولون الصالحي ـ تحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان ، مراجعة نزار أباظة وخالد دهمان .
- كشف المغطى في فضل الموطا ، للحافظ ابن عساكر ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ .



